اللّهم فقّهه في الدّين وعلّمه التاويل.
("المسند" للإمام أحمد بن حنبل، ٥٧٢/١، الحديث:٢٣٩٧)

الفوز الكبير في أصول التفسير

للشيخ المحدّث شاه ولي الله الدهلوي
عليه رحمة الله القوي (المتوفى: ١١٧٦هـ)

(المعرّب عن الفارسية)

مع حاشيته الجديدة

الكنزُ الوَفِيرِ لطالب التفسير

من مجلس المدينة العلمية
شعبة الكتب الدراسية

مكتبة المدينة
للطباعة والنشر والتوزيع
كراتشي- باكستان

اللّهم فقّهه في الدِّين وعلّمه التأويل.

("المسند" للإمام أحمد بن حنبل، ٥٧٢/١، الحديث:٢٣٩٧)

الفوز الكبير
في
أصول التفسير

للشيخ المحدّث شاه ولي الله الدهلوي

عليه رحمة الله القوي (المتوفى:١١٧٦هـ)

(المعرّب عن الفارسية)

مع حاشيته الجديدة

الكنزُ الوَفِير لطالب التفسير

من مجلس المدينة العلمية

شعبة الكتب الدراسية

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

كراتشي- باكستان

الكتاب: **الفوز الكبير في أصول التفسير مع الحاشية**

المصنف: الشيخ المحدّث شاه ولي الله الدهلوي

المحشي: أبو أمجد أحمد رضا العطاري الشامي

شارك في العمل: محمد عرفان المدني، محمد فاروق المدني

عدد الصفحات: ١٦٥

الإشراف الطباعي: مكتبة المدينة كراتشي باكستان.

التنفيذ: **المدينة العلمية** **(مركز الدعوة الإسلامية)**

شعبة الكتب الدراسية

الطبعة الأولى

رمضان المبارك ١٤٣٩هـ

June 2018

عدد النسخ: ٥٠٠٠

كلمة الشيخ أبي بلال محمد إلياس العطار دامت بركاتهم العالية عن المدينة العلمية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أما بعد: فإنّ مركز الدعوة الإسلامية لعشاق الرسول يهدف بحمد الله تعالى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحياء سنن المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ونشر علم الدين في جميع أنحاء العالَم، وللقيام بهذه الأمور بشكل حسن قد أُنشئت بعض المجالس، منها: مجلس "المدينة العلمية" الذي يشمل العلماء والمفتين الكِرام لمركز الدعوة الإسلامية كثَّرهم الله تعالى، فإنهم يتحمّلون مسؤولية الموادّ العلمية وإصدارها بنهج دقيق متقن، وعلى هذا الأساس قد أُنشئت ستّة أقسام، وهي:

قسم كتب الشيخ الإمام أحمد رضا خان.

قسم الكتب الدراسية.

قسم الكتب الإصلاحيّة.

قسم تفتيش الكتب والرسائل.

قسم ترجمة الكتب.

قسم التخريج[1]

---

(١) في هذا الوقت (ربيع الثاني سنة ١٤٣٧هـ) أضيفت إليها عشرة أقسام أخرى، وهي: (٧) فيضان القرآن (٨) فيضان الحديث (٩) فيضان الصحابة وأهل البيت (١٠) فيضان الصحابيات والصالحات (١١) فيضان الأولياء والعلماء (١٢) فيضان المذاكرة المدنية (١٣) قسم كتب أمير أهل السنة (١٤) قسم بيانات الدعوة الإسلامية (١٥) قسم رسائل الدعوة الإسلامية (١٦) قسم تعريب الكتب.

وأوّل أهداف مجلس المدينة العلمية: أن يقدّم كتب الشيخ الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى بأسلوب سهل وفقاً للعصر الحاضر قدر الإمكان، فليتعاون كلّ الإخوة والأخوات حسب استطاعتهم في هذه الموادّ العلمية وإصدارها، ولا بدّ أن يقرؤوا بأنفسهم الكُتب الّتي يصدرها المجلس وأن يحثّوا الآخرين على مطالعتها، بارك الله تعالى في جهود جميع مجالس مركز الدعوة الإسلامية خاصة مجلس المدينة العلمية وكتب لهم التدرُّج والرقي في معارج الكمال ورزقنا الإخلاص في عملنا الصالح وجعله سبباً لخير الدارَين ورزقنا الشهادةَ تحتَ ظلّ القبّة الخضراء في المدينة المنورة والدفنَ في البقيع وأسكننا جنّة الفردوس، آمين بجاه النبيّ الأمين صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم[١].

(التعريب من الأردية: المدينة العلمية)

---

(١) إليكم ترجمة موجزة للشيخ أبي بلال محمد إلياس العطار: هو محمّد إلياس بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم ويكنَّى بأبي بلال ويلقّب بأمير أهل السنة، ويتخلّص بالعطار، وُلد في ٢٦ رمضان المبارك عام ١٣٦٩هـ الموافق١٩٥٠م في مدينة كراتشي من بلاد "باكستان"، وهو ذو أخلاق فاضلة وآداب كريمة، ومحبٌّ كامل المحبة لحضرة المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومتّبعٌ كاملٌ للشريعة المصطفوية أصدق اتباع، وشأنه شأنُ العلماء الصالحين الذين هم كالأشجار المثمرة، وانتشرت تصانيفه وتآليفُه ومحاضراتُه ودروسه القيّمة، المفيدة، المليئة بالسنن النبويّة في الآفاق فتلقّاها الناس بالقبول لما كان لها من الأثر الكبير في نفوسهم مما أدّى إلى التغير الديني في حياة الْمَلايين من المسلمين خاصّة الشباب بسبب قراءتهم لما يكتبه الشيخ حفظه الله تعالى أو لسماعهم لما يلقيه من محاضرات، وقد أعطَانا هذا الهدف العظيم: "عليّ مُحاوَلةُ إصلاحِ نفسي وجميعِ أُناس العالَم" إن شاء الله عزّ وجلّ، ولتحقيق هذا الهدف يخرج الإخوة في سبيل الله مع قوافل المدينة تحت ظل مركز الدعوة الإسلامية ويقضون حياتهم وفق جوائز المدينة (هي جدول للالتزام بالأعمال الصالحة)

مقدمة الحاشية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وصلى الله على سيدنا محمد هادي البشرية، ومنقذ بني الإنسان على مدى السنين والأزمان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وسلّم تسليما كثيرا.

أمّا بعد فإن أصول التفسير مبحث مهمّ تفرّقت موضوعاته في مقدّمات بعض المفسرين وفي كتب أصول الفقه، كما تكلّم الإمام المجدد أحمد رضا خان رحمه الله تعالى عن أصول التفسير في كتبه مثل: "الزلال الأنقى من بحر سبقة الأتقى" وغيرها من الرسائل، ومن أشهر الذين أفردوه من علماءِ الهند شاه ولي الله المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في رسالة خاصة بعنوان "الفوز الكبير في أصول التفسير".

تعريف علم أصول التفسير

"مجموعة القواعد التي ينبغي أن يسير عليها المفسرون في فهم المعاني القرآنية، وتعرّفِ العبر والأحكام من الآيات". أو"هو قواعد كلية تُعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه، وعلى التمييز في ذلك بين الحق والباطل"(١).

فائدته

الفائدة الكبرى من أصول التفسير هي معرفةُ القول الصواب ومعرفة القول الخطأ بأنه خطأ، وإلا لما أمكن الحذر منه.

وغاية أصول التفسير تمييز الصواب من الخطأ، والبرهان على ذلك بالعلم الصحيح، وأصول التفسير وقواعده مع التفسير كالنحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية. فكما أن النحو ميزان يضبط القلم واللسان، كذلك قواعد التفسير هي ثوابت وموازين تضبط الفهم لكلام الله عزوجل، وتمنع المفسر من الخطأ في تفسيره.

العلاقة بين أصول التفسير وعلوم القرآن

إن أصول التفسير تشتمل على المبادئ والأسس التي يحتاج إليها من يريد تعلّم علم التفسير والتبحُّرَ

---

(١) الموسوعة الفقهية، ٥/٦١.

فيه، والمسائل التي تُدرسُ في الأصول غالباً ما تمثِّل شكل القاعدة التي يندرج تحتها أمثلة متعددة، وتكون من مبادئ هذا العلم، ويغلب عليها الجانب التطبيقي، ومن عرفها فإنه يسهل عليه ممارسة علم التفسير. وهي جزء من علم التفسير، وعلم التفسير جزء من علوم القرآن، فكل معلومة من أصول التفسير هي من علوم القرآن، وليس كل معلومة من علوم القرآن هي من أصول التفسير. فالعلاقة بين أصول التفسير وعلوم القرآن هي علاقة جزء من كل، فأصول التفسير هو علم من علوم القرآن المتعددة التي قامت لخدمة القرآنِ، فهو جُزْءٌ مِن كُلّ بل هو أهمُّ علوم القرآن وأبرزها. ويمكن اختصار القول هنا بما يأتي:

١- إن كانت المعلومة ـ من علوم القرآن ـ لا أثر لها في فهم المعنى، فهي من علوم القرآن وليست من علوم التفسير؛ كمعرفة فضائل سورة الإخلاص، فإنها من علوم القرآن لكن معرفتها أو جهلها لا يؤثر في فهم المعنى.

٢- وإن كانت من المعلومات التي تؤثر في فهم المعنى؛ كمعرفة غريب الألفاظ، فهذا من علوم التفسير، ومن علوم القرآن من باب أولى.

٣- وإن كانت المعلومة تمثِّل أصلاً أو أساساً يُرجع إليه لمعرفة التفسير من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث توجيه أقوال المفسرين، فإنها تكون من أصول التفسير، ومن باب أولى أن تكون من علوم التفسير، فعلوم القرآن.

ولذا فمن أهل العلم مَن أَلَّفَ فيه استقلالاً، ومِنهم مَن ضَمَّنَ مباحثَ أصولِ التفسير ضِمْنَ كتابهِ في علومِ القرآن، وهذا لا إشكال فيه، أما من سمّى كتابه بـ"أصول التفسير" وأورد مباحث من علوم القرآن فهذا إما أن المؤلف أطلق الجزء وأراد الكل، أو أن هذه المباحث يراها من أصول التفسير خاصة.

اسمه ونسبه

أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين وعالم مشارك في بعض العلوم.

ولادته

ولد بدهلي ٤ شوال سنة ١١١٠ هـ الموافق ١٦٩٩م.

دراسته

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ودرس على والده العلوم الرسمية والشرعية مثل التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والعقائد والمنطق والطب والفلسفة والهيئة والحساب، وفرغ من تحصيل هذه العلوم حين كان عمره خمس عشرة سنة، ثم رحل إلى الحجاز عام ١١٤٣هـ، وعاد إلى الهند عام ١١٤٥هـ. وفي خلال هذين العامين اللذين أقامهما بالحرمين الشريفين تَتَلْمذ على كبار الشيوخ ودرس الحديث وغيره من العلوم.

مشايخه

والده الشيخ عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي.

الشيخ أفضل السيالكوتي.

الشيخ أبو الطاهر محمد بن إبراهيم الكردي، وله منه إجازة عامة.

تلامذته

ابنه الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي صاحب "تحفة اثنا عشرية".

محمد بن محمد الحسيني مرتضى الزبيدي، صاحب "تاج العروس في شرح القاموس".

الشيخ محمد عاشق پهلتي ابن خاله وتلميذه وخليفته صاحب "القول الجلي في ذكر آثار الولي".

تصانيفه

"الفوز الكبير في أصول التفسير" ألّفه بالفارسية، وتُرجِم بعد وفاته إلى العربية والأردية، "الإنصاف في بيان

أسباب الاختلاف" ،"حجة الله البالغة"، "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، "الإرشاد إلى مهمات الإسناد"، "المسوّى من أحاديث الموطأ"، "المقدمة السَنيّة في الانتصار للفرقة السُنيّة"، "القول الجميل في بيان سواء السبيل"، "عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد"، "فيوض الحرمين"، "الانتباه في سلاسل أولياء الله" و"همعات".

وفاته: توفي بدهلي سنة ١١٧٦هـ الموافق ١٧٦٢م[١].

ثناء العلماء عليه

قال صاحب فهرس الفهارس الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: "أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما، وعلى كتبه وأسانيده المدار في تلك الديار"[٢]. قال أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي في حواشيه على الموطأ: "وله تصانيف كثيرة كلها تدل على أنه كان من أجِلّة النبلاء وكبار العلماء، موفّقاً من الحق سبحانه بالرشد والإنصاف، متجنّباً عن التعصب والاعتساف، ماهراً في العلوم الدينية متبحّراً في المباحث الحديثية"[٣].

عقائده ومعمولاته

كان رحمه الله حنفيّا ماتريديا نقشبنديا صوفيا حريصا على اتباع السنة.

رأيه عن زيارة قبور الصالحين: يقول شاه ولي الله في حجة الله البالغة: قوله صلى الله عليه وسلم: ((نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها))[٤] أقول: كان نهى عنها لأنها تفتح باب العبادة لها، فلما استقرّت الأصول الإسلامية، واطمأنت نفوسهم على تحريم العبادة لغير الله أذن فيها، وعلّل التجويز بأن فائدته عظيمة، وهي أنها تذكّر الموت، وأنها سبب صالح للاعتبار بتقلّب الدنيا[٥].

---

(١) انظر للتفصيل: (الأعلام، ١/١٤٩، وفهرس الفهارس، ١/١٧٨، وإيضاح المكنون، ٣/٦٥).

(٢) فهرس الفهارس، ١/١٧٨.

(٣) التعليق المجد على موطأ محمد، ١/١٠٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ربه عزوجل في زيارة قبر أمه، صـ٤٨٦، الحديث: ٩٧٧.

(٥) حجة الله البالغة، ٢/٣٨.

ويقول في كتابه "الهمعات" بالفارسية: **بارواحِ طيبه مشائخ متوجه شود، وبرائے ايشان فاتحه خواند يا بزيارت قبر ايشان رود، وازانجا انجذاب دريوزه كند**[١].

وتعريبه: ينبغي أن يتوجّه إلى أرواح المشايخ ويقرأ لهم الفاتحة، أو يقوم بزيارة قبورهم، ويسئل عندهم الحاجات.

ويقول في "الانتباه في سلاسل أولياء الله" عند بيان طريقة كشف القبور: عندما يزور قبرا من قبور الصالحين عليه أن يصلي ركعتين ويرسل ثوابها إلى روح صاحب القبر ثم يجلس إلى القبر مستدبر القبلة، ويقرأ سورة الإخلاص وفاتحة الكتاب...إلخ[٢].

وقال في "فيوض الحرمين" عن زيارة قبور أئمة أهل البيت: توجهت إلى قبور أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين فوجدت لهم طريقة خاصة هي أصل طرق الأولياء[٣].

وقال في "القول الجميل": "تأدّب شيخنا عبد الرحيم على روح جده لأمه الشيخ رفيع الدين محمد"[٤]. ولا يمكن هذا إلا بزيارة القبر والتوجه إليه حتى نقل عن والده في "أنفاس العارفين" يقول والده: رسخت في قلبي حبّ مزار الشيخ رفيع الدين في بداية الأمر فكنت أتردّد إلى قبره وأتوجّه إليه[٥].

اعتقاده عن الأولياء بعد وفاتهم: يقول في "فيوض الحرمين": إذا انتقلوا إلى البرزخ كانت تلك الأوضاع والعادات والعلوم معهم، لا تفارقهم[٦]. وفيه: إذا مات هذا البارع لا يفقد هو ولا براعته بل كل ذلك بحاله. وفيه: كل من مات من الكُمَّل يخيّل إلى العامّة أنه فُقد من العالم، ولا والله ما فقد بل تجوهر وقوي[٧].

---

(١) همعات، صــ٣٤.

(٢) الانتباه في سلاسل الأولياء، ذكر برائے كشف قبور، صــ١١٣.

(٣) فيوض الحرمين، صــ٧٨.

(٤) القول الجميل، صــ٢١٩.

(٥) أنفاس العارفين (مترجم)، صــ٢٠.

(٦) فيوض الحرمين، صــ١٦.

(٧) فيوض الحرمين، صــ٤٨-٤٩.

وفيه: من أراد أن يحصل له ما للملاء السافل من الملائكة فلا سبيل إلى ذلك إلا الاعتصام بالطهارة والحلول بالمساجد القديمة التي صلى فيها جماعات من الأولياء[١].

وقال ابنه شاه عبد العزيز في التفسير العزيزي: **از اولياء مدفونين انتفاع واستفاده جارى است**[٢]. تعريبه: إن الانتفاع والاستفادة بالأولياء بعد وفاتهم مستمر في كل الزمان.

عمله في زيارة قبور الصالحين: قال الشيخ مولانا محمد عاشق پهلتي في كتابه "القول الجلي"[٣]: الشيخ شاه ولي الله قد عزم على الحج مرة ثانية عام ١١٤٣هـ وخرج من مدينة "دِهْلِي" من طريق البنجاب والسند إلى مدينة "سُوْرَت"، وإنما اختار هذا الطريق قصدا لزيارة قبورالأولياء في البنجاب والسند فزار في مدينة "بَانِي بَتْ" شاه بُو علي قلندر، وفي "سَرْهَنْد" الشيخ المجدد أحمد السرهندي الفاروقي، وفي مدينة "لاهُور" الشيخ داتا علي الهجويري، وفي "مُلْتَان" الشيخ بهاء الدين زكريا وشاه ركن عالم، ودخل في السند وزار قبور أولياء "نَصر بُور" و"تَتَّه" حتى وصل إلى "سُورَت"، وركب في السفينة إلى "بلدة جدة". وفي الرجوع من الحج اتّجه من مدينة "سُورَت" إلى "كَوَالِيَار"، وتشرّف بزيارة خواجه خانو والشيخ محمد غوث ثم التفت إلى "آكْرَه" ونزل عند الشيخ الأمير أبو العُلى وتَبَارَكَ بِه، وهكذا تمَّ سفر الحج بوصوله إلى مدينة "دِهْلِي" مسقط رأسه[٤].

الملاحظة: قال بعض العلماء: إن شاه ولي الله رحمه الله تعالى له بعض الآراء المتفردة غير المرضية التي لا يوافق عليها العلماء العظام من أهل السنة والجماعة حتى أخوه أهل الله الدهلوي وابنه وتلميذه شاه عبد العزيز

---

(١) فيوض الحرمين، صـ٢٥.

(٢) فتح العزيز المعروف بتفسير العزيزي، ٥٠/٣.

(٣) القول الجلي في ذكر آثار الولي للشيخ مولانا محمد عاشق پهلتي، أبوه شاه عبيد الله خال للشيخ شاه ولي الله، كان تلميذا للشيخ شاه ولي الله ورفيقا له في الدّرس عند شيوخ الحرمين، ومسترشدا به في السلوك والمعرفة، كتب هذا الكتاب بأمره، وبعد كتابته قدّمه إلى الشيخ فنظر فيه وأصلحه.

(٤) القول الجلي في ذكر آثار الولي صـ٣٩.

المحدث الدهلوي وتلميذه القاضي ثناء الله المجددي ومعاصره الشيخ مرزا مظهر جان جانان الدهلوي[١].

وقوع التحريف في كتب شاه ولي الله

قال العلماء: "إن أصحاب الفرق الضالّة والمضلّة عندما وجدوا في أكثر كتب شاه ولي الله كلاما ضدّهم وضعوا عليه كتبا وطبعوها باسمه[٢]. نذكر أسماء الكتب التي قد الصقت عليه ونسبت إليه وهو بريء منها:

١- البلاغ المبين

٢- تحفة الموحدين

٣- إشارة مستمرة

٤- قول سديد

٥- قرة العينين في إبطال شهادة الحسين

٦- الجنة العالية في مناقب المعاوية

وقد ثبت التحريف والتغيير في كتبه المشتهرة مثل "أنفاس العارفين" و"الهمعات" و"عقد الجيد" وغيرها من الكتب، ولعلّ "الفوز الكبير في أصول التفسير" من جملة هذه الكتب التي غُيِّرت عباراته وحُرِّفت لقصد مذموم، والله أعلم بالصواب[٣].

---

(١) انظر للتفصيل (حياة أعلى حضرت، ٣/١٣١)، وأحوال شاه ولي الله في بداية (الفوز الكبير صـ٢١) طبعة مجلس بركات الجامعة الأشرفية أعظم جرة يو بي الهند.

(٢) انظر للتفصيل الفتاوى الرضوية، ٢٢/٥١٦.

(٣) انظر للتفصيل "القول الجلي في ذكر آثار الولي"، صـ٥٦-٦١، "حياة أعلى حضرت" لملك العلماء محمد ظفر الدين البهاري، ٣/١٣١.

عملنا في هذا الكتاب

- الحمد لله قد اجتهدنا في إخراج النص على أقرب صورةٍ وضعها المؤلف رحمه الله، وذلك بمقابلة النص العربي المترجم مع المتون الفارسية ومع التراجم المطبوعة المتوفرة، وإثبات ما اتفق عليه أكثر النسخ أو كان أقرب إلى الصواب.
- ورجعنا في المواضع المشكلة إلى النسخ الفارسية القديمة: ١ــ المطبوعة من مطبع أحمدي ١٢٤٩هـ. ٢ــ المطبوعة من مطبع مجتبائي دهلي ١٨٩٨م.
- اعتمدنا في الترجمة على النسخة المترجمة التي طبع قبل عام ١٣٨٣هـ بـ"فريد بكدبو" ٤٢٢ متيا محل دهلي مع المتن الفارسي والترجمة الأردية. وقد قمنا ببعض التصحيحات في الترجمة في الأماكن التي احتجنا إلى التصحيح.
- قد أضفنا بين سطور المتن بعض العبارات البسيطة لشرح الألفاظ الصعبة، وإيضاح العبارات الغامضة تسهيلا على فهم العبارة.
- قد قمنا بتقسيم المتن إلى الفقرات والأبحاث بوضع العناوين مشيرا إلى أغراض المصنّف وانتقاله من بحث إلى بحث آخر، وميّزناها باللون الأحمر.
- أوضحنا الآيات القرآنية بالقوسين المزهرتين هكذا ﴿اَلۡحَمۡدُ لِلّٰهِ رَبِّ الۡعٰلَمِيۡنَ﴾ وخرّجناها.
- ووضعنا الأحاديث الشريفة بين الأقواس هكذا ((إنما الأعمال بالنيات)) وقمنا بتخريجها.
- ترجمنا بعض الأعلام المذكورة في المتن.
- قد التزمنا الخط العربي الجديد وعلامات الترقيم مساعدا على القراءة الصحيحة المفهومة.
- قد أضفنا إلى المتنِ الحاشيةَ الجديدة، الموجزة العبارة، الكاشفة الأغراض، السهلة التراكيب والكلمات، المسماة بـ"**الكنز الوفير لطالب التفسير**" المستمدة من التفاسير المعتمدة والكتب المتعلقة بعلوم القرآن الكريم.

- ❖ استفدنا في الحاشية من كتب التفسير وعلوم القرآن وخاصة من كتب شاه ولي الله محدث الدهلوي توضيحا لكلام المصنف وتأييدا له.
- ❖ ذكرنا في الحاشية الآيات الكاملة التي أشار المصنف إليها في المتن تسهيلا للطلاب.
- ❖ قد نبّهنا على بعض آراءه المخالفة لعامّة المفسرين بذكر كلام المفسرين المعتمدين مثل الطبري والرازي وغيرهم، انظر حاشيتنا في باب الناسخ والمنسوخ.
- ❖ قمنا بتوضيح بعض عباراته الموهمة لمخالفة أهل السنة والجماعة بذكر كلامه من كتبه الأخرى مثل "حجة الله البالغة" وغيرها.
- ❖ أضفنا في بداية الحاشية مقدمة علمية محتوية على تعريف علم أصول التفسير، وعلى ترجمة المصنف.
- ❖ أردفنا بفهارس المصادر والمراجع والموضوعات.

وقبل أن نختم هذه المقدمة نقول: لا بد من الاعتراف بعجزنا وقصورنا في هذا الجهد المتواضع وحسبنا أننا حاولنا قدر استطاعتنا فإن كنّا قد أدينا العمل بعض حقه فذلك فضل من الله ونعمته، وإن كان غير ذلك فهو جهد المقلّ والمقصّر، ونحمد الله تعالى على إتمام ذلك ونسأل الله أن ينفعنا بما نقول ونسمع، وأن يلهمنا الرشد والصواب، إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ما يجب على المفسر البداءة به

الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبِن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره وهو كما قالوا: إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته لأن الجزء سابق على الكلّ في الوجود من الذهني والخارجي.

(البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٩٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

آلاء[1] الله على هذا العبد الضعيف لا تُعدّ ولا تُحصى، وأجلّها التوفيق لِفهم القرآن العظيم. ومِنَن صاحب النبوة والرسالة عليه الصلاة والسلام على أحقر الأمة كثيرة، وأعظمها تبليغ الفرقان الكريم، لقّن النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم القرآن القرن الأول، وهم أبلغوه للقرن الثاني، وهكذا حتى بلغ حظّ هذا الفقير كذلك من روايته ودرايته. (أي كما بلغ إلى الصحابة حظهم بتمامه.) اللّهم صلّ على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا وشفيعنا أفضل صلواتك وأيمن بركاتك، وعلى آله وأصحابه وعلماء أمته أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فيقول الفقير ولي الله بن عبد الرحيم عاملهما الله تعالى بلطفه العظيم، لمّا فتح الله عليّ بابا من فهم كتابه المجيد أردت أن أجمع وأضبط بعض النكات النافعة التي تنفع الأصحاب في رسالة مختصرة، والمرجو من لطف الله الذي لا انتهاء له أن يفتح لطلبة العلم بمجرّد فهم هذه القواعد شارعاً واسعاً في فهم معاني كتاب الله، وإن كانوا يصرفون عمرَهم في مطالعة التفاسير، ويقرأون على المفسرين -وعلى أنهم أقلّ قليل في هذا الزمان- فلم يتحصّل لهم بهذا الضبط والربط. وسمّيتها: بـ"الفوز الكبير في أصول التفسير". وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

ومقاصد الرسالة منحصرة في خمسة أبواب، وهي كما يلي:

١- **الباب الأول**: في العلوم الخمسة التي يدل عليها القرآن الكريم نصاً، حتى وكأن القرآن نزل بالأصالة لهذه العلوم الخمسة.

---

(١) **قوله**: [آلاء] جمع ألى على زنة هَوى، أو إلى على زنة عِدى بمعنى النعم.

٢- **الباب الثاني**: في وجوه خفاء نظم القرآن بالنسبة إلى أفهام أهل هذا العصر، وتجليتها بأوضح بيان.

٣- **الباب الثالث**: في بيان لطائف نظم القرآن، والأسلوب القرآني البديع.

٤- **الباب الرابع**: في مناهج التفسير، وبيان أسباب الاختلاف ووجوهه في تفسير الصحابة والتابعين.

٥- **الباب الخامس**: في بيان غريب القرآن، وأسباب النزول التي لابد من حفظها للمفسر، ويحظر بدونها الخوض في التفسير.

الباب الأول

[في العلوم الخمسة التي بيّنها القرآن العظيم بطريق التنصيص]

ليعلم أن معاني القرآن المنطوقة لا تخرج عن خمسة علوم:

علم الأحكام من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام، من قسم العبادات أو من قسم المعاملات، أو من تدبير المنزل(١)، أو من السياسة المدنية(٢)، وتفصيل هذا العلم منوط بذمة الفقيه.
مُفَوّض.

وعلم المخاصمة والرّد على الفرق الضالة الأربع من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، وتبيان هذا العلم منوط بذمة المتكلم.

وعلم التذكير بآلاء الله من بيان خلق السماوات والأرضين، وإلهام العباد ما ينبغي لهم، ومن بيان صفات الله سبحانه الكاملة.

وعلم التذكير بأيام الله، يعني بيان الوقائع(٣) التي أوجدها الله سبحانه وتعالى من جنس تنعيم المطيعين، وتعذيب المجرمين.

وعلم التذكير بالموت وما بعده من الحشر والنشر والحساب والميزان والجنّة والنار.

وحفظ تفاصيل هذه العلوم، وإلحاق الأحاديث والآثار المناسبة لها وظيفة المذكّر والواعظ.

---

(١) **قوله:** [تدبير المنزل] علم بأفعال اختيارية صالحة للتعلق بكل شخص بالقياس إلى نفسه ليتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل. وقال المؤلف شاه ولي الله في "حجة الله البالغة": وهو الحكمة الباحثة عن كيفية حفظ الربط الواقع بين أهل المنزل. (دستور العلماء، ١/٢٨٢، حجة الله البالغة، ١/٤١)

(٢) **قوله:** [السياسة المدنية] علم بمصالح جماعة متشاركة في المدينة ليتعاونوا على مصالح الأبدان وبقاء نوع الإنسان. (دستور العلماء، ٢/١٩٤)

(٣) **قوله:** [الوقائع] كقصص الأنبياء -عليهم الصلوات والتسليمات- ومواقف شعوبهم وأقوامهم معهم.

أسلوب القرآن الكريم في عرض العلوم القرآنية

وإنما وقع بيان هذه العلوم على أسلوب العرب الأول لا على منهج المتأخرين، فلم يلتزم في آيات الأحكام اختصار يختاره أهل المتون، ولا تنقيح القواعد من قيود غير ضرورية، كما هو صناعة الأصوليين، واختار سبحانه وتعالى في آيات المخاصمة إلزام الخصم بالمشهورات المسلّمة والخطابيات[١] النافعة، لا تنقيح البراهين[٢] على طريق المنطقيين، ولم يراع مناسبة في الانتقال[٣] من مطلب إلى مطلب، كما هو قاعدة الأدباء المتأخرين، بل نشر كل ما أهمّ إلقاؤه على العباد، تقدّم أو تأخّر.

---

(١) **قوله:** [الخطابيات] وهي أمور لا يطلب فيها البرهان بل يكفي فيها مجرد الظن. ولذا قالوا إنها قياسات مركبة من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ. (دستور العلماء، ٢/٨٨)

(٢) **قوله:** [البراهين] هو القياس من اليقينيات سواء كانت ابتداء وهي الضروريات أو بواسطة وهي النظريات، قال النسفي: «البرهان» بيان يظهر به الحق من الباطل. (مجموعة قواعد الفقه، ص٢٠٧)

(٣) **قوله:** [لم يراع مناسبة في الانتقال] نحمل كلامه على نزوله مفرقا حسب الحوادث وتدرج الأحكام، أما جمعه وترتيبه فقد بلغ في غاية الإحكام والانتظام، حتى صارت المناسبة بين الآيات والسور علما من علومه عنى به المفسرون القدامى والمحدثون عناية بالغة، فمن خلاله نقف على وجه من وجوه إعجاز القرآن فضلا عن فهم المعاني ومعرفة المقاصد والترجيح بين الآراء، وإزالة اللبس، قال السيوطي في بيان أهمية النظر للمناسبات: **علم المناسبة**: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، هو ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، هو علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري، وأفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع

مقاصد نزول القرآن الكريم

وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصة، ويظنّون أن تلك القصة سبب نزولها. والمحقَّق أن القصد الأصلي من نزول القرآن تهذيب النفوس البشرية، ودمغ العقائد الباطلة، ونفي الأعمال الفاسدة، فوجود العقائد الباطلة في المكلَّفين سبب لنـزول آيات المخاصمة، ووجود الأعمال الفاسدة، وجريان المظالم فيما بينهم سبب لنـزول آيات الأحكام، وعدم تيقُّظهم بآلاء الله وأيام الله ووقائع الموت وما بعده سبب لنـزول آيات التذكير. وأما تكلّفهم في بيان القصص الجزئية الخاصة فليس لها مدخل في فهم القرآن يعتدّ به، إلا في بعض الآيات، حيث وقع التعريض فيها لواقعة من وقائع وجدت في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلَّم، أو قبل ذلك، ولا يزول ما يعرض للسامع من الانتظار عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط القصة، فعلينا أن نشرح هذه العلوم بوجه لا يستلزم مؤونة إيراد القصص الجزئية.

(دمغ: إبطال.)

الفصل الأول
في علم المخاصمة(١)

قد وقع في القرآن المجيد المخاصمة مع الفرق الأربع الضالة: المشركين، واليهود، والنصارى، والمنافقين. وهذه المخاصمة على قسمين:

الأول: أن تذكر العقيدة الباطلة مع التنصيص على شناعتها، والإنكار عليها فقط.

والثاني: أن تقرر شبهاتهم، ويذكر حلها بالأدلة البرهانية أو الخطابية.

لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته "**تناسق الدرر في تناسب السور**". (الإتقان في علوم القرآن، ٢/٩٧٦-٩٧٨)

(١) **قوله:** [علم المخاصمة] قال شاه ولي الله: أعني أن النفوس السفلية إذا تولدت بينها شبهات تُدافع بها الحقُ، كيف يحل تلك العقد. (حجة الله البالغة، ١/٢٣) يعني تعرف في هذا العلم كيفيّة حل تلك العقد.

ذكر المشركين

أما المشركون فكانوا يسمّون أنفسهم حنفاء[1]، وكانوا يدّعون التديّن بالملّة الإبراهيمية، وإنما يقال الحنيف لمن تديّن بالملة الإبراهيمية، والتزم شعارها.

شعائر ملة الإبراهيمية

شعائرها حج البيت الحرام، واستقباله في الصلاة، والغسل من الجنابة، والاختتان، وسائر خصال الفطرة[2]، وتحريم الأشهر الحُرم، وتعظيم المسجد الحرام، وتحريم المحرمات النسبيّة والرضاعية، والذبح في الحلق، والنحر في اللبّة[3]، والتقرّب بالذبح والنّحر خصوصا في أيام الحج.

شرائعها

وقد كان الوضوء، والصلاة، والصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والصدقة على اليتامى والمساكين، والإعانة في نوائب[4] الحق، وصلة الأرحام مشروعة في أصل الملة. وكان التمدّح بهذه الأفعال شائعا فيما بينهم، ولكن جمهور المشركين كانوا يتركونها، حتى

---

(١) **قوله:** [حنفاء] **الحنيف**: المائل من شر إلى خير، والصحيح الميل إلى الإسلام، والحنفاء: فريق من العرب قبل الإسلام كانوا ينكرون الوثنية منهم أمية بن أبي الصلت ومن كان على دين إبراهيم عليه السلام في الجاهلية. (المعجم الوسيط، صـ٢٠٣)

(٢) **قوله:** [خصال الفطرة] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء)). قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة، قال وكيع: انتقاص الماء: يعني الاستنجاء. (صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، صـ١٥٤، الحديث: ٢٦١)

(٣) **قوله:** [اللبّة] وهو موضعُ القلادة من الصدر، أسفل العنق.

(٤) **قوله:** [نوائب] جمع نائبة أي ما ينزل به من المهمات والحوادث.

صارت هذه الأفعال كأن لم تكن شيئا. وقد كان تحريم القتل والسرقة والزنا والربا والغصب أيضا ثابتا في أصل الملّة، وكان إنكار هذه الأشياء باقيا في الجملة، وأما جمهور المشركين فيرتكبونها، ويتّبعون النفس الأمارة فيها.

عقائد المشركين

وقد كانت عقيدة إثبات الصانع سبحانه وتعالى، وأنه هو خالق السماوات والأرضين، ومدبّر الحوادث العظام، وأنه قادر على إرسال الرسل، وجزاء العباد بما يعملون، وأنه مقدّر(١) للحوادث قبل وقوعها ثابته عندهم، وعقيدة أن الملائكة عباده المقرّبون، المستحقون للتعظيم أيضا ثابتة فيما بينهم، ويدل على ذلك أشعارهم(٢)، وكان قد وقع لجمهور المشركين في هذه العقائد شبهات كثيرة ناشئة من استبعاد هذه الأمور وعدم ألفتها.

ضلالات المشركين

١- الشرك.

٢- والتشبيه.

٣- والتحريف.

---

(١) **قوله:** [مقدّر] أي جاعلها على قدرٍ معلوم.

(٢) **قوله:** [أشعارهم] قال أمية بن أبي الصلت:

إنَّ آيات ربِّنا باقيات ... لا يماري فيهنَّ إلاَّ الكفور

خلق اللَّيل والنَّهار فكلٌّ ... مستبين حسابه مقدور (الحماسة المغربية، صـ١٣٦)

وأيضا يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ فَاَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ۝٦١ اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَيَقْدِرُ لَهٗ ؕ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ۝٦٢ وَلَئِنْ سَاَلْتَهُمْ مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَحْیَا بِهِ الْاَرْضَ مِنْۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَیَقُوْلُنَّ اللّٰهُ ؕ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ ؕ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا یَعْقِلُوْنَ۝٦٣﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣].

٤- وإنكار المعاد.

٥- واستبعاد رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم.

٦- وشيوع الأعمال القبيحة.

٧- والمظالم فيما بينهم.

٨- وابتداع التقاليد[1] الفاسدة.
إمحاء، اِنْقِراض.

٩- واندراس العبادات.

تفصيل ضلالاتهم

الشرك: أن يثبت لغير الله سبحانه وتعالى شيئا من الصفات المختصة به[2]، كالتصرف المطلقة. في العالم بالإرادة الذي يعبر عنه بـ"كن فيكون"، أو العِلم الذاتي من غير اكتساب بالحواس ودليل العقل والمنام والإلهام ونحو ذلك، أو الإيجاد لشفاء المريض، أو اللّعن لشخص والسخط ضدّ الرضا. عليه حتى يقدِر يضيِّق. عليه الرزق أو يمرض أو يشقى لذلك السخط[3]، ....

---

(١) **قوله:** [التقاليد] ذكر الشيخ شاه ولي الله في الفارسية: «ابتداع رسوم فاسده» وتعريبها: وابتداع التقاليد الفاسدة، لأن كلمة "رسوم" معناها: التقاليد وهي: العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلفُ السلفَ. ولكن قام بالخيانة العلمية واحد من المترجمين حيث زاد كلمة **"الطقوس"** وعبارتها: "وابتداع الطقوس والتقاليد الباطلة"، و**الطقوس**: هي ممارسة العبادة العملية. وإن هذه الكلمة تستخدم في الأعمال الدينية التي تمارسها اليهودية والنصرانية، وأيضا يستخدم بعض الجهلة في الاحتفالات التي تقام عند قبور الصالحين سنويا. (المعجم الوسيط، صـ٧٥٤)

(٢) **قوله:** [الصفات المختصة به] ثبت بقوله: «الصفات المختصة به» أن معمولات أهل السنة مثل احتفال مولد النبي ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة قبور الصالحين والدعاء عندهم والتعويذات وغيرها من الأمور المستحبة والمباحة غير داخل في أفعال الشرك لأنها ليست من الصفات المختصة بالله تعالى.

(٣) **قوله:** [يشقى لذلك السخط] إي إثبات اللعنة على شخص أو السخط عليه بحيث ينقلب نتيجة هذا

أو الرحمة لشخص[١] حتى يبسط له الرزق ويصح بدنه ويسعد، ولم يكن المشركون يشركون أحدا في خلق الجواهر وتدبير الأمور العظام، ولا يثبتون لأحد قدرة على المنازعة إذا أبرم الله سبحانه وتعالى أمرا.

إذا أحْكَمَهُ فهو مُبْرِم.

وإنما كان إشراكهم في الأمور الخاصة ببعض العباد، وكانوا يظنّون أن مِلِكا من الملوك عظيم القدر يُرسل عبيده المخصوصين إلى نواحي المملكة، ويجعلهم متصرفين في الأمور الجزئية إلى أن يصدر عن الملك حكم صريح، فلا يتوجّه إلى تدبير الأمور الجزئية، ويُفوّض إليهم أمور سائر العباد، ويقبل شفاعتهم في أمور من يخدمهم ويتوسّل بهم، وكذلك يظنون[٢] أن الملِك على الإطلاق جل مجده، شرّف بعض العباد بخلعة الألوهية، ويؤثّر رضاهم وسخطهم على سائر العباد، فيقولون بوجوب التقرب بعباد الله سبحانه المخصوصين المذكورين، ليتيسّر لهم قبول المَلِك المطلق، وتقبل شفاعتهم للمتقربين بهم في مجاري المأمور، وكانوا يجوّزون بملاحظة هذه الأمور أن يسجد لهم، ويذبح لهم، ويحلف بهم، ويُستعان بهم في الأمور الضرورية بقدرة كُن فيكونُ. وكانوا ينحتون من الحجر والصفر وغير ذلك صورا يتخذونها قبلة التوجه إلى تلك الأرواح حتى يعتقد الجهال شيئا فشيئا تلك الصور معبودة بذواتها، فتطرّق بذلك خلط عظيم.

اللعن والسخط مُعْدِماً أو مَرِيضاً أو شَقِياً.

(١) **قوله:** [أو الرحمة لشخص] بحيث ينقلب هو بسبب هذه الرحمة والرضا غنياً صحيحاً، معافى، سعيداً.

(٢) **قوله:** [وكذلك يظنون] إن هذه العبارة أعني: [**كذلك يظنون أن الملِك على الإطلاق...إلخ**] في الترجمة العربية التي طبع بـ فريد بكدبو ٤٢٢ متيا محل دهلي مع الفارسي والأردية بدون اسم المترجم، وغيرها من النسخ المطبوعة مكتوب بعد قوله: [**وإنما كان إشراكهم في الأمور الخاصة ببعض العباد**] ولكن لم نجد هذه العبارة في المتن الفارسي والترجمة الأردية في هذا المقام بل نجد بعد قوله: "ويقبل شفاعتهم في أمور من يخدمهم ويتوسّل بهم"، فلهذا أثبتنا هنا. فافهم.

التشبيه: عبارة عن إثبات الصفات البشرية[1] لله تبارك وتعالى، فكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، وإنه يقبل شفاعة عباده وإن لم يرض بها، كما أن الملوك يفعلون مثل ذلك بالنسبة إلى الأمراء الكبار، وكانوا يقيسون علمه تعالى وسمعه وبصره الذي يليق بجناب الألوهية على علمهم وسمعهم وأبصارهم لقصور أذهانهم، فيقعون في القول بالتجسيم والتحيّز[2].

أي: عقيدة أنّ لله تعالى جسماً.

بيان التحريف: إن أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام كانوا على شريعة جدّهم الكريم، حتى جاء عمرو بن لحي[3] -لعنة الله عليه- فوضع لهم أصناما، وشرع لهم عبادتهم واخترع لهم من بحيرة[4] وسائبة[5] ....

هكذا في الأصل الفارسي.

---

(١) **قوله:** [إثبات الصفات البشرية] قد وقع في قعر التشبيه مَن رمى أهل السنة والجماعة بالشرك على معتقداتهم في الأنبياء والأولياء من كمالاتهم التي منحها خالقهم بقدرته، وهي الصفات البشرية الحادثة، ومن قال: إن إثبات هذه الصفات للعباد شرك، فقد أقر بإثبات هذه الصفات لله تعالى، وها هو عين التشبيه.

(٢) **قوله:** [التحيّز] شغل الذات قدرا من الفراغ، وهو أمر يشترك فيه كل جسم، وقيل: التحيّز هو عبارة عن نسبة الجوهر إلى الحيّز بأنه فيه، والحيّز: هو المكان أو تقدير المكان، والمراد بتقدير المكان كونه في المكان ولم نقل هو المكان لأن المتحيز عندنا هو الجوهر، والحيز من لوازم نفس الجوهر لا انفكاك له عنه. (الكليات،صـ٣١٦)

(٣) **قوله:** [عمرو بن لحي] بن حارثة بن عمرو ابن مزيقياء الأزدي، من ملوك العرب في الجاهلية، وأول من أتى بالأصنام من بلقاء الشام إلى الحجاز، فجعلها في الكعبة، ودعا العرب إلى الاستشفاء بها والعبادة حولها، ويظن أنه كان في أوائل القرن الثالث للميلاد.

(٤) **قوله:** [بحيرة] وهي فعيلة من البحر وهو الشق ، يقال: بحر ناقته إذا شق أذنها، وهي بمعنى المفعول، قال أبو عبيدة والزجاج: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، وكان آخرها ذكراً شقوا أذن الناقة وامتنعوا من ركوبها وذبحها وسيبوها لآلهتهم، ولا يحمل على ظهرها، ولا تطرد عن ماء، ولا تمنع عن مرعى، ولا ينتفع بها.(التفسير الكبير، المائدة:١٠٣، ٤/٤٤٦)

(٥) **قوله:** [سائبة] فهي فاعلة من ساب إذا جرى على وجه الأرض، فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب إلى حيث شاءت، وكان الرجل منهم يقول: "إن شفيت فناقتي سائبة" أو قدم من سفر أو نذر نذراً أو شكر

وحام[١] واستقسام بالأزلام[٢] وما أشبه ذلك، وقد وقعت هذه الحادثة قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بثلاث مائة سنة تقريبا، وكان الجهلة يتمسّكون في هذا الباب بآثار آبائهم، وكانوا يعدّون ذلك من الحجج القاطعة.

بيان إنكار المعاد

وقد بيّن الأنبياء السالفون الحشر والنشر، لكن ليس ذلك البيان بشرح وبسط، مثل ما تضمّنه القرآن العظيم، ولذلك ما كان جمهور المشركين مطّلعين عليه، وكانوا يستبعدونه. (يعدّونه بعيدا، أي غير واقع.)

بيان استبعاد رسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وهؤلاء الجماعة وإن اعترفوا بنبوة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل بل بنبوة سيدنا موسى عليهم السلام أيضا، لكن كانت الصفات البشرية -التي هي حجاب لجمال الأنبياء الكامل- تشوّشهم تشويشا، ولم يعرفوا حقيقة تدبير الله عزوجل الذي هو مقتضى بعثة الأنبياء، فكانوا يستبعدون ذلك لما ألفوا المماثلة بين الرسول والمرسِل، فكانوا يوردون شبهات واهية غير مسموعة، كما قالوا فيهم: كيف يحتاجون إلى الشراب والطعام وهم أنبياء؟ وهلا يُرسل الله

نعمة سيب بعيراً، ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها فكان بمنزلة البحيرة في جميع ما حكموا لها. (التفسير الكبير، المائدة:١٠٣، ٤/٤٤٧)

(١) **قوله:** [حام] وأما الحام فيقال: حماه يحميه إذا حفظه وهي إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى. (التفسير الكبير، المائدة:١٠٣، ٤/٤٤٧، تفسير النسفي، المائدة:١٠٣، صـ٣٠٦)

(٢) **قوله:** [استقسام بالأزلام] وذلك أنهم إذا قصدوا فعلاً ضربوا ثلاثة أقداح، مكتوب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، والثالث غفل، فإن خرج الأمر مضوا على ذلك، وإن خرج الناهي تجنبوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً. فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالأزلام. (تفسير البيضاوي، المائدة:٣، ٢/٢٩٣)

سبحانه وتعالى الملائكة؟ ولم لا ينـزل الوحي على كل إنسان على حدة؟ وعلى هذا الأسلوب.

توضيح أحوال المشركين بالمثال

وإن كنت متوقّفا في تصوير حال المشركين وعقائدهم وأعمالهم فانظر إلى حال المحترفين(١) والجهلة من أهل الزمان، خصوصا من سكن منهم بأطراف دار الإسلام كيف يَتَخَيَّلون ويعتقدون في الولاية مع أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، فيعُدّون وجود الأولياء في هذا الزمان من قبيل المحال، ويذهبون إلى القبور والآثار(٢)، ويرتكبون أنواعا من الشرك(٣)، وكيف تطرّق إليهم

---

(١) **قوله:** [المحترفين] من اتخذ حرفة ولأهله اكتسب فهو محترف مثل الحجام محترف الحجامة، والفلاَّح: محترف الفلاحة.

(٢) **قوله:** [ويذهبون إلى القبور والآثار] إن الذهاب إلى قبور الصالحين لا يدل على اعتقاد استحالة الولاية في هذا الزمن، كيف هذا وقد ثبت من كبار الأولياء والصالحين -والمصنف منهم أيضا- زيارة قبور الأولياء والدعاء من الله تعالى عندهم بوسيلتهم مع كونهم من الأولياء الكاملين ومعتقدين راسخين بوجود الولاية في جميع الأزمنة، كما ثبت من الإمام الشافعي زيارة قبر الإمام أبي حنيفة والصلاة عنده. يقول الإمام المحدث أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسنده المتصل إلى الإمام الشافعي قال سمعت الشافعي يقول إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائرا، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى. وأيضاً ذكر عن قبر معروف الكرخي بسنده المتصل أن قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال إنه من قرأ عنده مائة مرة ﴿قُلْ هُوَاللّٰهُ اَحَدٌ﴾ وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته. وأبو عبد الله بن المحاملي يقول: أعرِف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرّج الله همّه. ويقول شاه ولي الله في كتابه "الهمعات" بالفارسية، وتعريبه: ينبغي أن يتوجّه إلى أرواح المشايخ ويقرأ لهم الفاتحة، أو يقوم بزيارة قبورهم، ويسئل عندهم الحاجات. (تاريخ بغداد، ١/١٣٤، همعات، صـ٣٤)

(٣) **قوله:** [ويرتكبون أنواعا من الشرك] لعلّ هذه العبارة مدسوسة على المصنف لأنه كان يزور قبور الصالحين ويرشد الناس إليه كما ثبت من كتبه ومن كتب مترجميه، وقد تحقق التحريف والدّس في كتب الشيخ، انظر للتفصيل مقدمة الحاشية قد حققنا هذا الأمر فيها.

التشبيه والتحريف موافقة للحديث الصحيح:[١] ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، ما من آفة من هذه الآفات إلا وقوم من أهل هذا الزمان واقعون في ارتكابها معتقدون مثلها، عافانا الله سبحانه من ذلك.

وبالجملة فإن الله سبحانه وتعالى برحمته بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم في العرب، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، وخاصمهم في القرآن العظيم، وقد تمسّك في تلك المخاصمة بمسلماتهم من بقايا الملة الحنيفية ليتحقق الإلزام.

جواب الإشراك

أولا: طلب الدليل[٢] ونقض التمسّك بتقليد الآباء[٣].

وثانيا: عدم التساوي[٤] بين هؤلاء العباد وبينه تبارك وتعالى، ....

---

(١) **قوله**: [الحديث الصحيح] أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)). قلنا يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن)). (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٢/٤٦١، الحديث: ٣٤٥٦)

(٢) **قوله**: [طلب الدليل] كما قال تعالى: ﴿قُلْ اَرَءَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَرُوْنِيْ مَاذَا خَلَقُوْا مِنَ الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ ۭ اِيْتُوْنِيْ بِكِتٰبٍ مِّنْ قَبْلِ هٰذَآ اَوْ اَثٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقوله تعالى: ﴿اَمَّنْ يَّبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهٗ وَمَنْ يَّرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ ۭ ءَاِلٰهٌ مَّعَ اللّٰهِ ۭ قُلْ هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾ [النمل: ٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

(٣) **قوله**: [نقض التمسك بتقليد الآباء] كما في قوله تعالى: ﴿وَاِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّبِعُوْا مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَآءَنَا ۭ اَوَلَوْ كَانَ اٰبَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ شَيْـًٔا وَّلَا يَهْتَدُوْنَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، و﴿اِذْ قَالَ لِاَبِيْهِ وَقَوْمِهٖ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيْلُ الَّتِيْٓ اَنْتُمْ لَهَا عٰكِفُوْنَ ۝ قَالُوْا وَجَدْنَآ اٰبَآءَنَا لَهَا عٰبِدِيْنَ ۝ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٤].

(٤) **قوله**: [عدم التساوي] كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿اَفَمَنْ يَّخْلُقُ كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ ۭ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ﴾ [النحل: ١٧].

واختصاصه[١] عزوجل باستحقاق أقصى غاية التعظيم بخلاف هؤلاء العباد.

وثالثا: بيان إجماع الأنبياء على هذه المسئلة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ورابعا: بيان شناعة عبادة الأصنام[٢]، وانحطاط الأحجار من مراتب الكمالات الإنسانية[٣]، فكيف بمرتبة الألوهية؟ وهذ الجواب مسوق لقوم يعتقدون الأصنام معبودين لذاتهم.

جواب التشبيه

أولا: طلب الدليل[٤] ونقض التمسك بتقليد الآباء[٥].

---

(١) **قوله:** [اختصاصه] كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣]، و﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١].

(٢) **قوله:** [شناعة عبادة الأصنام] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:٥]، و﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

(٣) **قوله:** [وانحطاط الأحجار إلخ] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

(٤) **قوله:** [طلب الدليل] كما في قوله تعالى: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٣-١٥٧]، ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٦٨].

(٥) **قوله:** [ونقض التمسك بتقليد الآباء] كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:١٥-٢٢]، أي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية، وإنما جنحوا فيه إلى تقليد آبائهم الجهلة. (تفسير البيضاوي، الزخرف:٢٢، ١٤٣/٥)

وثانيا: بيان ضرورة المجانسة[1] بين الوالد والولد، وهي مفقودة[2].

وثالثا: بيان شناعة إثبات ما هو مكروه ومذموم عند أنفسهم لله تبارك وتعالى[3] ﴿اَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُوْنَ﴾ [الصافات:١٤٩]، وهذا الجواب مسوق لأجل قوم اعتادوا المقدمات المشهورة والمتوهمات الشعرية[4]، وأكثرهم على هذه الصفة.

جواب التحريف

بيان عدم نقله عن أئمة الملّة، وبيان أن ذلك كله اختراع وابتداع غير معصوم[5].

---

(١) **قوله:** [ضرورة المجانسة] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْۢبَغِيْ لِلرَّحْمٰنِ اَنْ يَّتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢] أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما يتطلب لو طلب مثلاً، لأنه محال غير داخل تحت الصحة، وهذا لأن اتخاذ الولد لحاجة ومجانسة وهو منزه عنهما. و﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص:٣]؛ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه. (تفسير النسفي، مريم:٩٢، صـ٦٨٤، تفسير البيضاوي، الإخلاص:٣، ٥٤٨/٥)

(٢) **قوله:** [وهي مفقودة] كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُوًا اَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، أي: ولم يكن أحد مماثلاً له ولا مشاكلاً، قال الإمام الرازي: إشارة إلى نفي ما لا يجوز عليه من الصفات. (البحر المديد، الإخلاص:٤، ٣٩٧/٨، التفسير الكبير، الإخلاص:٤، ٣٦٥/١١)

(٣) **قوله:** [بيان شناعة إثبات...إلخ] كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُوْنَ لِلّٰهِ الْبَنٰتِ سُبْحٰنَهٗ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُوْنَ ۝ وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثٰى ظَلَّ وَجْهُهٗ مُسْوَدًّا وَّهُوَ كَظِيْمٌ ۝ يَتَوَارٰى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوْٓءِ مَا بُشِّرَ بِهٖ ؕ اَيُمْسِكُهٗ عَلٰى هُوْنٍ اَمْ يَدُسُّهٗ فِي التُّرَابِ ؕ اَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُوْنَ﴾ [النحل:٥٧-٥٩].

(٤) **قوله:** [والمتوهمات الشعرية] **الوهميات:** قضايا كاذبة يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة كالحكم بأن وراء العالم فضاء لا يتناهى. والقياس المركب منها يسمى سفسطة. (دستور العلماء، ٤٧٠/٣، التعريفات، صـ١٧٨، التعاريف، صـ٣٤١) **والشعر:** في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من المخيلات. والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير كقولهم الخمر ياقوتة سيالة والعسل مرة مهوّعة. (دستور العلماء، ٢١٨/٢، التعريفات، صـ٩٢) ومنفعتها العامّة في الأمور الجزئية، وربما يكون أنفع من الخطابة، لأن النفوس العامية للتخيل أطوع منها للإقناع. نستطيع أن نقول التوهمات الشعرية هي القضايا المخيلات وليدة الوهم من الأمور العقلية ما تؤثر في النفس فتبسطها وتقبضها أو تفيدها تسهيل أمر أو تهويله أو تعظيمه أو تحقيره.

(٥) **قوله:** [بيان عدم نقله عن أئمة الملة...إلخ] كما قال تعالى: ﴿قُلْ اَرَءَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَرُوْنِيْ مَاذَا

جواب استبعاد الحشر والنشر

أولا: القياس على إحياء الأرض(١) وما أشبه ذلك(٢)، وتنقيح المناط الذي هو شمول القدرة، وإمكان الإعادة(٣).

وثانيا: بيان موافقة أهل الكتب الإلهية في الإخبار به(٤).

جواب استبعاد إرسال الرسل

أولا: ببيان وجودها في الأمم المتقدّمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٣]،

خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٤] وقوله: **اختراع** إلخ أشير إليه في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:١٤٠].

(١) **قوله**: [القياس على إحياء الأرض] كما قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٥٠]، و﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩].

(٢) **قوله**: [وما أشبه ذلك] كالقياس على تخليق السموات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣]، والقياس على بدء الخلق كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، إلى آخر سورة يس، وفي ﴿هُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

(٣) **قوله**: [وتنقيح المناط...إلخ] إن البعث والنشور موقوف على شمول قدرة الفاعل وإمكان إعادة المفعول أي وجود صلاحية الإعادة في المخلوق، فبيّن الأول في مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨١-٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:٣-٤]، وبين الثاني بالقياس على إحياء الأرض وخلق السموات والأرض وبدء الخلق وغيرها.

(٤) **قوله**: [بيان موافقة...إلخ] كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ إلى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٦-٤٧] و﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى:١٧-١٩].

﴿وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيْدًا ۢ بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ ۙ وَمَنْ عِنْدَهٗ عِلْمُ الْكِتٰبِ﴾ [الرعد:٤٣].

وثانيا: دفع الاستبعاد ببيان أن الرسالة ههنا عبارة عن الوحي ﴿قُلْ اِنَّمَآ اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحٰٓى اِلَيَّ﴾ [الكهف:١١٠]، وتفسير الوحي بما لا يكون محالا ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا﴾ الآية، [الشورى:٥١].

وثالثا: ببيان عدم ظهور المعجزات التي يقترحونها[١] لمصلحة كلية[٢] يقصر علمهم عن إدراكها، وكذلك عدم موافقة الحق لهم في تعيين شخص يقترحون بنبوته[٣]، وكذلك لم يجعل الرسول ملكا[٤] ولم يوح إلى كل واحد منهم، فليس كل شيء من ذلك إلا للمصلحة الكلية.

سبب تكرار المضامين

ولما كان أكثرُ من بُعث إليهم مشركين أثبت هذه المضامين في سور كثيرة بأساليب

---

(١) **قوله:** [المعجزات التي يقترحونها] كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْۢبُوْعًا ۙ﴿۹۰﴾ اَوْ تَكُوْنَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيْلٍ وَّعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْاَنْهٰرَ خِلٰلَهَا تَفْجِيْرًا ۙ﴿۹۱﴾ اَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا اَوْ تَاْتِيَ بِاللّٰهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ قَبِيْلًا ۙ﴿۹۲﴾ اَوْ يَكُوْنَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ اَوْ تَرْقٰى فِي السَّمَآءِ ۗ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا نَّقْرَؤُهٗ﴾ [الإسراء:٩٠-٩٣].

(٢) **قوله:** [لمصلحة كلية] كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ اَنْ نُّرْسِلَ بِالْاٰيٰتِ اِلَّآ اَنْ كَذَّبَ بِهَا الْاَوَّلُوْنَ﴾ [الإسراء:٥٩] أي ما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سُنّتنا، وقد قضينا أن لا نستأصلهم، لأن منهم من يؤمن أو يلد من يؤمن. (تفسير البيضاوي، الإسراء:٥٩، ٣/٤٥٣)

(٣) **قوله:** [عدم موافقة الحق...إلخ] كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوْا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ عَلٰى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيْمٍ﴾ [الزخرف:٣١] ﴿وَاِذَا جَآءَتْهُمْ اٰيَةٌ قَالُوْا لَنْ نُّؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَآ اُوْتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ ۘ اَللّٰهُ اَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰلَتَهٗ﴾ [الأنعام:١٢٤].

(٤) **قوله:** [كذلك لم يجعل الرسول ملكا] إن إنزال الملك على البشر آية باهرة، فبتقدير إنزال الملك على هؤلاء الكفار فربما لم يؤمنوا كما قال: ﴿وَلَوْ اَنَّنَا نَزَّلْنَآ اِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ﴾ إلى قوله: ﴿مَّا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْٓا اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ﴾ [الأنعام:١١١]، وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستئصال، فإن سنّة الله جارية بأن عند ظهور الآية الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال، فهاهنا ما أنزل الله تعالى الملك إليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب. (التفسير الكبير، الأنعام:٨، ٤/٤٨٦)

متعددة وتأكيدات بليغة ولم يتحاش[(١)] من إعادتها مرات كثيرة، نعم هكذا ينبغي أن تكون مخاطبة الحكيم المطلق بالنسبة إلى هؤلاء الجهلة، والكلام في مقابلة هؤلاء السفهاء بهذا التأكيد ﴿ذٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].

ذكر اليهود[(٢)]

وكان اليهود قد آمنوا بالتوراة، وكانت ضلالتهم:

(١) تحريف أحكام التوراة لفظيا كان أو معنويا.

(٢) وكتمان آياتها.

(٣) وإلحاق ما ليس منها بها افتراء منهم.

(٤) والتساهل في إقامة أحكامها.

(٥) والمبالغة في التعصب بمذاهبهم.

(٦) واستبعاد رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم.

(٧) وسوء الأدب والطعن بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم، بل بالنسبة إلى حضرة الحق تبارك وتعالى أيضا.

(٨) وابتلاءهم بالبخل والحرص وغير ذلك.

---

(١) **قوله:** [يتحاش] تَحَاشَى: أَمْسَكَ، اِمْتَنَعَ، فالتحاشي في الأصل هو التنحي أي الاعتزال.

(٢) **قوله:** [اليهود] هادَ يَهودُ هَوْداً: تابَ ورجع إلى الحقّ، فهو هائدٌ وقومٌ هودٌ، قال أبو عبيدة: التهَوُّدُ: التوبة والعمل الصالح. ويقال أيضاً: هادَ وتَهَوَّدَ، إذا صار يهوديًّا، وأرادوا باليهود اليهودِيِّينَ، ولكنهم حذفوا ياء الإضافة كما قالوا زَنْجِيٌّ وزَنْجٌ. وجمع اليَهودِيّ يَهود، كما يقال في جمع المَجُوسيّ مجُوس، وقيل يَهود اسم للقبيلة كعُمان وإنما أدخلوا الألف واللام عليها على إرادة النّسب يُراد اليهوديون. وقيل: سُميت هذه القبيلة يَهوذ فعُرِّبت بقلب الذالِ دالاً. (الصحاح في اللغة، ٢/٤٨٦، تهذيب اللغة، ٦/٣٨٨، المخصص، ٤/٦٤)

بيان تحريف أحكام التوراة

التفاسير.

أما **التحريف اللفظي**[1]: فالحق عند الفقير أنهم كانوا يرتكبونه في ترجمة التوراة وأمثالها لا في أصل التوراة[2]،...

---

(١) **قوله:** [التحريف اللفظي] هو تغيير اللفظ والعدول عن جهته إلى غيرها، وقد يكون بالزيادة في الكلام أو النقص منه، وقد يكون بتبديل بعض كلماته.[علمية]

(٢) **قوله:** [لا في أصل التوراة] يعني أن التحريف لم يقع في ألفاظ التوراة وكلماتها بل وقع في الترجمة والتفسير التي كتبت من قبل علماءهم موافقة للمتن، هذا مذهب الشيخ، **وأما جمهور العلماء** فقد ذهبوا إلى إثباته في ألفاظ التوراة وكلماتها، مع الخلاف بينهم في كثرة الوقوع وقلته، ودليلهم على ذلك قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:٧٩] فيه تصريح بتحريف الكلمات وكتابة الكتاب بأيديهم. قال الإمام ابن عطية الأندلسي (المتوفى:٥٤٢هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥]، "وذهب جماعة من العلماء إلى أنهم بدلوا ألفاظاً من تلقائهم وأن ذلك ممكنٌ في التوراة لأنهم استحفظوها، وغير ممكن في القرآن لأن الله تعالى ضمن حفظه". (المحرر الوجيز، البقرة:٧٥، ١٦٨/١) حتى قال مفسر الكتاب المقدس هارسلي في الصفحة ٢٨٢ من المجلد الثالث من تفسيره في مقدمة كتاب هوشع: "هذا القول أن المتن المقدس حرِّف لا ريب فيه، وظاهر من اختلاف النسخ لأن العبارة الصحيحة في العبارات المختلفة لا تكون إلا واحدة، وهذا الأمر مظنون، بل أقول قريب من اليقين أن العبارات القبيحة جداً دخلت في بعض الأحيان في المتن المطبوع". (إظهار الحق، ٥٦٩/٢). قال الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي في "إظهار الحق": "إن التحريف اللفظي بجميع أقسامه أعني بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت في الكتب المذكورة، وأورد هذه الأقسام الثلاثة على سبيل الترتيب في ثلاثة مقاصد، وقال في الأخير: ولمّا صارت شواهد الأقسام الثلاثة التحريف مائة اكتفيت عليها خوفاً من الإطناب، وهذا القدر يكفي في إثبات دعوى التحريف بجميع أقسامه". (إظهار الحق، ٤٢٧/٢)، وها أنا أذكر من هذه الشواهد بعضها:

الشاهد الأول لإثبات التحريف اللفظي بالتبديل: إن الآية الرابعة من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء في النسخة العبرانية هكذا: "فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عِيبال وشيدوها بالجص تشييداً" وفي النسخة السامرية هكذا: (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في

وهذا هو قول ابن عباس[١].

جبل جِرْزيم) وعيبال وجِرزيم جبلان متقابلان، فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السلام أمر بيناءِ الهيكل أعني المسجد على جبل عيبال، ومن النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرِزْيم، وبين اليهود والسامريين سلفاً وخلفاً نزاع مشهور تدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرّفت التوراة في هذا المقام. (إظهار الحق، ٢/٤٣٨-٤٣٩)

الشاهد الثاني لإثبات التحريف بالزيادة: وقع في الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني والعشرين من سفر الخليقة: "كما يقال في هذا اليوم في جبل اللّه يجب أن يتراءى الناس" ولم يطلق على هذا الجبل جبل اللّه إلا بعد بناء الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام بعد أربعمائة وخمسين سنة من موت موسى عليه السلام، فحكم مفسر آدم كلارك في ديباجة تفسير كتاب عزرا بأن هذه الجملة إلحاقية ثم قال: "وهذا الجبل لم يطلق عليه ذلك الاسم ما لم يُبْنَ عليه الهيكل". (إظهار الحق، ٢/ ٤٧٢-٤٧٣)

الشاهد الثالث لإثبات التحريف بالنقصان: في الآية الثانية والعشرين من الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين في النسخة العبرانية هكذا: "ولما سكن إسرائيل تلك الأرض مضى روبيل وضاجع بلها سرية أبيه فسمع إسرائيل" قال جامعو تفسير هنري واسكات: "اليهود يسلمون أن شيئاً سقط من هذه الآية والترجمة اليونانية تتمها هكذا: وكان قبيحاً في نظره" فاليهود ههنا أيضاً معترفون بالسقوط، فسقوط الجملة من النسخة العبرانية ليس بمستبعد عند أهل الكتاب، فضلاً عن سقوط حرف أو حرفين. (إظهار الحق، ٢/٥٢٣-٥٢٤) **والتنبيه:** وأيضا أن الإنكار بتحريف لفظي يُدخل القرآن في الكتب المحرّفة غير محفوظة لأن التحريف المعنوي غير قليل فيه كما نرى في تراجمه إلى اللغات وتفاسيره، وهذا خلاف ما وعد الله فيه وأخبر عنه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحٰفِظُوْنَ﴾ [الحجر:٩]، ﴿لَا يَأْتِيْهِ الْبَاطِلُ مِنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهٖ تَنْزِيْلٌ مِّنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، فافهم رحمك الله.

(١) **قوله:** [هذا هو قول ابن عباس] وقد ثبت عن ابن عباس خلاف ذلك حيث أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)). (صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك...الخ، ٢/٢٠٧، الحديث:٢٦٨٥) فثبت من قوله: "غيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا هو من عند الله" أنه مثبت للتحريف اللفظي في كتبهم. والله أعلم بالصواب.

والتحريف المعنوي[١]: تأويل فاسد بحمل الآية على غير معناها بتحكّم وإنحراف عن الصراط المستقيم.

بعض الصور للتحريف المعنوي

← تخصيص العام بدون الدليل.

١- فمن جملة ذلك أنه قد بيّن الفرق بين المتديّن الفاسق والكافر الجاحد في كل ملة، وأثبت العذاب الشديد والخلود للكافر، وجوّز خروج الفاسق من النار بشفاعة الأنبياء، وأظهر في تقرير هذا المعنى اسم المتديّن في كل ملة بتلك الملة، وأثبت في التوراة هذه المنزلة لليهودي والعبري[٢]، وفي "الإنجيل" للنصراني، وفي القرآن العظيم للمسلمين. ومناط الحكم الإيمان بالله واليوم الآخر، والانقياد لنبي بعث إليهم، والعمل بشرائع الملة، واجتناب المنهيات من تلك الملة، لا خصوص فرقة من الفرق لذاتها، فحَسِب اليهود أن اليهودي والعبري يدخلان الجنّة ألبتة، وتنفعهم شفاعة الأنبياء ﴿وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً﴾ [البقرة:٨٠]، ولو لم يتحقق مناط الحكم، ولو كان مؤمنا بالله بوجه غير صحيح، ولو لم يكن له حظ من الإيمان بالآخرة، وبرسالة النبي المبعوث إليه. وهذا غلط صِرف وجهل محض. ولمّا كان القرآن العظيم مهيمنا على الكتب السالفة، ومبيّنا لمواضع الإشكال فيها كشف الغطاء عن هذه الشبهة على وجه أتمّ فقال: ﴿بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّ اَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓـئَتُهٗ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ﴾ [البقرة:٨١].

← حمل الحصر الإضافي على الحقيقي.

٢- ومن جملة ذلك: أنه قد بيّن في كل ملة أحكاما تناسب مصالح ذلك العصر، وقد

---

(١) **قوله:** [التحريف المعنوي] فهو ما يَقعُ في المَعنى بِحَمل اللفظِ عَلى غيرِ المُراد مِنه بِتَأْوِيلٍ فَاسِدٍ، قَصدًا أَو بِدُونِ قَصدٍ. [علمية]

(٢) **قوله:** [العبري] هي أقدم التسميات التي تُطلَق على أعضاء الجماعات اليهودية، ويُقال أيضاً "عبراني"، وجمعها "عبرانيون".

سلك في التشريع مسلك رعاية عادات القوم[١]، وأمر بالأخذ بها، وإدامة الاعتقاد والعمل عليها تأكيدا بحصر الحقيّة فيها. والمراد بحصر الحقيّة والإدامة أن الحقيّة محصورة فيها في ذلك العصر والزمان، وأن الإدامة ظاهرية لا حقيقية، يعني ما لم يأت نبي آخر، ولم يكشف الغطاء عن وجه النبوة. وهم حملوا ذلك على استحالة نسخ اليهودية. ومعنى وصيّة الأخذ بتلك الملّة في الحقيقة وصيةٌ بالإيمان والأعمال الصالحة[٢]، ولم تعتبر خصوصية تلك الملّة لذاتها. وهؤلاء اعتبروا الخصوصية، فظنّوا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام قد وصّى أولاده بتمسّك اليهودية أبدا.

٣- ومن جملة ذلك: أن الله عزوجل شرّف الأنبياء وتابعيهم في كل ملّة بلقب المقرّب والمحبوب، وذمّ الذين ينكرون الملّة بصفة المبغوض، وقد وقع الخطاب في هذا الباب بلفظ شائع في كل قوم، فلا عجب إن ذكر لفظ الأبناء مقام المحبوبين، ولكنّ اليهود زعموا[٣] أن ذلك

---

(١) **قوله**: [مسلك رعاية عادات القوم] مثاله في الإسلام ما أخرجه الإمام أبو داود عن أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ((ما هذان اليومان)) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر)). (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين، ١/٤١٨، الحديث: ١١٣٤)

(٢) **قوله**: [ومعنى وصيّة الأخذ...إلخ] ذكر القرآن الكريم وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام حيث قال تعالى: ﴿وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ ؕ يٰبَنِيَّ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ۞ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ ۙ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْۢ بَعْدِيْ ؕ قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا ۚۖ وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣].

(٣) **قوله**: [ولكنّ اليهود زعموا] بيّن الله تعالى زعمهم والردّ عليهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ وَالنَّصٰرٰى نَحْنُ اَبْنٰٓؤُا اللّٰهِ وَاَحِبَّآؤُهٗ ؕ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوْبِكُمْ ؕ بَلْ اَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ؕ يَغْفِرُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨]، بقوله: ﴿وَقَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّآ اَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً ؕ قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُّخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهٗٓ اَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ۞ بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْٓـَٔتُهٗ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١].

التشريف دائر مع اسم اليهودي والعبري والإسرائيلي، ولم يعلموا أنه دائر على صفة الانقياد[(١)] والخضوع والسير على الحق الذي أنزله الله تعالى على الأنبياء لا غير. وقد رسخت في أذهانهم من هذا القبيل التأويلات الفاسدة المأخوذة من آبائهم وأجدادهم، فأزال القرآن هذه الشبهات على وجه أتمّ.

بيان كتمان آيات التوراة

أما كتمان الآيات: فهو أنهم كانوا يُخفون بعض الأحكام والآيات ليحافظوا على جاه شريف، أو ليحصلوا على منصب عزيز، خائفين من ذهاب اعتقاد الناس بإمارتهم، وحَذرين من ملامتهم بترك العمل على تلك الآيات.

بعض أمثلة الكتمان

١ – فمن جملة ذلك: أن حكم الرجم للزاني مذكور في التوراة، وقد تركوه لإجماع أحبارهم على ترك الرجم وإقامة الجَلد، وتسخيم الوجه مقامه، ويكتمون تلك الآية مخافة الفضيحة[(٢)].

تسويده، يقال: «سخَّم الله وجهَهُ» أي: سوَّده.

---

(١) **قوله:** [أنه دائر على صفة الانقياد] قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١١-١١٢].

(٢) **قوله:** [ويكتمون تلك الآية...إلخ] كما رواه مسلم في صحيحه ((عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ قَالُوا نَعَمْ فَدَعَا رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ قَالَ لا وَلَوْلا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ)). (صحيح مسلم، كتاب

أم إسماعيل عليهما السلام.

٢- ومن جملة ذلك: تلك الآيات التي فيها بشارة ببعثة نبي في أولاد هاجر وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وفيها إشارة بوجود ملّة يتمّ ظهورها وشهرتها في أرض الحجاز، وتمتلي بها جبال عرفة من التلبية، ويقصدون ذلك الموضع من أطراف الأقاليم، وهي ثابتة في التوراة إلى الآن، وكانوا يؤوِّلونها بأن ذلك إخبار بوجود هذه الملة، وأنه ليس فيه أمر بالأخذ بها، وكانوا يقولون: "ملحمة كتبت علينا"(١). ولكن لما كان عامة اليهود أنفسهم لا تقبل نفوسهم هذه التأويلات الركيكة الباطلة، ولا يعترفون بصحتها وسلامتها، كانوا يتواصون فيما بينهم أن لا يفشوا هذا السر ولا يتعالنوه فيما بينهم، كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:٧٦]، ما أجهلَهم كيف تُحمل منة الله سبحانه وتعالى على هاجر وإسماعيل بهذه المبالغة وذكر هذه الأمة بهذا التشريف على الإخبار بوجود تلك الملة، ولا يكون فيه حث وتحريض وترغيب في الأخذ بالتديّن بها، سبحانك هذا إفك عظيم.

الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزني، صـ٩٣٥، حديث:١٧٠٠) وفيه ((عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَقَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا وَرَاءَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا)).. إلخ. (صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود اهل الذمة في الزني، صـ٩٣٤، حديث:١٦٩٩)

(١) **قوله**: [ملحمة كتبت علينا] الملْحمة: وهي الوقعة العظيمة في الحرب، واعلم أن اليهود قد زعمت أن شوكة الإسلام وعظمته خذلان من الله سبحانه لهم قد كتبت عليهم، ولا فرار لهم منه كما روي عن حيي بن أخطب عندما يئست بنو النضير من النصر، وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صويراء يقولان لحيي: أين نصر بن أبيّ الذي زعمت؟ قال حيي: ما أصنع؟ هي ملحمة كتبت علينا. (المغازي، ١/٣٧١، سبل الهدى والرشاد، ٤/٣٢٢) وعندما أتي بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يُخذل ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه. (سيرة ابن هشام، صـ٣٩٨-٣٩٩)

أسباب الإلحاق ما ليس منها بها افتراء منهم

← قسم من التحريف.

أما الافتراء فله أسباب منها:

دخول التعمق والتشدّد[١] على أحبارهم ورهبانهم.

والاستحسان[٢] يعني استنباط بعض الأحكام لإدراك بعض المصلحة فيه بدون نص الشارع.

وترويج الاستنباطات الواهية. فألحق أتباعُهم بالأصل، وكانوا يزعمون أن اتفاق سلفهم من الحجج القاطعة، فليس لهم في إنكار نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام مستند إلا أقوال السلف، وكذلك في كثير من الأحكام.

---

(١) **قوله:** [التعمّق والتشدّد] يقول الإمام شاه ولي الله في حجة الله البالغة: حقيقة التعمّق: أن يأمر الشارع بأمر وينهى عن شيء فيسمعه رجل من أمته، ويفهمه حسبما يليق بذهنه، فيعدي الحكم إلى ما يشاكل الشيء بحسب بعض الوجوه أو بعض أجزاء العلة أو إلى أجزاء الشيء ومظانه ودواعيه، كما أن الشارع لما شرع الصوم لقهر النفس ومنع عن الجماع فيه ظن قوم أن السحور خلاف المشروع؛ لأنه يناقض قهر النفس، وأنه يحرم على الصائم قبلة امرأته لأنها من دواعي الجماع، ولأنها تشاكل الجماع في قضاء الشهوة، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فساد هذه المعاملة وبين أنه تحريف. وحقيقة التشدد: اختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كـ: دوام الصيام والقيام التبتل وترك التزوج، وأن يلتزم السنن والآداب كالتزام الواجبات، فإذا صار هذا المتعمق أو المتشدد معلم قوم ورئيسهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه، وهذا داء رهبان اليهود والنصارى. (حجة الله البالغة، ١/١٢٠-١٢١)

(٢) **قوله:** [الاستحسان] يقول الإمام شاه ولي الله في حجة الله البالغة: حقيقته أن يرى رجل الشارع يضرب لكل حكمة مظنة مناسبة، ويراه يعقد التشريع، فيختلس بعض ما ذكرنا من أسرار التشريع، فيشرع للناس حسبما عقل من المصلحة. كما أن اليهود رأوا أن الشارع إنما أمر بالحدود زجرا عن المعاصي للإصلاح، ورأوا أن الرجم يورث اختلافا وتقاتلا بحيث يكون في ذلك أشد الفساد، واستحسنوا تحميم الوجه والجلد، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه تحريف ونبذ لحكم الله المنصوص بالتوراة بآرائهم. (حجة الله البالغة، ١/١٢١)

سبب التساهل والتعصّب

وأما التساهل في إقامة أحكامها وارتكاب البخل والحرص فظاهر أنه من مقتضيات النفس الأمّارة، ولا يخفى أنها تغلب الناس جميعا إلا من شاء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣]، إلا أن هذه الرذيلة قد ظهرت في أهل الكتاب بلون آخر(١) فكانوا يتكلّفون تصحيحَها بتأويل فاسد، ويُظهرونها في صورة التشريع.

أسباب استبعاد رسالة نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم

وأما استبعاد رسالة نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم، فله أسباب متعددة منها:

كالفقر والغناء.

اختلاف عادات الأنبياء وأحوالهم، في إكثار التزوج والإقلال(٢)، وما أشبه ذلك.

واختلاف شرائعهم.

واختلاف سنة الله في معاملة الأنبياء.

وبعثة نبي من بني إسماعيل، ولقد كان جمهور الأنبياء من بني إسرائيل، وأمثال ذلك.

وظيفة النبوة في إصلاح الناس وسبب اختلاف الشرائع

أي في اختلاف شرائعهم.

والأصل في هذه المسئلة أن النبوة بمنزلة إصلاح نفوس العالم، وتسوية عاداتهم وعباداتهم،

---

(١) **قوله:** [قد ظهرت في أهل الكتاب بلون آخر] إشارة إلى جواب سؤال مقدر تقريره: أن اتباع النفس الأمّارة ليس من خواصّ اليهود بل وقع فيه كثير من أمّة نبيّنا صلى الله عليه وسلم فلماذا عدّ المصنف من ضلالات اليهود فأجاب بأن اتباع النفس الأمارة أخذت فيهم لونا آخر فإنهم ارتكبوا المنكرات وسمّوها شريعة منزلة من الله تعالى مكابرة وبهتانا.

(٢) **قوله:** [إكثار التزوج والإقلال] منهم من ثبت له تعديد الزوجات كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، وكسليمان عليه السلام، ومنهم من لم يتزوج أصلاً كـ: يحيى عليه السلام، إذ قال الله فيه: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ [آل عمران:٣٩].

لا إيجاد أصول برّ وإثم، ولكل قوم عادات في العبادات وتدبير المنـزل والسياسة المدنية؛ فإذا حدثت النبوة فيهم لا تستأصل تلك العادات بالمرّة، ولا تستأنف إيجاد عادةٍ أخرى، بل يُميّز النبي من العادات ما كان مطابقا للقاعدة وموافقا لما يرضى الله سبحانه وتعالى فيبقيه، وما كان منها بخلاف ذلك فيُغيّره بقدر الضرورة، والتذكير بآلاء الله وبأيام الله أيضا يكون على هذا الأسلوب كما يكون شائعا فيما بينهم فيألفونها، فاختلف شرائع الأنبياء بهذه النكتة، وهذا الاختلاف كإختلاف الطبيب إذا دبّر أمر المريضين، فيصف لأحدهما دواء باردا وغذاء باردا، ويأمر الآخر بدواء حار وغذاء حار، وغرض الطبيب في الموضعين واحد، وهو إصلاح الطبع وإزالة المفسد لا غير، وقد يصف في كل إقليم[١] دواء وغذاء على حدة بحسب عادة الإقليم، ويختار في كل فصل تدبيرا موافقا بحسب طبع الفصل.

وهكذا الحكيم الحقيقي جلّ مجده لما أراد أن يعالج من ابتلي بالمرض النفساني، ويُقوّي الطبعَ والقوةَ الملكية، ويُزيل المفاسد، اختلفت المعالجة بحسب اختلاف أقوام كل عصر، واختلاف عاداتهم ومشهوراتهم ومسلّماتهم.

توضيح أحوال اليهود بالمثال

وبالجملة فإن شئت أن ترى أنموذج اليهود فانظر إلى علماء السوء الذين يطلبون الدنيا، وقد اعتادوا تقليد السلف[٢]، وأعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة، وتمسّكوا بتعمّق عالم

---

(١) **قوله:** [إقليم] جزء من الأرض تجتمع فيه صفات طبيعية أو اجتماعية تجعله وحدة خاصة.

(٢) **قوله:** [وقد اعتادوا تقليد السلف] مراد المصنّف من هذا التقليد الأعمى والتعصب الممقوت الذي يخالف الكتاب والسنة ويتّبع النفس والهوى، وإليه أشار بقوله في حجة الله البالغة: "ومنها تقليد غير المعصوم أعني غير النبي الذي ثبتت عصمته، وحقيقته أن يجتهد واحد من علماء الأمة في مسألة، فيظن متّبعوه أنه على الإصابة قطعا أو غالبا، فيردوا به حديثا صحيحا، وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأمة

وتشدده واستحسانه، فأعرضوا عن كلام الشارع المعصوم، وتمسّكوا بأحاديث موضوعة وتأويلات فاسدة، فكأنهم هم اليهود في اختيار هذه الأمور.

ذكر النصارى

أما النصارى(١) فكانوا مؤمنين بعيسى عليه الصلاة والسلام.

وكان من ضلالتهم أنهم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى ثلاث شعب متغايرة بوجهٍ متحدة بآخر، ويسمّون الشعب الثلاثة أقانيم ثلاثة(٢):

المرحومة ، فإنهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بأن المجتهد يخطئ ، ويصيب إلخ"، (حجة الله البالغة، ١/١٢١) وأما التقليد للمذاهب الأربعة المروّجة فالمصنف حنفي وأكّد على الأخذ به حيث قال: ومما يناسب هذا المقام التنبيه على مسائل ضلّت في بواديها الأفهام وزلّت الأقدام، وطغت الأقلام منها أن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة -أو من يعتد به منها- على جواز تقليدها إلى يومنا هذا، وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى لا سيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جدا، وأشربت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه. (حجة الله البالغة، ١/١٥٤)

(١) **قوله:** [النصارى] النصارى قيل سموا بذلك لقوله: ﴿كُونُوٓا أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤]، وقيل: سموا بذلك انتسابا إلى قرية يقال لها نصران، فيقال نصراني وجمعه نصارى. (المفردات،صـ٤٩٥)

(٢) **قوله:** [أقانيم ثلاثة] يعتقد الجمهور الأعظم من النصارى أن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاث، والأقنوم لفظة يونانية تعني الشخص Person، وهذه الأقانيم أو الأشخاص الثلاث هي: الأب، وهو الخالق لكل شيء والمالك والضابط للكل، وابنه، المولود منه أزلا المساوي لأبيه في الألوهية والربوبية؛ لأنه منه، والروح القدس، وهذه الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر والإرادة والمشيئة، إلا أن هذا لا يعني أنها شخص واحد بل هم أشخاص ثلاثة، كل واحد منهم إله كامل في ذاته غير الآخر، فالأب إله كامل، والابن إله كامل غير الأب، وروح القدس أيضا إله كامل غير الأب والابن، ولكن مجموع الثلاثة لا يشكل ثلاث آلهة -كما هو مقتضى الحساب- بل يشكل إلها واحدا، ويعترفون أن هذا لا سبيل لفهمه وإدراكه بالعقل ويسمونه "سرّ التثليث". (الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن، ١/١٠)

↵أي واجب الوجود.

أحدها: الأب، وذلك بإزاء[1] المبدأ للعالم.

والثاني: الابن، وهو بإزاء الصادر الأول[2]، وهو معنى عام شامل لجميع الموجودات.

والثالث: روح القدس، وهو بإزاء العقول المجردة[3].

عقيدتهم

وكانوا يعتقدون أن أقنوم الابن تدرّع[4] بروح عيسى عليه الصلاة والسلام، يعني ظهر الابن بصورة روح عيسى، كما أن جبريل عليه السلام يظهر بصورة الإنسان، ويزعمون أن عيسى عليه الصلاة والسلام إله، وأنه ابن الله أيضا، وأنه بشر تجري عليه الأحكام البشرية والإلاهية معا[5]،

---

(١) **قوله**: [**بإزاء**] وضّح المصنّف ثالوث النصارى بثالوث الفلاسفة.

(٢) **قوله**: [**الصادر الأول**] قال الحكماء: الصادر الأول من البارئ تعالى هو العقل الكلّ وله ثلاثة اعتبارات: وجوده في نفسه ووجوبه بالغير وإمكانه لذاته، فيصدر عن العقل الكلِّ بكل اعتبار أمر، فباعتبار وجوده يصدر عنه عقل ثان، وباعتبار وجوبه بالغير يصدر نفس، وباعتبار إمكانه يصدر جسم، وهو فلك الأفلاك. (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢/١١٩٥)

(٣) **قوله**: [**العقول المجردة**] إنّ الحكماء ذهبوا إلى أنّ الملائكة هم العقول المجرّدة والنفوس الفلكية. (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢/١٦٤١)

(٤) **قوله**: [**أقنوم الابن تدرّع**] تَدَرَّعَ لبس الدرع ومن المَجَازِ: ادَّرَعَ فُلانٌ اللَّيلَ إذا دَخَلَ في ظُلمَته يَسري والأَصلُ فيه تَدَرَّعَ كأَنَّهُ لَبِسَ ظُلمَةَ اللَّيلِ فاستَتَرَ بِهِ. يعني أقنوم الابن لبس روح عيسى عليه السلام واستتر به. (الصحاح في اللغة، ٣/١٠٠٤، تاج العروس، ٢٠/٥٤٤)

(٥) **قوله**: [**تجري عليه الأحكام البشرية والإلاهية معا**] أي هو بشر حقيقي مثلنا تماما تعرض له جميع أعراض الضعف والاحتياج البشرية، وهو في عين الحال إله قادر كامل الألوهية، ويسمون هذا بـ"سر التجسد"، وهكذا فالمسيح حسب تفسير قانون الإيمان المسيحي الذي تقرر في مجمع خلقيدونية سنة٤٥١م، هو شخص واحد ذو طبيعتين، طبيعة إنسانية (ناسوت) وطبيعة إلهية (لاهوت) فهو إله بشر. ونتيجة هذه العقيدة أن يكون عيسى المسيح عليه السلام في نظرهم شخص واحد هو خالق وهو نفسه مخلوق، رازق ومرزوق، قديم وحادث، معبود وعابد، كامل العلم وناقصه، غني ومحتاج...إلخ. (الأناجيل الأربعة، ١/١٠)

وكانوا يتمسكون في هذا الباب ببعض نصوص "الإنجيل"[١]، حيث وقع فيه لفظ الابن[٢]، وقد نسب إلى نفسه بعض الأفعال الإلهية[٣].

والجواب عن الإشكال الأول على تقدير تسليم أنه كلام عيسى ليس فيه تحريف: أن لفظ الابن كان في الزمان القديم بمعنى المحبوب والمقرّب والمختار، كما يدل عليه كثير من

---

(١) **قوله:** [**الإنجيل**] فلو كان لهذا الإنجيل سند لما قال علماؤهم المحققون وبعض الفرق ما قالوا، وقد توجد في زمان تأليف الأناجيل الأربعة روايات واهية ضعيفة بلا سند يعلم منها أيضاً أنه لا سند عندهم لهذه الكتب. قال (هورن) في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨١١: "الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة أبتر وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها، وقَبِلَ الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة". (إظهار الحق، ١/١٥٧)

(٢) **قوله:** [**لفظ الابن**] لقد تكرر وصف المسيح بابن الله في الإنجيل كثيرا وجاء ذلك على أنحاء (١) منها إطلاق عيسى نفسه على نفسه لقب "ابن الله"، وهذا أكثر ما جاء في إنجيل يوحنا، كما في آخر قصة الأعمى من الولادة الذي شفاه المسيح عليه السلام في إنجيل يوحنا: ٩/ ٣٥-٣٧ و١٩/٥-٢٦ و١٠/٣٦ و ١/١٧.

(٢) ومنها قول الحواريين لعيسى عليه السلام: «إنك حقا ابن الله» أو قولهم: «أنت هو المسيح ابن الله الحي»، كما في إنجيل متى: ١٤/٣٣، و١٦/١٦.

(٣) ومنها مناداة الله تعالى في السماء: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرت" كما في إنجيل متى: ٣/١٧ و١٧/٥.

(٤) ومنها إطلاق جبريل لقب"ابن العلي" و"ابن الله" على المسيح، كما في إنجيل لوقا: ١/٣٢ و٣٥. فإذا ثبت أن المسيح هو ابن الله، ثبتت إلهيته؛ لأن الابن لا يكون إلا من نفس جوهر أبيه الذي ولد منه. (الأناجيل الأربعة، صـ٧٢)

(٣) **قوله:** [**وقد نسب إلى نفسه بعض الأفعال الإلهية**] وفي الآية الثالثة والعشرين من الباب الثامن من إنجيل يوحنا هكذا: (فقال لهم أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم) يعني أني إله نزلت من السماء وتجسّمت. (إظهار الحق، ٣/٧٥٩)

القرائن في "الإنجيل"[(١)].

وجواب الإشكال الثاني: ١- أنه على سبيل الحكاية، كما يقول رسول مَلِك من الملوك: يا فلان قد غلبنا الملك الفلاني، وقد أخذنا قلعة كذا، والمعنى في الحقيقة راجع إلى المَلِك، وإنما هو ترجمان محض.

نقش.
٢- وأيضا يحتمل أن يكون طريق الوحي إلى عيسى عليه الصلاة والسلام انطباع المعاني في لوح نفسه من قبل العالم الأعلى، لا تمثّل جبريل بالصورة البشرية وإلقاء الكلام، فربما يجري بسبب هذا الانطباع منه عليه الصلاة والسلام كلام مشعر بنسبة تلك الأفعال إلى نفسه، والحقيقة غير خفية.

---

(١) **قوله:** [القرائن في "الإنجيل"] إن إطلاق لفظ ابن اللّه على المسيح عليه السلام ليس بدليل على ألوهيته لوجهين: أما أولاً فلأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان وبإطلاق ابن داود فلا بد من التطبيق بحيث لا يثبت المخالفة للبراهين العقلية ولا يلزم منه محال، وأما ثانياً فلأنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي لأن معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العالم: مَن تولّد من نطفة الأبوين، وهذا محال ههنا، فلا بدّ من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح، وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقّه بمعنى الصالح، فقد جاء في إنجيل مرقس (باب ٥/آية٣٩): "ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا، وأسلم الروح، قال: "حقا كان هذا الإنسان ابن الله". نفس هذا الموقف أورده لوقا في إنجيله (٢٣:٤٧) فلما رأى قائد المائة ما كان مجّد الله قائلا: "بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًّا"، فما عبر عنه مرقس في إنجيله بعبارة "ابن الله" عبر عنه لوقا بعبارة "بارًّا"، مما يبين أن المراد من عبارة ابن الله ليس إلا كونه بارا صالحا. ومما يؤكد ذلك أن لقب "ابن الله" جاء بعينه، في الإنجيل في حق كل بارٍّ صالح غير عيسى عليه السلام، قوله في إنجيل متى (٩/٥): "طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناءُ الله يُدْعَوْنَ"، وفيه أيضا: "وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات". متى (٥/٤٤-٤٥). وفي إنجيل لوقا (٦/٣٥): "بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا فيكون أجركم عظيما وتكونوا بني العَلِيِّ فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار "فسمَّى الأبرار المحسنين بلا مقابل المتخلِّقين بخُلُق الله بـ"أبناء العلي" و"أبناء أبيهم الذي في السموات". (إظهار الحق،٣/٧٥٢-٧٥٣، الأناجيل الأربعة١/٧٦)

وبالجملة: فقد ردّ الله سبحانه وتعالى هذا المذهب الباطل(١)، وقرّر أن عيسى عبد الله وروحه المقدس، نفخ في رحم مريم الصديقة، وأيده الله سبحانه بروح القدس، ونظر إليه بالعناية الخاصة المرعية في حقه.

وبالجملة لو فرضنا أن الله سبحانه وتعالى ظهر في الكسوة الروحية التي هي من جنس سائر الأرواح، وتدّرع بالبشرية، فهو لا ينطبق لفظ "الاتحاد" على هذا المعنى عند التدقيق والإمعان إلا بتسامح، وأقرب الألفاظ لهذا المعنى "التقويم" ومثله. تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا.

توضيح أحوال النصارى بالمثال

وإن شئت أن ترى أنموذجا لهذا الفريق فانظر اليوم إلى أولاد المشايخ والأولياء، ماذا يظنون بآبائهم؟ فتجدهم قد أفرطوا في إجلالهم كل الإفراط(٢) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَّنْقَلِبُوْنَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

---

(١) **قوله:** [رد الله سبحانه وتعالى هذا المذهب الباطل] قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيْسٰى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ ؕ خَلَقَهٗ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ [آل عمران:٥٩]، ﴿يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَا تَغْلُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ وَلَا تَقُوْلُوْا عَلَى اللهِ اِلَّا الْحَقَّ ؕ اِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلُ اللهِ وَكَلِمَتُهٗ ۚ اَلْقٰهَآ اِلٰى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِّنْهُ ۫ فَاٰمِنُوْا بِاللهِ وَرُسُلِهٖ ۚ وَلَا تَقُوْلُوْا ثَلٰثَةٌ ؕ اِنْتَهُوْا خَيْرًا لَّكُمْ ؕ اِنَّمَا اللهُ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ ؕ سُبْحٰنَهٗٓ اَنْ يَّكُوْنَ لَهٗ وَلَدٌ ۘ لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ؕ وَكَفٰى بِاللهِ وَكِيْلًا﴾ [النساء:١٧١]، ﴿وَاٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿مَا الْمَسِيْحُ ابْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ؕ وَاُمُّهٗ صِدِّيْقَةٌ ؕ كَانَا يَاْكُلٰنِ الطَّعَامَ ؕ اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْاٰيٰتِ ثُمَّ انْظُرْ اَنّٰى يُؤْفَكُوْنَ﴾ [المائدة:٧٥].

(٢) **قوله:** [أفرطوا في إجلالهم كل الإفراط] إن هذه العبارة إما قصد بها العلماء السوء والدجّالين الذين يُخرّبون اسم الإسلام والتصوفِ بالقصص الموضوعة والواهية في آبائهم ومشايخهم (وهم برآء منها) المخالفة للشريعة الإسلامية، أو هذه العبارة مدسوسة على الشيخ لأن التحريف قد شاعت في كتبه كما ذكرنا في المقدمة. وكلام المصنّف رحمه الله في كتبه الأخرى عن والده ومشايخه يعارض هذه العبارة المنحوتة حيث يقول: إني حضرت في الاحتفال بالذكرى المئوية لوالدي، وعندما زُرت قبره

مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والاشتباه

ومن ضلالتهم أيضا أنهم يجزمون بأن عيسى عليه الصلاة والسلام قد قتل، وفي الواقع أنه وقع الاشتباه في قصته[1]، فلما رفع إلى السماء ظنوا أنه قد قتل، ويرون هذا الغلط كابرا عن كابر،

الشريف بدء نـزول الإلهامات الربّانية عليّ من المبشرات. وفي عام١١٥٧هـ عزم الشيخ على الخلوة الصوفية، وطلب لها شاه نور الله وصاحب القول الجلي محمد عاشق اليهلتي من بلادهما، وقبل الدخول في الخلوة ذهب لزيارة قبر والده الشيخ عبد الرحيم، ووقف هُنَيْهَةً أمام القبر الشريف متوجها إلى والده، ورأى الشيخ محمد عاشق أن الشيخ عبد الرحيم قد ظهر لنا بصورته الكريمة، وكنّا في بحر المعرفة، ولا تسئل عن حالنا، والله أعلم بحقيقة الحال. (القول الجلي في ذكر آثار الولي (مترجم)،صـ١٤٦-٢١٤، ملتقطاً)
وأما أقوال شاه ولي الله عن المشايخ والأولياء أيضا تعارض هذه العبارة المدسوسة حيث يقول: وتأدّب شيخنا عبد الرحيم على روح جدّه لأمّه الشيخ رفيع الدين محمد. (القول الجميل في بيان سواء السبيل، صـ٢١٩)
ويقول: "إذا انتقلوا إلى البرزخ كانت تلك الأوضاع والعادات والعلوم معهم لا تفارقهم". وفيه "إذا مات هذا البارع لا يفقد هو ولا براعته بل كل ذلك بحاله". (فيوض الحرمين (مترجم)، صـ١٦-٤٩، ملتقطاً)
ويقول في حجة الله البالغة: واعلم أن الملأ الأعلى ثلاثة أقسام، وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ما زالت تعمل أعمالا منجية تفيد اللحوق بهم حتى طرحت عنهم جلابيب أبدانها، فانسلكت في سلكهم وعدت منهم... إلخ. (حجة الله البالغة،١/١٦) قد ظهر من هذه النصوص أنه يُجلّ والده، ويوقّر المشايخ والأولياء فكيف يمكن الإنكار والتوبيخ على تعظيمهم وإجلالهم. فافهم

(١) **قوله:** [وفي الواقع أنه وقع الاشتباه في قصته] قال الإمام أبو جعفر الطبري بعد ذكر أقوال متعددة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَاقَتَلُوْهُ وَمَاصَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]: وأولى هذه الأقوال بالصواب، أحدُ القولين اللذين ذكرنا هما عن وهب بن منبه: إما أن يكون القوم الذين كانوا مع عيسى في البيت الذي رفع منه من حواريه، حوّلهم الله جميعًا في صورة عيسى حين أراد الله رفعه، فلم يثبتوا عيسى معرفةً بعينه من غيره لتشابه صور جميعهم، فقَتَلت اليهودُ منهم من قَتَلت وهم يُرَونه بصورة عيسى، ويحسبونه إياه، لأنهم كانوا به عارفين قبل ذلك. وظنّ الذين كانوا في البيت مع عيسى مثل الذي ظنت اليهود، لأنهم لم يميِّزوا شخصَ عيسى من شخص غيره، فاتفقوا جميعهم يعني: اليهود والنصارى من أجل ذلك على أن المقتول كان عيسى، ولم يكن به، ولكنه شُبّه لهم، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَاقَتَلُوْهُ وَمَاصَلَبُوْهُ﴾،

فأزال الله سبحانه هذه الشبهة في القرآن العظيم فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، وما ذكر في "الإنجيل" من مقولة عيسى[١]، فمعناه إخبار بجرأة اليهود، وإقدامهم على قتله، وإن كان الله سبحانه وتعالى ينجيه من هذه المهلكة، وأما مقولة الحواريين[٢] فمنشأها وقوع اشتباه، وعدم إطلاع على حقيقة الرفع الذي لا تألفه الأذهان والأسماع.

المقصود من بشارة "فارقليط"

ومن ضلالتهم أيضا أنهم يقولون: إن فارقليط[٣] الموعود ....

أو يكون الأمر في ذلك كان على نحو ما روى عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه: أن القوم الذين كانوا مع عيسى في البيت، تفرقوا عنه قبل أن يدخل عليه اليهود، وبقي عيسى، وألقي شبهه على بعض أصحابه الذين كانوا معه في البيت بعد ما تفرق القوم غيرَ عيسى، وغيرَ الذي ألقي عليه شَبَهه. ورفع عيسى، فقتل الذي تحوّل في صورة عيسى من أصحابه، وظن أصحابُه واليهود أن الذي قتل وصلب هو عيسى، لما رأوا من شبهه به، وخفاء أمر عيسى عليهم؛ لأن رفعه وتحوّل المقتول في صورته، كان بعد تفرق أصحابه عنه. فلم يستحق الذين حكوا ذلك من حواريّيه أن يكونوا كذبة، إذ حكوا ما كان حقًّا عندهم في الظاهر. (تفسير طبري، النساء:١٥٧، ٣٥٤/٤-٣٥٥)

(١) **قوله:** [مقولة عيسى] جاء في إنجيل متّى (٢:٢٦) قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: تَعلَمُونَ أَنَّهُ بَعدَ يَومَينِ يَكُونُ الفِصحُ، وَابنُ الإِنسانِ يُسلَّمُ لِيُصلَبَ. وفي (٤٥:٢٦) ثم رجع إلى التلاميذ وقال لهم: أيام بعد ومستريحون؟ جاءت الساعة التي فيها يُسلّم ابن الإنسان إلى أيدي الخاطئين، قوموا ننصرف، اقترب الذي يُسلّمني. (العهد الجديد ٤٨)

(٢) **قوله:** [مقولة الحواريين] جاء في إنجيل متّى (٥٠:٢٧) مقولتهم: "فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح". وفي إنجيل لوقا (٤٦:٢٣): "ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي". (إظهار الحق، ٧٤١/٣) ولما قال هذا أسلم الروح.

(٣) **قوله:** [فارقليط] **الفارقليط**: تعريب للَّفظ اليوناني (بيركلوطوس) الموجود في الإنجيل بالترجمة اليونانية، ومعنى هذه الكلمة محمَّد وأحمد. وأن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني. (إظهار الحق، ١١٨٧/٤) قال الإمام الرازي: أما (الفارقليط) ففي تفسيره وجهان أحدهما أنه الشافع المشفع وهذا أيضاً صفته عليه الصلاة والسلام، الثاني قال بعض النصارى: الفارقليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل،

هو عيسى روح الله[١] الذي جاءهم بعد القتل ووصّاهم بالتّمسك بـ"الإنجيل"، ويقولون: أنه وصّى عيسى وأخبرهم بأن المتنبّئين يكثرون[٢]، فمن سمّاني (أي يصدّق نبوّتي.) فاقبلوا كلامه وإلا فلا. فبيّن القرآن العظيم أن بشارة عيسى إنما تنطبق على نبيّنا عليه الصلاة والسلام، لا على الصورة الروحانية لعيسى عليه السلام، لأنه قال في "الإنجيل": إن فارقليط يلبث فيكم مدة من الدهر، ويُعلّم العلم، ويُطّهر الناس ويزكّيهم[٣] ولا يظهر هذا المعنى في غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم[٤]. ....

وكان في الأصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما (ليط) فهو التحقيق في الأمر، كما يقال شيب أشيب ذو شيب، وهذا أيضاً صفة شرعنا لأنه هو الذي يفرق بين الحق والباطل. (تفسير الرازي ٤٨١/٣) وكانت كتب النصارى فيما مضى تحوي بشارات صريحة تحمل اسم محمد أو أحمد عليه الصلاة والسلام أو ما يقاربهما، فما كان من القوم إلا أنهم ترجموا الاسم العلم –أحمد– وحولوه إلى صفة، والأصل أن الاسم العلم عندما يترجم من لغة إلى أخرى يبقى النطق به كما هو، فمثلاً رجل اسمه (كريم) فإذا نقلته إلى الإنجليزية فإنك تكتبها (كريم)، ولكنهم حوّلوها إلى صفة. [علمية]

(١) **قوله:** [هو عيسى روح الله] جاء في إنجيل يوحنا (٢٦:١٤) وأنا أنقل عن التراجم العربية المطبوعة سنة١٨٢١ وسنة١٨٣١ وسنة١٨٤٤ في بلدة لندن، "والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم" جاء في هذه العبارة تفسير فارقليط بروح القدس وروح الحق وهما عبارتان عن الأقنوم الثالث. (إظهار الحق، ١١٩٨/٤) وأما في التراجم الجديدة حذف كلمة "فارقليط" وجاءت عبارته هكذا: وَأَمَّا المُعزي، الرُّوحُ القُدسُ، الَّذي سيُرسِله الأبُ بِاسمِي...إلخ. (التحرير والتنوير، آل عمران: ٨١، ٢٩٨/٣)

(٢) **قوله:** [وصّى عيسى وأخبرهم بأن المتنبّئين يكثرون] جاء في أنجيل متى (١٥:٧) قوله: "اِحْتَرِزُوا مِنَ الأَنْبياءِ الْكَذَبَةِ الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمْلاَنِ، وَلكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلٍ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ".

(٣) **قوله:** [إن فارقليط يلبث فيكم مدة من الدهر...إلخ] في "إنجيل يوحنا" (١٥:١٤): "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليطا آخر، ليثبت معكم إلى الأبد". وفيه (١٤: ٢٦): "، فهو يُعَلِّمكُم كلَّ شَيءٍ، وَيذكّركم بِكُل مَا قُلته لَكُم." وفيه (١٥:٢٦) :" فَهو يَشهد لِي".

(٤) **قوله:** [ولا يظهر هذا المعنى في غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم] لأن عيسى عليه السلام قال:

وأما ذكر عيسى فهو عبارة عن إثبات نبوته، لا أن يسميه: الله، أو: ابن الله.
لـ في البشارة.

ذكر المنافقين

وأما المنافقون فهم على قسمين:

صاحب النفاق العقدي: قوم ينطقون بالشهادتين، وقلوبهم مطمئنة بالكفر(١)، ويضمرون الجحود الصرف في أنفسهم، قال تعالى في حقهم: ﴿إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

صاحب النفاق العملي: وطائفة دخلوا في الإسلام بضعف(٢)، فمنهم من يتّبعون عادة قومهم

(أولاً، **إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي**) ثم أخبر عن فارقليط، فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة إلى هذه الفقرة، لأنه ما كان مظنوناً أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخرى، لأنهم كانوا مستفيضين به من قبل أيضاً. ولأن الوكالة والشفاعة من خواص النبوّة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله، فلا يصدقان على الروح ويصدقان على النبي المبشر به بلا تكلف. ولأن عيسى عليه السلام قال: (**هو يذكركم كل ما قلته لكم**). ولم يثبت من رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام، وهذا الروح النازل يوم الدار ذكّرهم إياه. ولأن عيسى عليه السلام قال: (**هو يشهد لأجلي**). وهذا الروح ما شهد لأجله بين يدي أحد، لأن تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين إلى الشهادة، لأنهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله أيضاً، بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فإنه شهد لأجل المسيح عليه السلام وصدّقه وبرّأه عن ادعاء الألوهية، الذي هو أشد أنواع الكفر والضلال، وبرّأ أمّه عن تهمة الزنا، وجاء ذكر براءتهما في القرآن والأحاديث في مواضع غير محصورة. (إظهار الحق، ٤/ ١١٩١-١١٩٣)

(١) **قوله:** [قوم ينطقون بالشهادتين...إلخ] قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُوْلُ اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِيْنَ﴾ [البقرة:٨]، ﴿إِذَا جَآءَكَ الْمُنٰفِقُوْنَ قَالُوْا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُ اللّٰهِ ۘ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُوْلُهٗ ؕ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ لَكٰذِبُوْنَ﴾ [المنافقون:١]

(٢) **قوله:** [دخلوا في الإسلام بضعف] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين. (المعجم الأوسط، ٦/٣٠٨، حديث:٨٨٦٩)

ويعتادون موافقتهم، إن آمن القوم آمنوا، وإن كفروا كفروا[١].

ومنهم من سيطر على قلوبهم حب لذّات الدنيا الدنيئة، بحيث لم يبق في القلب محل لمحبة الله ومحبة الرسول. ومنهم من ترسّخ في قلوبهم الحرص على المال، والحسد، والحقد، ونحو ذلك حتى لا يشعرون حلاوة المناجاة ولا بركات العبادات. ومنهم من شغفوا بأمور المعاش، وغرقوا فيها حتى لم يبق لهم فرصة للاهتمام بأمر المعاد وللتفكّر فيه. ومنهم من يخطر ببالهم ظنون واهية وشبهات ركيكة في رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، وإن لم يبلغوا درجة يخلعون بها ربقة الإسلام، ويخرجون منه بالكلية، ومنشأ تلك الشكوك جريان الأحكام البشرية على سيدنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وظهور ملة الإسلام في صورة غلبة الملوك على البلاد وما أشبه ذلك. ومنهم من حملتهم محبة القبائل والعشائر على أن يبذلوا الجهد البليغ في نصرتهم وتقويتهم وتأييدهم وإن كان فيه الضرر لأهل الإسلام، ويتهاونون في أمر الإسلام عند هذه المقابلة، وهذا القسم من نفاق العمل ونفاق الأخلاق.

كيفية الاطلاع على قسمي النفاق

ولا يمكن الاطلاع على النفاق الأول أي الاعتقادي بعد سيدنا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنّ ذلك من قبيل علم الغيب، ولا يمكن لنا أن نطلع على ما وقر في القلوب. والنفاق الثاني أي العملي كثير الوقوع، لا سيما في زماننا، وإليه الإشارة في الحديث: ((**ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر**))[٢] ((وهمّ

---

(١) **قوله**: [إن آمن القوم آمنوا...إلخ] كما في وقعة أُحُد انصرفوا ورجعوا مع عبد الله بن أُبي، وتركوا رسول الله والمسلمين.

(٢) **قوله**: [وإذا خاصم فجر] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، صـ٥٠، الحديث:٥٨. بلفظ: ((أربع

المنافق بطنه، وهمّ المؤمن فرسه))[1] إلى غير ذلك من الأحاديث. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أعمالهم وأخلاقهم في القرآن العظيم، وقد ذكر من أحوال الفريقين أشياء كثيرة، لتحترز الأمة منها.

توضيح أحوال المنافقين بالمثال

وإن شئت أن ترى أنموذجا من المنافقين فانطلق إلى مجلس الأمراء، وانظر إلى مصاحبيهم كيف يُفضّلون رضاءهم على رضا الشارع، ولا فرق عند الإنصاف بين من سمع كلامه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وسلك مسلك النفاق، وبين من لم يجد زمانه صلى الله عليه وسلم، وعلموا حكم الشارع بطريق اليقين، ثم آثروا خلاف ذلك وأقدموا على مخالفته، ومن نماذجهم أيضا جماعة من المعقوليين الذين تمكّنت في قلوبهم شكوك وشبهات، حتى تزلزل اعتقادهم في المعاد والحساب، فهؤلاء مثل المنافقين.

مقصد القرآن في بيان المخاصمة

وبالجملة إذا قرأت القرآن فلا تحسب أن المخاصمة كانت مع قوم قد انقرضوا، بل الواقع أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج بحكم الحديث ((**لتتبعن سنن من قبلكم**[2]))...إلخ، فالمقصد الأصلي بيان كليات تلك المفاسد، لا خصوص تلك الحكايات. هذا ما تيسر لي في هذا الكتاب من بيان عقائد الفرق الضالة المذكورة وتقرير أجوبتها، وهذا القدر كاف في فهم معاني آيات المخاصمة إن شاء الله تعالى.

من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر)).

(١) **قوله:** [وهمّ المنافق بطنه] لم نجده.

(٢) **قوله:** [لتتبعن...إلخ] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ٢/٤٦١، حديث: ٣٤٥٦.

الفصل الثاني
في بقية مباحث العلوم الخمسة

أسلوب القرآن في التذكير بآلاء الله وإثبات الذات والصفات

ليعلم أن المقصود من نزول القرآن تهذيب طوائف الناس من العرب والعجم والحضر والبدو، ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يخاطب الناس في "التذكير بآلاء الله" إلا ما تسعه معلوماتهم، وتحيط به مداركهم، وأن لا يخوض في البحوث الدقيقة والتحقيقات النادرة، وأن يساق الكلام في أسماء الله وصفاته عزوجل بطريقة واضحة سهلة يدركها جميع أفراد البشر بفطرتهم، وبمداركهم التي أودعت في أصل خلقهم من دون حاجة إلى ممارسة "الحكمة الإلهية"[١]، ومزاولة "علم الكلام". فأثبت ذات المَبْدَأ (الواجب الوجود.) إجمالا لأن هذا العلم سارٍ في جميع أفراد بني آدم، ولا ترى طائفة منهم في الأقاليم الصالحة والأمكنة القريبة من الاعتدال ينكرون ذلك. ولما امتنع بالنسبة إليهم إثبات الصفات بطريق تحقيق الحقائق مع أنهم إن لم يطّلعوا على الصفات الإلهية لم ينالوا معرفة الربوبية التي هي أنفع الأشياء في تهذيب النفوس اقتضت الحكمة الإلهية أن يختار شيئا من الصفات البشرية الكاملة مما يعلمونها ويجري التمدّح بها فيما بينهم فتستعمل بإزاء المعاني الغامضة (من صفات الله تعالى) التي لا مدخل للعقول البشريّة في ساحة جلالها، وجعل نكتة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٢] وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ترياقا للداء العضال من الجهل المركب، ومنع من الصفات

---

(١) **قوله:** [الحكمة الإلهية] علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بقدرتنا واختيارنا. وقيل هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية. (التعريفات، صـ٦٦)

(٢) **قوله:** [﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾] أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله

البشرية التي تثير الأوهام بجانب العقائد الباطلة في إثبات مثلها، كإثبات الولد، والبكاء، والجزع.

وإن تأملت بإمعان النظر في مسئلة الصفات الإلهية وجدت الجريانَ بطريق العلوم الإنسانية غير المكتسبة، وتمييزَ صفات يمكن إثباتها ولا يقع بها خلل من الصفات التي تثيرها الأوهام الباطلة أمراً دقيقاً، لا تدركه أذهان العامة، لا جرم كان هذا العلم توقيفيا[1] ولم يؤذن لهم في التكلّم بكل ما يشتهون.

أسلوب القرآن في بيان آلاء الله

واختار سبحانه وتعالى من آلائه وآيات قدرته جل وعلا ما تساوت في فهمه الحضر والبدو والعرب والعجم، ولهذا لم يذكر النعم النفسانية المخصوصة بالأولياء والعلماء، ولم يخبر بالنعم الارتفاقية المخصوصة بالملوك. وإنما ذكر سبحانه وتعالى ما ينبغي ذكره، كخلق السموات والأرضين وإنزال الماء من السحاب، وإخراجه من الأرض، وإخراج أنواع الثمار والحبوب والأزهار بواسطة الماء، وإلهام الصناعات الضرورية، والقدرة على فعلها[2]. وقد قرّر في مواضع

تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحّده بالكمال من كل وجه، والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه.[العلمية]

(١) **قوله:** [هذا العلم توقيفيا] والحق أن صفاته وأسماءه توقيفية بمعنى أنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشرع بيان صفاته تعالى عليها كما حررنا في صدر الباب، لكن كثيرا من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلّوا وأضلّوا، وكثير من الصفات وإن كان الوصف بها جائزا في الأصل، لكن قوما من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محملها، وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعا لتلك المفسدة، وكثير من الصفات يوهم استعمالها على ظواهرها خلاف المراد، فوجب الاحتراز عنها فلهذه الحِكم جعلها الشرع توقيفية، ولم يبح الخوض فيها بالرأي. وبالجملة فالضحك والفرح والتبشبش والغضب والرضا يجوز لنا استعمالها والبكاء والخوف ونحو ذلك لا يجوز لنا استعمالها، وإن كان المأخذان متقاربين. (حجة الله البالغة، صـ٦٤)

(٢) **قوله:** [وإخراجه من الأرض...إلخ] كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعٰهَا﴾ [النازعات: ٣١]

كثيرة من التنبيه على اختلاف أحوال الناس عند هجوم المصائب وانكشافها ما كان كثير الوقوع من الأمراض النفسانية.

أسلوب القرآن الكريم في التذكر بأيام الله

واختار من أيام الله يعني الوقائع التي أحدثها الله سبحانه وتعالى كتنعيم المطيعين وتعذيب العصاة ما قرع سمعهم، وكانوا قد سمعوا قصصاً بصورة إجمالية مثل قصص قوم نوح وعاد وثمود التي كان العرب يسمعونها ويتداولونها فيما بينهم كابراً عن كابر، ومثل قصص إبراهيم وأنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فإنها كانت مألوفة لأسماعهم لمخالطة اليهودِ العربَ في قرون كثيرة، ولم يتعرض القرآن الكريم للقصص الغريبة غير مألوفة، ولا أخبار مجازاة (أي جزاءهم على عملهم.) بين الفارس والهنود. كما أنه لم يذكر من القصص المشهورة إلا الأجزاء الضرورية التي تنفع في التذكير والموعظة، ولم يَسْرُد القصص بتمامها مع جميع خصوصياتها. والحكمة في ذلك أن العوام إذا سمعوا القصص النادرة غاية الندرة، أو استقصى بين أيديهم ذكر الخصوصيات يميلون إلى القصص نفسها، ويفوتهم التذكّر الذي هو الغرض الأصلي فيها. ونظير هذا الكلام ما قاله بعض العارفين: إن الناس لما حفظوا قواعد التجويد شغلوا عن الخشوع في التلاوة، ولما ساق المفسرون الوجوه البعيدة في التفسير صار علم التفسير نادرا كالمعدوم.

القصص المتكررة في القرآن الكريم

ومما تكرر من القصص في القرآن الكريم:

قصة خلق آدم من الأرض، وسجود الملائكة له، وامتناع الشيطان منه، وكونه ملعونا،

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ:١٠-١١].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢].
وسعيه بعد ذلك في إغواء بني آدم.

وقصة مخاصمة نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام وأقوامهم في باب التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وامتناع الأقوام من الامتثال بشبهات ركيكة مع ذكر جواب الأنبياء، وابتلاء الأقوام بالعقوبة الإلهية، وظهور نصرته عزوجل للأنبياء وتابعيهم.

وقصة موسى مع فرعون وقومه، ومع سفهاء بني إسرائيل، ومكابرة هذه الجماعة معه عليه الصلاة والسلام، وقيام الله سبحانه وتعالى بعقوبة الأشقياء، وظهور نصرة نبيه مرة بعد مرة.

وقصة خلافة داود وسليمان، وآياتهما وكراماتهما.

ومحنة أيوب ويونس وظهور رحمة الله سبحانه لهما.

واستجابة دعاء زكريا.

وقصص سيدنا عيسى العجيبة من تولّده بلا أب، وتكلّمه في المهد، وظهور الخوارق منه.

فذكرت هذه القصص بأطوار مختلفة، إجمالا وتفصيلا بحسب ما اقتضاه أسلوب السور(١).

القصص غير المتكررة في القرآن الكريم

ومن القصص التي ذكرت مرة أو مرتين فقط:

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٧].
قصة رفع سيدنا إدريس.

ومناظرة سيدنا إبراهيم لنمرود، ورؤيته إحياء الطير، وذبح ولده.

وقصة سيدنا يوسف.

وقصة ولادة سيدنا موسى، وإلقائه في اليمّ، وقتله القبطي، وخروجه إلى مدين، وتزوجه

---

(١) **قوله:** [بحسب ما اقتضاه أسلوب السور] انظر للتفصيل سورة آل عمران والمائدة والأعراف والهود ومريم وطه والانبياء والنمل والشعراء والقصص و"ص" والصافات والقلم.

هناك، ورؤية النار على الشجرة وسماع الكلام منها.

وقصة ذبح البقرة.

وقصة التقاء موسى والخضر.

وقصة طالوت وجالوت.

وقصة بلقيس.

وقصة ذي القرنين.

وقصة أصحاب الكهف(١).

وقصة رجلين تحاورا فيما بينهما(٢).

وقصة أصحاب الجنة(٣).

وقصة رسل عيسى الثلاثة(٤)، والمؤمن الذي قتله الكفار شهيدا(٥).

---

(١) **قوله:** [وقصة أصحاب الكهف] انظر قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، والتقاء موسى والخضر في سورة الكهف، وقصة بلقيس في س٢ورة النمل، وقصة ذبح البقرة، وقصة طالوت وجالوت، ومناظرة سيدنا إبراهيم لنمرود في سورة البقرة، وقصة ذبح ولده في سورة الصافات، وقصة ولادة سيدنا موسى ...إلخ في سورة "طه" والقصص.

(٢) **قوله:** [وقصة رجلين] قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَّحَفَفْنٰهُمَا بِنَخْلٍ وَّجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِّنْهُ شَيْئًا وَّفَجَّرْنَا خِلٰلَهُمَا نَهَرًا ۝ وَّكَانَ لَهٗ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهٖ وَهُوَ يُحَاوِرُهٗ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَّأَعَزُّ نَفَرًا ۝﴾ ...إلخ، [الكهف:٣٢-٣٤].

(٣) **قوله:** [وقصة أصحاب الجنة] قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحٰبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِيْنَ ۝﴾ [القلم:١٧] والجنة: البستان كثير الأشجار الملتفة التي قد تجن الأرض من ضوء الشمس.

(٤) **قوله:** [وقصة رسل عيسى الثلاثة] قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا أَصْحٰبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا الْمُرْسَلُوْنَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوْهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوْا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُوْنَ ۝﴾ ...إلخ، [يس:١٣-١٤].

(٥) **قوله:** [والمؤمن الذي] قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِيْنَةِ رَجُلٌ يَّسْعٰى قَالَ يٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِيْنَ﴾ [يس:٢٠].

وقصة أصحاب الفيل.

فليس المقصود من هذه القصص معرفتها نفسها، بل المقصود[١] انتقال ذهن السامع إلى وَخَامة الشرك والمعاصي وعقوبة الله تعالى عليها، واطْمِئْنان المخلصين بنصرة الله تعالى، وظهور عنايته عزوجل بهم.

بيان التذكير بالموت ومابعده

وقد ذكر جل شانه من الموت وما بعده كيفية موت الإنسان، وعجزه في تلك الساعة[٢]، وعرض الجنة والنار عليه بعد الموت[٣]، وظهور ملائكة العذاب.

وقد ذكر أشراط الساعة: من نزول عيسى[٤]، وخروج الدجال[٥]، ....

---

(١) **قوله:** [بل المقصود] قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، قال الإمام الرازي: وهذا يدل على أن المقصود بالذكر من الأقاصيص والقصص في القرآن العبرة لا مجرد الحكاية. (التفسير الكبير، المائدة:٢٧، ٤/٣٣٨)

(٢) **قوله:** [كيفية موت الإنسان...إلخ] قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

(٣) **قوله:** [وعرض الجنة...إلخ] قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦]، وفي الحديث: ((إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)). (سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ٤/٢٠٨، الحديث:٢٤٦٨)

(٤) **قوله:** [نزول عيسى] قال أبو جعفر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩]، وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى". وعن الحسن في قوله:"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، قال: قبل موت عيسى. والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. (تفسير الطبري، النساء:١٥٩، ٤/٣٥٧-٣٦٠، ملتقطاً)

(٥) **قوله:** [خروج الدجال] قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف:٦١]

وخروج دابة الأرض[١]، وخروج يأجوج ومأجوج،[٢] ونفخة الصعق، ونفخة القيام[٣] والحشر والنشر[٤]، والسؤال والجواب[٥]، والميزان[٦]، وأخذ صحف الأعمال باليمين والشمال[٧]، ودخول المؤمنين الجنة، ودخول الكفار النار، واختصام أهل النار من التابعين والمتبوعين فيما بينهم، وإنكار بعضهم على بعض، ولعن بعضهم بعضا[٨]، واختصاص أهل الإيمان برؤية الله عزوجل[٩]،

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغيره: «إِنَّهُ خُرُوجُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ، كَمَا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَّالِ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ». (تفسير القرطبي، الزخرف: ٦١، ٨/٧٧، الجزء السادس عشر)

(١) قوله: [خروج دابة الأرض] قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم إلخ. (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب دابة الأرض، ٤/٣٩٣، الحديث: ٤٠٦٦)

تنبيه: لم نجد في الأصل الفارسي ذكر "دابة الأرض" وإنما وجدناه في التراجم العربية فأثبتناه.

(٢) قوله: [يأجوج ومأجوج] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

(٣) قوله: [ونفخة الصعق، ونفخة القيام] قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

(٤) قوله: [والحشر والنشر] قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر: ٢٥].

(٥) قوله: [والسؤال والجواب] قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

(٦) قوله: [والميزان] قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

(٧) قوله: [وأخذ صحف الأعمال] قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ١٩و٢٥].

(٨) قوله: [واختصام أهل النار...إلخ] قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٢]، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

(٩) قوله: [واختصاص...إلخ] قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وتلوّن أنواع التعذيب من السلاسل والأغلال، والحميم والغسّاق والزقّوم[(١)]، وأنواع التنعيم من الحور، والقصور، والأنهار، والمطاعم الهنيئة، والملابس الناعمة، والنساء الجميلة، وصحبة أهل الجنة فيما بينهم صحبة طيبة مفرحة للقلوب، فتفرقت هذه القصص في سور مختلفة بإجمال وتفصيل بحسب اقتضاء أسلوبها.

بيان علم الأحكام

والكلية في مباحث الأحكام: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بُعث بالملّة الحنيفية، فلزم بقاء شرائع تلك الملّة، وعدم التغيير في أمهات تلك المسائل سوى تخصيص العموم وزيادة التوقيتات (كتعيين وقت الصلوة والصوم.) والتحديدات (كما في تعدد الزواج.) ونحوها، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يزكّي العرب بحضرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، ويزكّي سائر الأقاليم بالعرب، فلزم أن تكون مادة (الأصول والعناصر.) شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم مناسبا لتقاليد العرب[(٢)] وعاداتهم، وإذا نظرت إلى مجموع شرائع الملة الحنيفية، ولاحظت تقاليد العرب وعاداتهم، وتأمّلت تشريعه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي بمنزلة الإصلاح والتسوية[(٣)] وجدت لكل حكمٍ سببا، وعلمت لكل أمر ونهي مصلحة، وتفصيل الكلام قد يطول.

---

(١) **قوله:** [أنواع التعذيب...إلخ] قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]، ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤].

(٢) **قوله:** [تقاليد العرب] التي توارثوها من الملّة الحنيفية ولو غيّروا شكلها مع بقاء الأصل.

(٣) **قوله:** [بمنزلة الإصلاح والتسوية] قد فصّل المؤلف رحمه الله هذا البحث في كتابه: حجة الله البالغة في باب بيان ما كان عليه حال أهل الجاهلية فأصلحه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: إن كنت تريد النظر في معاني شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحقق أولا حال الأميين الذين بعث فيهم التي هي مادة تشريعه، وثانيا: كيفية إصلاحه لها بالمقاصد المذكورة في باب التشريع والتيسير وأحكام الملة. (حجة الله البالغة، ١/١٢٤)

دور القرآن الكريم في إصلاح الملّة الحنيفية المحرّفة

وبالجملة فقد وقع في العبادات من الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج والذِكر فتورٌ عظيمٌ لأجل التساهلِ في إقامتها، واختلافِ الناس فيها بسبب عدم المعرفة في أكثرها، ودخولِ تحريفات أهل الجاهلية فيها، فأسقط القرآن هذا الخلل منها وسوّاها حتى استقام أمرها.

وأما تدبير المنزل فقد كان وقع فيه رسوم ضارّة وأنواع تعدٍ وعتوٍ. وكذلك أحكام السياسة المدنية كانت مختلّة، فضبط القرآن العظيم أصولها وحدودها ووقتها، وذكر من هذا الباب أنواع الكبائر وكثيرا من الصغائر.

القرآن أجمل والسنة فصلت

وذكر مسائل الصلاة بطريق الإجمال، وذكر فيها لفظ إقامة الصلاة، ففصّلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالأذان وبناء المساجد، والجماعه، والأوقات، وذكر مسائل الزكاة أيضا بالاختصار، ففصّلها صلى الله تعالى عليه وسلم تفصيلا. وذكر الصوم والحج في سورة البقره، والجهاد في سورة البقرة والأنفال وفي مواضع متفرقة، والحدود في المائدة والنور، والميراث في سورة النساء، والنكاح والطلاق في سورة البقرة والنساء والطلاق وغيرها.

التعريضات والإشارات التي تحتاج إلى البيان

وإذا عرفت القسم الذي تعمّ فائدته جميع الأمة فهنالك قسم آخر يتعلق بالحوادث والوقائع الخاصة وإن كان حكمها عاماً، وذلك مثل:

أنه كان يعرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم سؤال فيجيب(١).

---

(١) **قوله:** [سؤال فيجيب] كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ ۬ قُلْ مَاۤ اَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة:٢١٥]، و﴿يَسْـَٔلُوْنَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ ؕ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ﴾ [الأنفال:١].

أو تقع حادثة يجود فيها المؤمنون بأنفسهم وأموالهم ويجبن فيها المنافقون ويبخلون، فيمدح الله تعالى[1] في كتابه المؤمنين، ويذم المنافقين[2] ويتوعدهم وينذرهم بالعذاب الأليم.

أو وقعت حادثة من قبيل نصرة على الأعداء وكفّ ضررهم[3]، فمنّ الله سبحانه وتعالى على المؤمنين، وذكّرهم بتلك النعمة.

أو عرضت حالة تحتاج إلى تنبيه وزجر[4]، أو تعريض أو إيماء[5]، أو أمر، أو نهي، فأنزل الله سبحانه في ذلك الباب ما كان من هذا القبيل، فلا بد للمفسر من ذكر تلك القصص بطريق الإجمال. التي لا تنكشف معاني الآيات إلا ببيانها.

وقد جاءت تعريضات بقصة بدر في سورة الأنفال[6]، وبقصة أحد في سورة آل عمران[7]،

---

(١) قوله: [فيمدح الله تعالى] قال تعالى: ﴿لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ ؕ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ [التوبة:٨٨].

(٢) قوله: [ويذم المنافقين] قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْٓا اَنْ يُّجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ ؕ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا ؕ لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ﴾ [التوبة:٨١].

(٣) قوله: [نصرة على الأعداء وكفّ ضررهم] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرٍ وَّاَنْتُمْ اَذِلَّةٌ ۚ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾ [آل عمران:١٢٣]، ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اذْكُرُوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُوْدٌ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا وَّجُنُوْدًا لَّمْ تَرَوْهَا ؕ وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرًا﴾ [الأحزاب:٩].

(٤) قوله: [تنبيه وزجر] قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنٰفِقِيْنَ فِئَتَيْنِ وَاللّٰهُ اَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوْا﴾..إلخ [النساء:٨٨].

(٥) قوله: [تعريض أو إيماء] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهٗٓ اِذْ تَحُسُّوْنَهُمْ بِاِذْنِهٖ ۚ حَتّٰٓى اِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَآ اَرٰىكُمْ مَّا تُحِبُّوْنَ﴾...إلخ، [آل عمران:١٥٢].

(٦) قوله: [سورة الأنفال] قال تعالى: ﴿اِذْ يُوْحِيْ رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰٓئِكَةِ اَنِّيْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ؕ سَاُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوْا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢].

(٧) قوله: [سورة آل عمران] قال تعالى: ﴿اِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعٰنِ ۙ اِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوْا وَلَقَدْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وبالخندق في سورة الأحزاب[١]، وبالحديبية في سورة الفتح، وبغزوة بني النضير في سورة الحشر[٢]، وجاء الحث والتحريض على فتح مكة[٣] وغزوة تبوك[٤] في سورة براءة، والإشارة إلى حجة الوداع[٥] في سورة المائدة، والإشاره إلى قصة نكاح زينب في سورة الأحزاب[٦]، وتحريمِ السُرِّيَّة في سورة التحريم[٧]، وقصةِ الإفك في سورة النور[٨]، واستماعِ الجن[٩] تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم في سورة الجن والأحقاف، ومسجدِ الضرار[١٠] في سورة براءة، وأشير إلى قصة الإسراء في أول سورة بني إسرائيل، وهذا القسم أيضا في الحقيقة من باب التذكير بأيام الله، ولكن لما توقّف حل التعريضات فيه على سماع القصة ميّز من سائر الأقسام.

---

(١) قوله: [سورة الأحزاب] قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٩-٢٧].

(٢) قوله: [سورة الحشر] قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾...إلخ، [الحشر:٢].

(٣) قوله: [فتح مكة] قال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣].

(٤) قوله: [غزوة تبوك] قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

(٥) قوله: [حجة الوداع] قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة:٣].

(٦) قوله: [سورة الأحزاب] قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

(٧) قوله: [سورة التحريم] قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم:١]، والسُرِّيَّة: الأمة، وسميت الجارية سُرية لأنها موضع سرور الرجل.

(٨) قوله: [سورة النور] قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾...إلخ. [النور:١١].

(٩) قوله: [واستماع الجن...إلخ] قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:١]، و﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف:٢٩].

(١٠) قوله: [مسجدِ الضرار...إلخ] قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾...إلخ. [التوبة:١٠٧].

الباب الثاني
في بيان وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بالنسبة إلى أذهان أهل الزمان وإزالة ذلك الخفاء بأوضح بيان

مَوْهِبَة، مَلَكَةٌ عَقْلِيّة.

ليعلم أن القرآن قد نزل بلغة العرب الخُلّص غير ذي عوج، وهم فهموا معنى منطوقه بقريحة جُبِلوا عليها كما قال: ﴿وَالْكِتٰبِ الْمُبِيْنِ﴾، وقال: ﴿قُرْءٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ [الزخرف:٢-٣]، وقال: ﴿أُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١]، ولم يرض الشارع بالخوض في تأويل متشابه القرآن، وتصوير حقائق الصفات الإلهية، وتسمية المبهم، واستقصاء القصص، وما أشبه ذلك، ولذلك قلّ سؤال الصحابة رضي الله عنهم(١) للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن مثل ذلك، ولم يرفع في هذا الباب من الأحاديث إلا شيء قليل. ولكن لمّا مضت تلك الطبقة وداخلهم العجمُ، وأُهملت تلك اللغة الفصيحة، استصعب فهم المراد في بعض المواضع، واحتيج إلى تفتيش اللغة والنحو، وجرت المناقشات والأسئلة والأجوبة، وصنفت كتب التفسير، فلزم أن نذكر مواضع الصعوبة(٢) إجمالا مع أمثلة فيها، لئلا يحتاج المفسر عند الخوض إلى بيان مزيد، ولا يضطر إلى المبالغة في الكشف عنها وشرحها فنقول:

---

(١) **قوله**: [قلّ سؤال الصحابة رضي الله عنهم] روى سَعِيد بن جُبَير عَن ابنِ عباس رَضِيِ الله عنهما قال: ما رأيت قوما خيرا من أصحاب مُحَمد صلى الله عليه وسلم ما سألوا إلاّ عن ثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن. (مسند البزار، ١١/٢٧٤، الحديث:٥٠٦٥)

(٢) **قوله**: [مواضع الصعوبة] ذكر المؤلف رحمه الله تعالى لها أسبابا عشرة، وتحدث عن الأول وهو غريب القرآن في الفصل الأول، وتكلّم عن تمييز الناسخ والمنسوخ في الفصل الثاني، وعن معرفة أسباب النزول في الفصل الثالث، وفي الفصل الرابع بدء الكلام من السبب الرابع إلى السبب التاسع، يعني تكلم عن الحذف والإبدال والتقديم والتأخير واستعمال المتشابهات والتعريضات والكنايات، والاستعارة المكنية، ثم تحدث عن المحكم والمتشابه والكناية والتعريض والمجاز العقلي في الفصل الخامس.

بيان مواضع الصعوبة في فهم الكلام

إن عدم الوصول إلى فهم المراد باللفظ يكون:

- تارة بسبب استعمال لفظ غريب، وعلاجه نقل معنى اللفظ عن الصحابة والتابعين وسائر أهل المعاني[١].
- ومرة يكون ذلك لعدم تميز المنسوخ من الناسخ.
- ومرة يكون لغفلة عن سبب النـزول.
- وحينا يكون بسبب حذف المضاف أو الموصوف أو غيرها.
- وحينا لإبدال شيء مكان شيء، أو إبدال حرف بحرف، أو اسم باسم، أو فعل بفعل، أو لذكر الجمع موضع المفرد وبالعكس، أو لاستعمال الغيبة مكان الخطاب.
- وأحيانا بتقديم ما حقّه التأخير وبالعكس.
- وأحيانا بسبب انتشار الضمائر وتعدّد المراد من لفظ واحد.
- وتارة بسبب التكرار والإطناب.
- وتارة بسبب الاختصار والإيجاز.
- ومرة بسبب استعمال الكناية والتعريض والمتشابه والمجاز العقلي.

فينبغي لأهل السعادة من الأحباب أن يطّلعوا في مبدأ الكلام على حقيقة هذه الأمور، وشيء من أمثلتها، ويكتفوا في موضع التفسير بإشارة ورمز.

---

(١) **قوله:** [أهل المعاني] قال الشيخ ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتاب التفسير "قال أهل المعاني" فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري. (الإتقان في علوم القرآن، ١/٣٥٣)

الفصل الأول
في شرح غريب القرآن

وأحسن الشروح[١] لغريب القرآن ما صح عن ترجمان القرآن عبد الله ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة[٢] واعتمده البخاري في صحيحه غالبا، ثم طريق الضحاك[٣] عن ابن
الإتقان، النوع السادس والثلاثون، ١/٣٨٢.
عباس، وجواب ابن عباس عن أسئلة نافع ابن الأزرق[٤]، وقد ذكر السيوطي هذه الطرق
النوع الثمانون، ٢/١٢٣٠.
الثلاث في الإتقان. ثم ما نقله البخاري من شرح الغريب عن أئمة التفسير، ثم ما رواه سائر المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين من شرح الغريب.

---

(١) **قوله**: [أحسن الشروح] ذكر في بعض التراجم: "أحسن الطرق" وهذا خطاء، لأن في الأصل الفارسي قال: "وبهترين شرح غريب آن است" وأيضا "ما صح عن ترجمان القرآن" خبر "أحسن الشروح" ولا يعقل أن تجعله خبر"أحسن الطرق".

(٢) **قوله**: [ابن أبي طلحة] هو علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس سكن حمص، أرسل عن ابن عباس ولم يره، من الطبقة السادسة، صدوق قد يخطىء، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة. م د س ق. (تقريب التهذيب،صـ٦٩٨) وفي العجاب: صدوق لم يلق ابن عباس لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة. (العجاب في بيان الأسباب، ٢/١٣١٠)

تنبيه: قد عرفنا أن البخاري اعتمد على علي بن أبي طلحة ولكن ليس في صحيحه كما زعم شاه ولي الله تبعا للسيوطي في الإتقان وقوله: (واعتمده البخاري في صحيحه غالبا) لأن الحافظ ابن حجر لم يعدّه من رجال البخاري في التقريب حيث رمز له (م د س ق)، ولم نجد له رواية في صحيح البخاري.

(٣) **قوله**: [الضحاك] هو الضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني، وهو صدوق عن ابن عباس ولم يسمع منه شيئا، كثير الإرسال من الطبقة الخامسة. وثقه أحمد وابن معين والدارقطني. إنما اشتهر بالتفسير. مات سنة ١٠٥هـ. (تهذيب التهذيب، ٤/٨٠، تقريب التهذيب، صـ٤٥٩)

(٤) **قوله**: [نافع ابن الأزرق] هو نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، وإليه تنسب الأزارقة، قتل في سنة ٦٥هـ، صحب في أول أمره عبد الله ابن عباس. وله أسئلة عن ابن عباس في جزء، أخرج الطبراني بعضها في "مسند ابن عباس" من "المعجم الكبير". (الأعلام ٧/٣٥١، لسان الميزان، ٧/١٦١-١٦٢)

ومن المستحسن عندي أن أجمع في الباب الخامس من الرسالة جملة صالحة من شرح غريب القرآن مع أسباب النـزول، فأجعلها رسالة مستقلة[١]، فمن شاء أدخلها في هذه الرسالة، ومن شاء أفردها على حدة، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

ومما ينبغي أن يعلم ههنا أن الصحابة والتابعين ربما يفسرون اللفظ بلازم معناه، وقد يتعقب المتأخرون التفسير القديم من جهة تتبّع اللغة وتفحّص موارد الاستعمال. والغرض من هذه الرسالة سرد تفسيرات السلف بعينها. ولتنقيحها ونقدها موضع غير هذا الموضع، ولكل مقام مقال.

الفصل الثاني
في معرفة الناسخ والمنسوخ

من المواضع الصعبة في فن التفسير - التي ساحتها واسعة جدا، والاختلاف فيها كثير- معرفةُ الناسخ والمنسوخ[٢] ومن أقوى الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

النسخ عند المتقدمين

وما علم في هذا الباب من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاء المعنى اللغوي الذي هو: إزالة شيء بشيء، لا بإزاء مصطلح الأصوليين.

---

(١) **قوله:** [رسالة مستقلة] اسمها: "**فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير**".

(٢) **قوله:** [معرفة الناسخ والمنسوخ] والعلم به عظيم الشان، وقد صنّف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة ابن دعامة السدوسي، أحد التابعين بالبصرة المتوفى سنة ١١٨هـ، وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣هـ. وأبو داود السجستاني صاحب السنن المتوفى سنة٢٧٠هـ، ومكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٣١٣هـ، وأبو بكر ابن الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ، وأبو جعفر النحاس أحد أئمة العلم واللغة بمصر المتوفى سنة ٣٣٨هـ، وهبة الله بن سلامة الضرير المتوفى سنة ٤١٠هـ، وأبو الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، وغيرهم. قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٠٠)

↰ أي المتقدمين.
فمعنى النسخ عندهم: إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى، إما بانتهاء مدة العمل، أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر، أو بيان كون قيد من القيود اتفاقيا، أو تخصيص عام، أو بيان الفارق بين النصوص وما قيس عليه ظاهرا، أو إزالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة، فاتسع باب النسخ عندهم، وكثر جولان العقل هنالك، واتسعت دائرة الاختلاف، ولهذا بلغ عدد الآيات المنسوخة خمسمئة، وإن تأملت متعمقا فهي غير محصورة.

وأما المنسوخ باصطلاح المتأخرين[1] عدد قليل[2]، لا سيما بحسب ما اخترناه من التوجيه.
↰ النوع السابع والأربعون، ٢/٧٠٨.
وقد ذكر الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان ما قرّره بعض العلماء بتقرير مبسوط مناسب، ثم حرّر المنسوخ حسب رأي المتأخرين فعدّه قريبا من عشرين آية موافقا لرأي الشيخ ابن العربي[3]. وللفقير في أكثر تلك العشرين نظر، فلنورد كلامه مع التعقيب:

فمن "البقرة":

١- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية [البقرة:١٨٠]، منسوخة، قيل: بآيات المواريث[4]، ....

---

(١) **قوله:** [اصطلاح المتأخرين] هو"رفع الشارع حكما منه متقدما بحكم منه متأخر". (علوم القرآن،صـ١٣١)

(٢) **قوله:** [عدد قليل] **أقسام السور باعتبار الناسخ والمنسوخ:** واعلم أن السور التي لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ وهي ثلاث وأربعون سورة، والسور التي فيها ناسخ وليس فيها منسوخ، وهي ستة سور، والسور التي دخلها المنسوخ ولم يدخلها ناسخ، وهي أربعون سورة، والسور التي دخلها الناسخ والمنسوخ، وهي: خمس وعشرون سورة. انظر للتفصيل: (الناسخ والمنسوخ،صـ٢٢-٢٥)

(٣) **قوله:** [ابن العربي] هو الإمام الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي المولود سنة ٤٦٨هـ، والمتوفى سنة ٥٤٣هـ، صاحب كتاب "أحكام القرآن" و"العواصم من القواصم". (الأعلام،٦/٢٣٠)

(٤) **قوله:** [بآيات المواريث] يقول الإمام النسفي: وكانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية

وقيل: بحديث ((لا وصية لوارث))[١]، وقيل: بالإجماع[٢]، حكاه ابن العربي. قلت: بل منسوخة بآية: ﴿يُوصِيكُمُ اللّٰهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء:١١]، وحديث: ((لا وصية لوارث)) مبيّن للنسخ[٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ﴾ [البقرة:١٨٤]، قيل: منسوخة بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة:١٨٥][٤] وقيل: محكمة، و(لا) مقدرة. قلت: وعندي وجه آخر، وهو أن المعنى: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ الطعام فِدْيَةٌ، هي طعام مسكين. فأضمر قبل ذكره[٥] لأنه

المواريث كما بيناه في شرح المنار. (تفسير النسفي، البقرة:١٨٠، صـ٩٦)

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، ٣/٣١١، الحديث: ٢٧١٤.

(٢) **قوله:** [وقيل: بالإجماع] النسخ بالاجماع فقد جوّزه بعض مشايخنا وأكثرهم على أنه لا يجوز ذلك، لأن الإجماع عبارة عن اجتماع الآراء على شئ. (أصول السرخسي، ٢/٦٦)

(٣) **قوله:** [لا وصية لوارث مبين للنسخ] كما قال الإمام أبو السعود: التحقيق أن الناسخَ حقيقةً هي آية المواريث، وإنما الحديثُ مُبيِّنٌ لجهة نسخِها ببيانِ أنه تعالى كان قد كتب عليكم أن تؤدوا إلى الوالدين والأقربين حقوقَهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقِهم ولا تعيين لمقادير أنصبائِهم بل فوّض ذلك إلى آرائكم حيث قال: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي بالعدْل، فالآن قد رَفَعَ ذلك الحُكمَ عنكم لتبيين طبقاتِ استحقاقِ كلِّ واحدٍ منهم وتعيينِ مقاديرِ حقوقِهم بالذات وأعطى كلَّ ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقصٍ ولا زيادة ولم يدَعْ ثمةَ شيئاً فيه مدخلٌ لرأيكم أصلاً حسبما تُعرِب عنه الجملةُ المنفيَّة بلا النافية للجنس وتصديرُها بكلمة التنبيه. (تفسير أبي السعود، البقرة:١٨٠، ١/٢٣٢)

(٤) **قوله:** [منسوخة بقوله...إلخ] وكان ذلك في بدء الإسلام لما أنه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعوّدين له فاشتدّ عليهم فرخّص لهم في الإفطار والفدية، عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها. قال الإمام الرازي: لا بد من تطرّق النسخ إلى هذه الآية، فكانت الآية ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ ناسخة لحكم هذه الآية. (صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ﴾...إلخ، صـ٥٧٦، الحديث: ١١٤٥، التفسير الكبير، البقرة:١٨٤، ٢/٢٤٢)

(٥) **قوله:** [فأضمر] جواب عن الإشكال وهو أن ضمير "يطيقونه" يرجع إلى "فدية" وهي مؤخرة عن الضمير، يعني: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ الفدية فِدْيَةٌ، فعبر عن الفدية الأولى بالطعام أي طعام الفدية هي طعام مسكين.

متقدم رتبة، وذكّر الضمير[١]؛ لأن المراد من الفدية هو طعام، والمراد منه صدقة الفطر، عقب الله تعالى الأمر بالصيام في هذه الآية بصدقة الفطر[٢] كما عقب الآية الثانية بتكبيرات العيد.

٣- قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ الآية [البقرة:١٨٧]، ناسخة لقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣]؛ لأن مقتضاه الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم، ذكره ابن العربي، وحكى قولا آخر: أنه نسخ لما كان بالسنة. قلت: معنى ﴿كَمَا كُتِبَ﴾: التشبيه في نفس الوجوب فلا نسخ[٣]. إنما هو تغيير لما كان عندهم قبل الشرع. ولم نجد دليلا على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شرع لهم ذلك، ولو سُلّم فإنما كان ذلك بالسنة[٤].

---

(١) **قوله:** [وذكّر الضمير] جواب عن الإشكال بأن "فدية" مؤنثة وضمير "يطيقونه" مذكر.

(٢) **قوله:** [عقب الله تعالى...إلخ] لا يلائم هذا التأويل قوله تعالى الذي يليه ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:١٨٤].

(٣) **قوله:** [التشبيه في نفس الوجوب] قال الإمام الرازي: في هذا التشبيه قولان **أحدهما**: أنه عائد إلى أصل إيجاب الصوم، يعني هذه العبادة كانت مكتوبة واجبة على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم، ما أخلى الله أمة من إيجابها عليهم لا يفرضها عليكم وحدكم، وفائدة هذا الكلام أن الصوم عبادة شاقة، والشيء الشاق إذا عم سهل تحمله. **والقول الثاني**: أن التشبيه يعود إلى وقت الصوم وإلى قدره، وهذا ضعيف لأن تشبيه الشيء بالشيء يقتضي استواءهما في أمر من الأمور فأما أن يقال: إنه يقتضي الإستواء في كل الأمور فلا. ويقول الإمام النسفي: والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبَّدَ من كان قبلكم. (التفسير الكبير، البقرة:١٨٣، ٢/٢٣٩، تفسير النسفي، البقرة:١٨٣، صـ٩٧)

(٤) **قوله:** [فإنما كان ذلك بالسنة] عن البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق، فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه، فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾. ففرحوا بها فرحا شديدا. (صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله: أحل لكم...الخ، ١/٦٣١، الحديث:١٩١٥)

٤- قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية [البقرة:٢١٧]، منسوخة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦][(١)]، أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة. قلت: هذه الآية لا تدل على تحريم القتال، بل تدل على تجويزه، وهي من قبيل تسليم العلّة، وإظهار المانع، فالمعنى أن القتال في الشهر الحرام كبير شديد، ولكن الفتنة أشدّ منه، فجاز في مقابلتها، وهذا التوجيه ظاهر من سياقها كما لا يخفى.

٥- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿مَتَاعًا اِلَى الْحَوْلِ﴾ الآية [البقرة:٢٤٠]، منسوخة بآية: ﴿اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَّعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، والوصية منسوخة بالميراث، والسكنى باقية عند قوم، منسوخة عند آخرين[(٢)] بحديث: ((ولا سكنى))[(٣)]. قلت هي كما قال منسوخة عند جمهور

---

(١) **قوله:** [منسوخة بقوله...إلخ] وفي مصنف ابن أبي شيبة عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا تُقٰتِلُوْهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتّٰى يُقٰتِلُوْكُمْ فِيْهِ﴾ [البقرة:١٩١] فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يقاتلوهم عند المسجد الحرام، إلا أن يبدؤوا فيه بقتال، ثم نسختها: ﴿يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيْهِ﴾ نسخها هاتان الآيتان؛ قوله: ﴿فَاِذَا انْسَلَخَ الْاَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ﴾ [التوبة:٥]. وقال النسفي: وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوْهُمْ﴾. (مصنف ابن أبي شيبة، غزوة بدر الأولى، ٨/٤٦٨، الحديث: ٢، تفسير النسفي، صـ١١٢)

(٢) **قوله:** [منسوخة عند آخرين] قال الإمام الجصاص: نسخ منها من المدة ما زاد على أربعة أشهر وعشرا، ونسخ أيضا وجوب نفقتها وسكناها في التركة بالميراث لقوله تعالى ﴿اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَّعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] من غير إيجاب نفقة ولا سكنى، وعن عطاء الخرساني عن ابن عباس في هذه الآية يعني قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِّاَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا اِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ اِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:٢٤٠]، قال: كان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكناها سنة فنسختها آية المواريث. قال الإمام **الزيلعي** قَالَ الطَّحَاوِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ: ولا سُكنَى لِلْمُتوفَّى زَوجهَا ولا نَفَقَةٌ فِي مَالِ الزَّوجِ حَامِلا كَانَت أَو غَيرَ حَامِلٍ. وقال العيني: وهو قول أبي حنيفة أن المتوفى عنها زوجها لا سكنى لها. (أحكام القرآن، البقرة، ١/٥٠١، تبيين الحقائق، كتاب الطلاق، باب النفقة، ٣/٣٢٣، عمدة القاري، كتاب العدة، ١٤/٣٥٧)

(٣) **قوله:** [((ولا سكنى))] قال الإمام البيهقي في السنن الكبرى باب مَنْ قَالَ لاَ سُكْنَى لِلْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا قال: قال عطاء قال ابن عباس رضى الله عنهما: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها فتعتد حيث شاءت وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿غَيْرَ اِخْرَاجٍ﴾، قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ منه السكنى تعتد حيث شاءت.

المفسرين. ويمكن أن يقال: يستحب أو يجوز للميت الوصية، ولا يجب على المرأة أن تسكن في وصية، وعليه ابن عباس، وهذا التوجيه ظاهر من الآية.

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية [البقرة:٢٨٤]، منسوخة[١] بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. قلت: هو من باب تخصيص العام[٢]، بينت الآية المتأخرة أن ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الإخلاص والنفاق، لا من أحاديث النفس التي لا اختيار فيها، فإن التكليف لا يكون إلا ما هو في وسع الإنسان[٣].

(السنن الكبرى، كتاب العدد، باب من قال: لا سكنى للمتوفى عنها زوجها، ٧/٧١٥، الحديث:١٥٥٠٦)

(١) **قوله:** [منسوخة] أخرج البخاري عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عمر أنها قد نسخت ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية. (صحيح البخاري، كتاب التفسير، ٣/١٨٧، الحديث:٤٥٤٥)

(٢) **قوله:** [هو من باب تخصيص العام] قال الإمام أبو جعفر الطبري: وأولى الأقوال التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال:"إنها محكمة، وليست بمنسوخة". وقال الإمام الرازي: ما روينا عن بعض المفسرين أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ وهذا أيضاً ضعيف لوجوه أحدها: أن هذا النسخ إنما يصح لو قلنا: أنهم كانوا قبل هذا النسخ مأمورين بالاحتراز عن تلك الخواطر التي كانوا عاجزين عن دفعها، وذلك باطل، لأن التكليف قط ما ورد إلا بما في القدرة، والثاني: أن النسخ إنما يحتاج إليه لو دلت الآية على حصول العقاب على تلك الخواطر، وقد بينا أن الآية لا تدل على ذلك، والثالث: أن نسخ الخبر لا يجوز، إنما الجائز هو نسخ الأوامر والنواهي. وقال الإمام النووي: ذكر الإمام الواحدى رحمه الله الاختلاف فى نسخ الآية ثم قال: والمحققون يختارون أن تكون الآية محكمة غير منسوخة. والله أعلم. (تفسير الطبري، ٣/١٤٩، التفسير الكبير، ٣/١٠٥، شرح نووي، كتاب الإيمان، باب بيان تجاوز الله... إلخ، ٢/١٥١)

(٣) **قوله:** [ما هو في وسع الإنسان] قال الإمام الرازي: واعلم أن محل البحث في هذه الآية أن قوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يتناول حديث النفس، والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب، ولا يتمكن من دفعها، فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف ما لا يطاق، والعلماء أجابوا عنه من وجوه: الوجه الأول: أن الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين، فمنها ما يوطن الإنسان نفسه عليه، ويعزم على إدخاله في الوجود، ومنها ما لا يكون كذلك بل تكون أموراً خاطرة بالبال مع أن الإنسان يكرهها، ولكنه لا يمكنه دفعها عن النفس، فالقسم الأول: يكون مؤاخذاً به، والثاني: لا يكون مؤاخذاً به، ألا ترى إلى قوله تعالى:

ومن "آل عمران":

٧- ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] قيل: إنها منسوخة[١] بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وقيل: لا، بل هي محكمة[٢]، وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية. قلت: "حق تقاته" في الشرك والكفر، وما يرجع إلى الاعتقاد، "وما استعطتم" في الأعمال، من لم يستطع الوضوء يتيمّم، ومن لم يستطع القيام يصلي قاعدا. وهذا الوجه ظاهر من سياق الآية، وهو قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

ومن "النساء":

٨- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ الآية [النساء:٣٣]، منسوخة بقوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب:٦]، قلت: ظاهر الآية أن الميراث للموالي، والبرّ والصلة

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقال في آخر هذه السورة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]. هذا هو الجواب المعتمد. (التفسير الكبير، البقرة:٢٨٤، ٣/١٠٣)

(١) **قوله:** [إنها منسوخة] قال قتادة في كتابه "الناسخ والمنسوخ": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، نسختها الآية التي في التغابن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن:١٦] وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة ما استطاعوا. (الناسخ والمنسوخ، صـ٣٨)

(٢) **قوله:** [بل هي محكمة] قال أبو جعفر النحاس: محال أن يقع في هذا ناسخ ولا منسوخ إلا على حيلة، وذلك أن معنى نسخ الشيء إزالته والمجيء بضده فمحال أن يقال "اتقوا الله" منسوخ، ولا سيما مع قول رسول الله مما فيه بيان الآية. (الناسخ والمنسوخ، صـ٩٠) عن معاذ بن جبل قال: قال لي رسول الله: ((يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟)) قلت: «الله ورسوله أعلم». قال: ((أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئا)). (صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء... الخ، ٤/٥٣١، الحديث:٧٣٧٣)، والذي قلناه قول ابن عباس، قال وقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا بالقسط ولو على آبائكم وأبنائكم. (الناسخ والمنسوخ، صـ٢٦٠)

لمولى الموالاة، فلا نسخ[١].

٩- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية [النساء:٨]، قيل: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها. قلت: قال ابن عباس: هي محكمة[٢]، والأمر للاستحباب، وهذا أظهر.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الآية [النساء:١٥] منسوخة بآية النور[٣]. قلت: لا نسخ في ذلك، بل هو ممتد إلى الغاية، فلما جاءت الغاية بيّن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن السبيل الموعود كذا وكذا، فلا نسخ.

---

(١) **قوله:** [فلا نسخ] قال الإمام الطبري: عن قتادة:"والذين عاقدت أيمانكم"، قال: كان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول:"دمي دمك، وترثني وأرثك، وتطلب بي وأطلب بك". فلما جاء الإسلام بقي منهم ناس، فأمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث، وهو السدس، ثم نسخ ذلك بالميراث، فقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾. (تفسير الطبري، النساء:٣٣، ٥٥/٤) وقال أصحاب كتب الناسخ والمنسوخ مثل الإمام قتادة والمقري والكرمي وابن حزم: «إنها منسوخة».

(٢) **قوله:** [هي محكمة] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنَّ ناسًا يَزعمُون أَنَّ هذه الآية نُسِخَت، ولا واللّه ما نُسِخَت، ولكنَّها ممَّا تهاوَن النَّاسُ بِهَا، هُما واليان، وَالٍ يَرِثُ،(كالعصبة مثلا) وذاكَ الَّذِى يَرزُقُ، ووَالٍ لا يَرِثُ،(كولي اليتيم) فذاكَ الَّذى يقول بالمَعروف، يقول: لا أَملكُ لَك أَنْ أُعطِيَكَ. قال النحاس في كتابه "الناسخ والمنسوخ": للعلماء فيها ثلاثة أقوال فمنهم من قال: إنها منسوخة، ومنهم من قال: هي محكمة واجبة، ومنهم من قال: هي محكمة على الندب والترغيب والحض. (صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ ...إلخ، ٢٤٠/٢، الحديث: ٢٧٥٩، الناسخ والمنسوخ، صــ٩٦-٩٧)

(٣) **قوله:** [منسوخة بآية النور] قال الإمام الرازي: زعم جمهور المفسرين أن هذه الآية منسوخة، وقال أبو مُسْلِم: إنها غيرُ منسوخة، أما المفسرون: فقد بنوا هذا على أصلهم، وهو أن هذه الآية في بيان حكم الزنا، ومعلوم أن هذا الحكم لم يبق، وكانت الآية منسوخة، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا أيضا على قولين: فالأول: أن هذه الآية صارت منسوخة بالحديث، وهو ما روى عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر تجلد وتنفى والثيب تجلد وترجم**)). ثم إن هذا الحديث صار منسوخا بقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

ومن "المائدة":

١١- قوله تعالى: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ الآية [المائدة:٢]، منسوخة بإباحة القتال فيه[1]. قلت: لا نجد في القرآن ناسخا له، ولا في السنة الصحيحة، ولكن المعنى أن القتال المحرم يكون في الشهر الحرام أشد تغليظا، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الخطبة: ((**فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا..إلخ**))[2].

١٢- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ الآية [المائدة:٤٢]، منسوخة[3] بقوله:

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢]. والقول الثاني: أن هذه الآية صارت منسوخة بآية الجَلْد. وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في "معالم السنن": إنه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك أن الآية تدل على أن إمساكهن في البيوت ممدود إلى غاية أن يجعل الله تعالى لهن سبيلاً ثم إن ذلك السبيل كان مجملاً فلما قال صلى الله عليه وسلم: ((خذوا عني)) إلى آخر ما في الحديث صار ذلك بياناً لما في تلك الآية لا ناسخاً له، وصار مخصصاً لعموم آية الجلد. وقال الإمام **الشيخ أحمد المدعو بملاّ جِيون الجونفوري** في "التفسيرات الأحمدية": دعوى النسخ في الآية غير مسلّم إذ الظاهر أن "أو" عاطفة داخل مدخولها تحت "حتى"، أو هو بمعنى "إلا أن" أو "إلى أن"، وبالجملة فالله تعالى لما وقّت حكم الحبس بجعل سبيلا آخر كان قوله عليه السلام:البكر بالبكر..الحديث، وكذا قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ الآية بيانا وتفسيرا له لا نسخا، إذ المقرر أن الموقّت بالغاية لا يطلق عليه اسم المنسوخ كما أن المؤبّد كذلك، كما نص به أهل الأصول. (التفسير الكبير، ٥٢٩/٣، التفسيرات الأحمدية، صــ٢٤١)

(١) **قوله:** [منسوخة بإباحة القتال فيه] كما روى القاسم بن سلام عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: "لَمْ يُنْسَخْ مِنَ الْمَائِدَةِ إِلَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَآئِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة:٢]". وذكر إمام المفسرين **أبو جعفر الطبري**: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: نسخ الله من هذه الآية قوله: ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام، لإجماع الجميع على أن الله قد أحلّ قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها من شهور السنة كلها. (الناسخ والمنسوخ، صــ١٣٧، تفسير الطبري، المائدة:٢، ٤٠٠/٤)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ٥٧٦/١، الحديث:١٧٣٩.

(٣) **قوله:** [منسوخة] اختلف المفسرون على وجهين: فقال الحسن البصري والنخعي: هي محكمة، خيّر

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، قلت: معناه إن اخترت الحكم فاحْكم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم. فالحاصل أنه لنا أن نترك أهل الذمّة أن يرفعوا القضية إلى زعمائهم فيحكموا بما عندهم، ولنا أن نحكم بينهم بما أنزل الله علينا.

١٣- قوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة:١٠٦] منسوخ بقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق:٢]. قلت: قال أحمد بظاهر الآية، ومعناها عند غيره: أو آخران من غير أقاربكم(١)، فيكونون من سائر المسلمين.

ومن "الأنفال":

١٤- قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآية [الأنفال:٦٥] منسوخة بالآية بعدها.

بين الحكم والإعراض. وقال مجاهد وسعيد: تنسخها الآية التي بعدها: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾. (الناسخ والمنسوخ،صـ٨١) وقال أبو جعفر الطبري: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: إن حكم هذه الآية ثابتٌ لم ينسخ، وأن للحكّام من الخِيار في الحكم بين أهل العهد إذا ارتفعوا إليهم فاحتكموا، وتركِ الحكم بينهم والنظر، مثلُ الذي جعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك في هذه الآية. (تفسير الطبري، المائدة:٤٢، ٤/٥٨٦)

(١) **قوله:** [أو آخران من غير أقاربكم] قال الإمام أبو جعفر الطبري: وأولى التأويلين في ذلك عندنا بالصواب، تأويل من تأوّله: أو آخران من غير أهل الإسلام. وذلك أن الله تعالى عرَّف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين، أو اثنين من غير المؤمنين. ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم، أو رجلين من غير عشيرتكم، وإنما يقال: صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين، فإذ كان لا وجه لذلك في الكلام، فغير جائز صرف معنى كلام الله تعالى ذكره إلا إلى أحسن وجوهه. وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى:"ذوا عدل منكم"، إنما هو من أهل دينكم وملتكم، بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه. وإذ صح ذلك بما دللنا عليه، فمعلوم أن معنى قوله:"أو آخران من غيركم" ، إنما هو: أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم. (تفسير الطبري، المائدة:١٠٦، ٥/١٠٨)

قلت: هي كما قال منسوخة[١].

ومن "براءة":

١٥- قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١] منسوخة[٢] بآيات العذر، وهو قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية [النور:٦١]، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ الآيتين [التوبة:٩١-٩٢]. **قلت**: خفافا[٣]، أي مع أقل ما يتأتى به الجهاد من مركوب، وعبد للخدمة ونفقة يقنع بها، وثقالا مع الخدم الكثير والمراكب الكثيرة، فلا نسخ، أو نقول: ليس النسخ متعيّنا. أي عاما بل أمرو جميعا عند النفير العام.

---

(١) **قوله**: [هي كما قال منسوخة] قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ قال ابن عباس لما ثقلت على المسلمين فنسخها الله بقوله تعالى: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال:٦٦]. وقيل: لا نسخ؛ لأن التخفيف لا ينسخ حكم الأول، وإنما التخفيف رخصة وإباحة، والناسخ ما رفع حكم المنسوخ. ولم يرفع هنا حكم الأول، لأنه لم يقل فيه لا يقاتل الرجل عشرة، بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له، ونظير هذا إفطار الصائم في السفر لا يقال إنه نسخ الصوم، وإنما هو تخفيف ورخصة والصيام له. قال أبو جعفر: وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ وإن كان مخرجها مخرج الخبر، فإن معناها الأمر. يدلّ على ذلك قوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾، فلم يكن التخفيف إلا بعد التثقيل. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أن حكم قوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾، ناسخ لحكم قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾. وقد بينا في كتابنا "البيان عن أصول الأحكام" أن كل خبرٍ من الله وعد فيه عباده على عملٍ ثوابًا وجزاء، وعلى تركه عقابًا وعذابًا، وإن لم يكن خارجًا ظاهرُه مخرج الأمر، ففي معنى الأمر. (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ، الأنفال:٦٥، صـ١٨٥، الناسخ والمنسوخ، صـ١٥٨، تفسير الطبري، الأنفال:٦٥، ٦/٢٨٥)

(٢) **قوله**: [منسوخة] قال عطاء الخراساني: منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢]. (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ، التوبة:٤١، صـ١٨٩، الناسخ والمنسوخ، صـ٢٠٥)

(٣) **قوله**: [قلت: خفافا] قال الإمام الرازي: المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد أو على الصفة التي يثقل، وهذا الوصف يدخل تحته أقسام كثيرة والمفسرون ذكروها. فالأول: ﴿خِفَافًا﴾ في النفور لنشاطكم له ﴿وَثِقَالًا﴾ عنه ولمشقته عليكم. الثاني: ﴿خِفَافًا﴾ لقلة عيالكم ﴿وَثِقَالًا﴾ لكثرتها. الثالث: ﴿خِفَافًا﴾ من السلاح ﴿وَثِقَالًا﴾ منه. الرابع: ركباناً ومشاة. الخامس: شباناً وشيوخاً. السادس:

ومن "سورة النور":

١٦- قوله تعالى: ﴿اَلزَّانِيْ لَا يَنْكِحُ اِلَّا زَانِيَةً﴾ الآية [النور:٣] منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ﴾ [النور:٣٢]. **قلت:** قال أحمد بظاهر الآية. ومعناها عند غيره: أن مرتكب الكبيرة ليس بكفؤ إلا للزانية، أو لا يستحب له اختيار الزانية. وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذٰلِكَ﴾ [النور:٣]، إشارة إلى الزنا والشرك[١]، فلا نسخ[٢]. وأما قوله: ﴿وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى﴾ فعام لا ينسخ الخاص.

١٧- قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَاْذِنْكُمُ الَّذِيْنَ مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ الآية [النور:٥٨] قيل منسوخة[٣]، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في العمل بها. قلت: مذهب ابن عباس أنها ليست بمنسوخة[٤]، وهذا أوجه وأولى بالاعتماد.

مهازيل وسمانا. السابع: صحاحاً ومراضاً. والصحيح ما ذكرنا إذ الكل داخل فيه لأن الوصف المذكور وصف كلي، يدخل فيه كل هذه الجزئيات. (التفسير الكبير، التوبة: ٤١، ٦/٥٥)

(١) **قوله:** [وقوله: إشارة إلى الزنا والشرك] قال الإمام أبو السعود في تفسيره: ﴿وَحُرِّمَ ذٰلِكَ﴾ أي نكاحُ الزَّواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ لما أنَّ فيه من التَّشبهِ بالفسقةِ والتَّعرضِ للتُّهمةِ والتَّسببِ لسوءِ القالةِ والطَّعنِ في النَّسبِ واختلالِ أمرِ المعاشِ وغيرِ ذلكَ من المفاسدِ ما لا يكادُ يليقُ بأحدٍ من الأداني والأراذلِ فضلاً عنِ المُؤمنينَ. (تفسير أبي السعود، النور:٣، ٤/٦٩)

(٢) **قوله:** [فلا نسخ] قال القاسم بن سلام في كتابه الناسخ والمنسوخ: إنها منسوخة. وقال سعيد بن المسيب إنها نسخت بالآية التي بعدها ﴿وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ﴾ فدخلت الزانية في أيامى المسلمين، وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الفتيا. (الناسخ والمنسوخ، صـ١٠٠، الفتاوى الرضوية، كتاب النكاح، ١١/٢٣٥)

(٣) **قوله:** [قيل منسوخة] نسختها الآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿وَاِذَا بَلَغَ الْاَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَاْذِنُوْا﴾ [النور:٥٩]. (الناسخ والمنسوخ، النور:٥٨، صـ١٣٥)

(٤) **قوله:** [أنها ليست بمنسوخة] عن سعيد بن جبير: إن ناسا يقولون هي منسوخة، والله ما هي بمنسوخة. عن عطاء قال: سمعت ابن عباس يقول: ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل تركهن الناس، لا أرى أحدا يعمل بهن قال: حفظت آيتين ونسيت واحدة قال الله عز وجل: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِيَسْتَاْذِنْكُمُ الَّذِيْنَ مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ [النور:٥٨] الآية، وقال: ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّاُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَآىِٕلَ لِتَعَارَفُوْا اِنَّ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰىكُمْ﴾

ومن "الأحزاب":

١٨– قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الآية [الأحزاب:٥٢]، منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الّٰتِىٓ﴾ الآية [الأحزاب:٥٠]، قلت: يحتمل أن يكون الناسخ مقدما في التلاوة[1]، وهو الأظهر عندي.

ومن "المجادلة":

١٩– قوله تعالى: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا﴾ الآية [المجادلة:١٢] منسوخة بالآية بعدها[2].

قلت: هذا كما قال.

[الحجرات:١٣] قال: ثم يقول الرجل بعد هذه للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى، **والآية** التي نسي الشيخ عطاء وهي ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء:٨]، كما قال الإمام النسفي في تفسيره. (الناسخ والمنسوخ، صـ٢٢٠، تفسير النسفي، النور:٥٩، صـ٧٩٠)

(١) **قوله:** [يكون الناسخ مقدما في التلاوة] وهي من أعاجيب القرآن المنسوخ نسخها الله بآية قبلها في النظم، وهي قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾. وقال أبو جعفر النحاس: وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين فقال: محال أن تنسخ هذه الآية يعني ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب:٥٠] ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ الآية [الأحزاب:٥٢] وهي قبلها في المصحف الذي أجمع المسلمون عليه، قال أبو جعفر: وهذه المعارضة لا تلزم، وقائلها غالط لأن القرآن بمنزلة سورة واحدة، كما صحّ عن ابن عباس: ((أنزل القرآ ن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا)). ويبين لك أن اعتراض هذا لا يلزم قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة:٢٤٠] منسوخة على قول أهل التأويل لا نعلم بينهم خلافا بالآية التي قبلها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]. ("المستدرك" للحاكم، كتاب التفسير، أنزل القرآن جملة واحدة... الخ، ٥٩٤/٢، الحديث:٢٩٣٣، الناسخ والمنسوخ، صـ١٣٥–٢٠٩ ملتقطاً)

(٢) **قوله:** [منسوخة بالآية بعدها] عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:١٢] قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: "يا علي! مُرهم أن يتصدقوا"، قال: يا رسول الله! بكم؟ قال: "بدينار" قال: لا يطيقونه، قال: "فبنصف دينار"

ومن "سورة الممتحنة":

٢٠- قوله تعالى: ﴿فَاٰتُوا الَّذِيْنَ ذَهَبَتْ اَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَاۤ اَنْفَقُوْا﴾ [الممتحنة:١١]، قيل: منسوخة بآية السيف، وقيل: بآية الغنيمة، وقيل محكمة. قلت: الأظهر أنها محكمة[1]، ولكن الحكم في المهادنة[2] وعند قوة الكفار.

ومن "سورة المزمل":

٢١- قوله تعالى: ﴿قُمِ الَّيْلَ اِلَّا قَلِيْلًا﴾ [المزّمّل:٢]، منسوخة بآخر السورة[3]، ثم نسخ الآخر

قال: لا يطيقونه، قال: "فبكم؟" قال: بشعيرة، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: "إنك لزهيد"، قال: فأنزل الله ﴿ءَاَشْفَقْتُمْ اَنْ تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقٰتٍ ؕ فَاِذْ لَمْ تَفْعَلُوْا وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ فَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ﴾ [المجادلة:١٣]، قال: فكان علي يقول: بي خُفِّف عن هذه الأمّة. وفي المصنف ابن أبي شيبة قال علي: إنه لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكانت إذا ناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدّقت بدرهم حتى نفدت، ثم تلا هذه الآية: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُوْلَ فَقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰىكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:١٢]. (صحيح ابن حبان، كتاب إخباره... إلخ، ٩/٤٨، الحديث:٦٩٠٣، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ٧/٥٠٥، الحديث:٦٢)

(١) **قوله:** [الأظهر أنها محكمة] أكثر العلماء على أنها منسوخة قال قتادة: ﴿وَاِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ اَزْوَاجِكُمْ اِلَى الْكُفَّارِ﴾ الذين ليس بينكم وبينهم عهد ﴿فَعَاقَبْتُمْ فَاٰتُوا الَّذِيْنَ ذَهَبَتْ اَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَاۤ اَنْفَقُوْا﴾ [الممتحنة:١١] ثم نسخ هذا بقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖۤ﴾ [التوبة:١] إلى رأس الخمس آيات. (الناسخ والمنسوخ، صـ٢٤٨)

(٢) **قوله:** [المهادنة] أصله من الهدون وهو السكون، وإذا سكنت الفتنة بين فريقين كانا يقتتلان على شرط تراضيا به ومدة جعلا لها غاية على ألا يهيدَ واحد منهم صاحبه فذلك المهادنة. (الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، كتاب القتل، باب الهدنة، صـ٥١٩)

(٣) **قوله:** [منسوخة بآخر السورة] قال معظم المفسرين، نسخ آخر المزمل أولها، وعن ابن عباس في قوله: ﴿يٰۤاَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۙ قُمِ الَّيْلَ اِلَّا قَلِيْلًا﴾ [المزمل:١-٢] قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة نسختها: ﴿عَلِمَ اَنْ لَّنْ تُحْصُوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾... إلخ، [المزمل:٢٠] إلى آخر السورة. (الناسخ والمنسوخ، صـ٢٥٦)

بالصلوات الخمس[١]، قلت: دعوى النسخ بالصلوات الخمس غير متجهة، بل الحقّ أن أول السورة في تأكيد الندب إلى قيام الليل، وآخرها نسخ التأكيد إلى مجرد الندب.

قال السيوطي موافقا لابن العربي: فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على خلاف في بعضها، ولا يصح دعوى النسخ في غيرها. والأصح في آية الاستئذان والقسمة[٢] الإحكام وعدم النسخ، فصارت تسع عشرة[٣]. وعلى ما حرّرنا لا يتعين إلا في خمس آيات[٤].

---

(١) **قوله:** [بالصلوات الخمس] سئلت عائشة (رضي الله عنها) عن قيامه (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه فقالت: حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها إثنى عشر شهراً في السماء ثم أنزل التخفيف في آخر السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة. قلت: فظاهر كلام عائشة (رضي الله عنها) أن الوجوب نسخ في حقه (عليه الصلاة والسلام) بقوله: ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩] وعن أمته بالصلوات الخمس، وبه قال قتادة ومجاهد، وقال ابن عباس وابن جبير: كان قيام الليل فرضاً على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في الابتداء فنسخ الله الوجوب على الأمة بالصلوات الخمس، وبقى الوجوب في حقه. **قال الإمام أحمد رضا خان:** والتحقيق أن آخر السورة قد نسخ تقدير القيام إلى نصف الليل أو أقل منه، وترك مطلق القيام على فرضيته لقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْاٰنِ﴾ [المزمل:٢٠] ثم نُسخت هذه الفرضية، وبقي الاستحباب. (قلائد المرجان، صـ٢٧٧، الفتاوى الرضوية، ٧/٤٠٧، تعريبا)

(٢) **قوله:** [الاستئذان، والقسمة] آية الاستئذان ﴿لِيَسْتَاْذِنْكُمُ الَّذِيْنَ مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ﴾ الآية [النور:٥٨]، وآية القسمة ﴿وَاِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ [النساء:٨].

(٣) **قوله:** [فصارت تسع عشرة] الإتقان في علوم القرآن، ٢/٧١٢.

(٤) **قوله:** [إلا في خمس آيات] وهي ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية [البقرة:١٨٠] و﴿وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿مَّتَاعًا اِلَى الْحَوْلِ﴾ الآية [البقرة:٢٤٠] و﴿اِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُوْنَ صٰبِرُوْنَ﴾ الآية [الأنفال:٦٥] و﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِنْۢ بَعْدُ﴾ الآية [الأحزاب:٥٢] و﴿اِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُوْلَ فَقَدِّمُوْا﴾ الآية [المجادلة:١٢].

الفصل الثالث
في معرفة أسباب النزول

أيضا من المواضع الصعبة معرفة أسباب النزول، ووجه الصعوبة فيها أيضا اختلاف المتقدمين والمتأخرين.

اصطلاح "نزلت في كذا" عند المتقدمين

والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم لا يستعملون: **"نزلت في كذا"** لمحض قصة كانت في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهي سبب نزول الآية(١)، بل ربّما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أو بعده صلى الله تعالى عليه وسلم، ويقولون: **"نزلت في كذا"** ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود، بل يكفي انطباق أصل الحكم فقط(٢).

---

(١) **قوله:** [وهي سبب نزول الآية] **سبب النزول** هو: **ما نزلت الآية أو الآيات تتحدّث عنه أيام وقوعه.** والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال. كما في "صحيح البخاري" عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ ۚ اِنَّ الْحَسَنٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّاٰتِ﴾ [هود:١١٤] فقال الرجل يا رسول الله ألي هذا؟ قال لجميع أمتي كلهم. وهذا القيد «أيام وقوعه» يعتبر شرطا جوهريا لبيان سبب النزول وتمييزه عن الآيات التي نزلت للإخبار بالوقائع الماضية، حتى انتقد العلماء ما ذكره الواحدي في تفسيره سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كذكر قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك. (صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، ١/١٩٦، الحديث: ٥٢٦، الإتقان في علوم القرآن، ١/٦٤)

(٢) **قوله:** [انطباق أصل الحكم فقط] أي لا تلزم المطابقة التامة بين القصة والآية بل يكفي أن يكون في الآية حكم موافق للقصة فيقولون: "نزلت في كذا".

وقد يبيّنون حادثة تحققت في تلك الأيام المباركة، واستنبط صلى الله تعالى عليه وسلم حكمها من آية، وتلاها في ذلك الباب، ويقولون: **نزلت في كذا**.

وربما يقولون في هذه الصورة **"فأنزل الله قوله كذا"**، فكأنه إشارة إلى أنه استنباطه صلى الله تعالى عليه وسلم، وإلقاؤها في تلك الساعة بخاطره المبارك أيضا نوع من الوحي والنفث في الروع، فلذلك يمكن أن يقال: فأنزلت. ويمكن أيضا أن يعبر في هذه الصورة بتكرار النزول.

يعني إلقاؤها في تلك الساعة بخاطره يعبر بتكرار النزول. م

بيان الأشياء التي ليست من أسباب النزول

ويذكر المحدّثون في ذيل آيات القرآن كثيرا من الأشياء ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة، مثل استشهاد الصحابة في مناظراتهم بآية، أو تمثيلهم بآية، أو تلاوته صلى الله تعالى عليه وسلم آية للاستشهاد في كلامه الشريف، أو رواية حديث وافق الآية في أصل الغرض[1]، أو تعيين موضع النزول[2]، أو تحديد أسماء المذكورين[3] بطريق الإبهام، أو بيان طريق التلفظ بكلمة قرآنية، أو فضل سور وآيات من القرآن، أو صورة امتثاله صلى الله تعالى عليه وسلم بأمر من أوامر القرآن، ونحو ذلك، وليس شيء من هذا في الحقيقة من أسباب النزول، ولا يشترط

---

(١) **قوله**: [رواية حديث وافق الآية في أصل الغرض] كما أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك، قلت ثم أي؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. هذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ اِمْلَاقٍ ؕ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ ؕ اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْاً كَبِيْرًا ۝۳۱﴾ [الإسراء: ٣١]. (صحيح البخاري، كتاب الادب، باب قتل الولد خشية ان يأكل معه، ٤/١٠٠، الحديث: ٦٠٠١)

(٢) **قوله**: [تعيين موضع النزول] ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّٰهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝۶۴﴾ [الأنفال: ٦٤] هذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال. (التفسير الكبير، الأنفال: ٦٤، ٦/٥٠٣)

(٣) **قوله**: [تحديد أسماء المذكورين] عن أبي ذر رضي الله عنه قال نزلت ﴿هٰذٰنِ خَصْمٰنِ اخْتَصَمُوْا فِيْ رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] في ستة من قريش علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. (صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ٣/٨، الحديث: ٣٩٦٦)

إحاطة المفسر بهذه الأشياء.

ماذا يجب على المفسر من باب أسباب النزول

إنما يشترط على المفسر في هذا الباب معرفة شيئين:

الأول: معرفة تلك القصص التي تتضمن الآيات الكريمة التعريض بها فإن فهم إيماء هذه الآيات لا يتيسّر إلا بمعرفة تلك القصص.

الثاني: معرفة تلك القصة التي تفيد التخصيص للعام وأمثال ذلك مما يصرف فيه الكلام عن ظاهره إذ أن فهم مقاصد الآيات لا يتأتى بدون ذلك.

دخول الإسرائيليات في التفسير[١]

ومما ينبغي أن يعلم أن قصص الأنبياء السابقين لا تذكر في الحديث إلا قليلا، فالقصص الطويلة العريضة التي تكلّف المفسرون روايتها كلها منقولة عن علماء أهل الكتاب إلا ما شاء الله تعالى. وقد جاء في "صحيح البخاري" مرفوعا: ((لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))[٢].

التوسع في اصطلاح "نزلت في كذا" عند المتقدمين

وليعلم أن الصحابة والتابعين ربما كانوا يذكرون قصصا جزئية لمذاهب المشركين واليهود وعاداتهم من الجهالات لتتضح تلك العقائد والعادات، ويقولون: **نزلت الآية في كذا**، ويريدون

---

(١) **قوله**: [الإسرائيليات في التفسير] الإسرائيليات في اصطلاح علماء التفسير والحديث تعني تلك الأساطير والأحاديث المنقولة عن مصادر يهودية على كثرة ونصرانية على قلّة. انظر للتفصيل: (الدخيل، صـ٣٠)

(٢) **قوله**: [لا تصدّقوا أهل الكتاب]عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ﴿اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَاۤ اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَاۤ اُنْزِلَ اِلٰۤى اِبْرٰهٖمَ﴾ [البقرة:١٣٦]. (صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قُوْلُوْۤا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَاۤ اُنْزِلَ اِلَيْنَا﴾، ٣/١٦٩، الحديث:٤٤٨٥)

بذلك أنها نزلت في هذا القبيل، سواء كان هذا بعينه، أو ما أشبه، أو ما قاربه، ويقصدون إظهار تلك الصورة لا بيان القصة بخصوصها، بل لأجل أن التصوير صادقة على تلك الأمور الكلية، ولهذا تختلف أقوالهم في كثير من المواضع، وكل يجرّ الكلام إلى جانب، وفي الحقيقة المطالب متحدة، وإلى هذه النكتة أشار أبو الدرداء[١] حيث قال: لا يكون أحد فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة.

أسلوب القرآن الكريم في بيان جوانب الخير والشر[٢]

وعلى هذا الأسلوب كثيرا ما يذكر في القرآن العظيم صورتان: صورة سعيد، يذكر فيها بعض أوصاف السعادة، وصورة شقي يذكر فيها بعض أوصاف الشقاوة، ويكون الغرض من ذلك بيان أحكام تلك الأوصاف والأعمال، لا التعريض بشخص معين، كما قال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥]. ثم ذكر صورتين صورة سعيد وصورة شقي[٣]، ومثل ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النحل:٢٤]،

---

(١) **قوله:** [أبو الدرداء] ذكر الإمام ملا علي القاري عن أبي الدّرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب العلم، الفصل الثاني، ١/٤٩٨، تحت الحديث:٢٣٨)

(٢) **قوله:** [أسلوب القرآن الكريم في بيان جوانب الخير والشر] عَنْوَن المترجم لهذا الكلام في النسخة المتداولة بقوله: "**صورة قصة ولا قصة لها**" وهذا العنوان يوهم أن القرآن يذكر قصصا خيالية تمثيلية، وهذا خطاء، لقوله تعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢] الْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّ هَذَا" إِلَى الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَقَاصِيصِ، (تفسير القرطبي، آل عمران:٦٢، ٢/٨١، الجزء الرابع) وإنما المقصود من قوله: "لا التعريض بشخص معين" بأن التعريض بسرد القصص ليس من أهداف القرآن، وإن وجد التعريض إلى شخص معين في بعض الآيات كما ذكره المفسرون فهو من باب لزوم ما لا يلزم.

(٣) **قوله:** [ذكر صورتين صورة سعيد وصورة شقي] قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف:١٥]، ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ [الأحقاف:١٧].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [النحل:٣٠] وعلى مثل هذا تحمل آية: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [النحل:١١٢] وآية: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ [الأعراف:١٨٩]، وآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]، وآية: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ [القلم:١٠]، ولا يلزم في هذه الصورة أن توجد تلك الخصوصيات بعينها في شخص[١] كما لا يلزم في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١] أن توجد حبة بهذه الصفة. إنما المقصود تصوير زيادة الأجر لا غير، فإن وجدت صورة توافق المذكور في أكثر الخصوصيات أو كلها كان من قبيل لزوم ما لا يلزم.

عرض بعض الآيات في صورة السؤال والجواب

وربما تدفع شبهة ظاهرة الورود، أو يجاب عن سؤال قريب الفهم بقصد إيضاح الكلام السابق، لا لأجل سؤال سائل وقع في ذلك العصر، وشبهة حدثت بالفعل، وكثيرا ما يفرض الصحابة في تقرير ذلك المقام سؤالا، فيبيّنون المطلب في صورة الجواب والسؤال. وإذ تأملنا ظهر لنا أن الكل كلام واحد متسق لا يسع نزول بعض عقيب بعض، جملة واحدة منتظمة، ولا يتأتى فك القيود على قاعدة[٢].

---

(١) **قوله:** [أن توجد تلك الخصوصيات بعينها في شخص] اعلم أن المفسرين قد ذكروا بعض القصص وأسماء الأشخاص في تفسير هذه الآيات، ولكن المصنف يريد أن يُقرّر أن هذه الآيات ليست منحصرة في تلك القصص والأشخاص بل معناها عام شامل لكل ما تشمله صلتها وتوجد تلك الصفات المذكورة فيه. وإن كان سبب نزول الآية خاصاً فإن معناها عام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كما قال الإمام الألوسي: من المعلوم أن ليس المراد بالموصوف بهذه الصفات شخصاً بعينه لمكان "كل". (روح المعاني، ١٥/٤٥)

(٢) **قوله:** [ولا يتأتى فك القيود على قاعدة] أي لا تفرّق بين أجزاءها بل الجملة كاملة مربوطة، وإنما يقدر السؤال للتسهيل والتوضيح.

وقد يذكر الصحابة التقدّم والتأخّر بين الآيات، والمراد بذلك التقدم والتأخر الرتبي لا الزمني، كما قال ابن عمر في آية ﴿وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة:٣٤]؛ هذا (أي: حكم هذه الآية.) قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت جعلها الله طهرة للأموال، ومن المعلوم أن سورة براءة متأخرة في السور، وهذه الآية في تضاعيف القصص المتأخرة، وكانت فرضية الزكاة متقدمة بسنين، ولكن مراد ابن عمر تقدم الإجمال رتبة على التفصيل[١].

وبالجملة فإن وظيفة المفسر في هذا الباب لا تتجاوز هذين الأمرين:

الأول: معرفة قصص الغزوات وغيرها التي وقع في الآيات الإيماء إلى خصوصياتها، وما لم تعلم تلك القصص لا يتأتى فهم حقيقتها.

والثاني: معرفة فوائد بعض القيود، وأسباب التشديد[٢] في بعض المواضع، وتتوقف معرفتها على أسباب النزول.

فن التوجيه

وهذا المبحث الأخير في الحقيقة فنّ من فنون التوجيه. ومعنى التوجيه: "بيان وجه الكلام"،

---

(١) **قوله:** [التفصيل] أي الآية المجملة مقدمة على المفصّلة لأن الإجمال يقدّم على التفصيل.

(٢) **قوله:** [أسباب التشديد] كما قال تعالى: ﴿قُلْ اَنْفِقُوْا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّتَقَبَّلَ مِنْكُمْ ؕ اِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فٰسِقِيْنَ﴾ [التوبة:٥٣] إن هذه الآية نزلت في الجدّ بن قيس، حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم: "هذا مالي أعينك به" عن ابن عباس قال: ((قال الجدّ بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي. قال: ففيه نزلت ﴿قُلْ اَنْفِقُوْا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا لَّنْ يُّتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾)) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: (قل) يا محمد لهؤلاء المنافقين: أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره، وعلى أي حال شئتم من حال الطوع والكره، فإنكم إن تنفقوها لن يتقبَّل الله منكم نفقاتكم. وقوله سبحانه: ﴿اِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فٰسِقِيْنَ﴾ تعليل لرد إنفاقهم. (تفسير الطبري، التوبة:٥٣، ٦/٣٨٩، روح المعاني، التوبة:٥٣، ٥/٤٢٩)

وحاصل هذه الكلمة: أنه قد يكون في آية من الآيات شبهة ظاهرة من استبعاد صورة هي مدلول الآية، أو تناقض بين الآيتين، أو إشكال في مصداق الآية على ذهن المبتدي، أو خفاء فائدة قيد من القيود عليه، فإذا قام المفسر بحل هذا الإشكال سميّ ذلك الحلّ توجيها.

أمثلة التوجيه

كما في آية: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم:٢٨]، فإنهم سألوا عمّا استشكلوه من أنه كان بين موسى وعيسى عليهما السلام مدة كثيرة، فكيف يكون هارون أخا لمريم؟ كان السائل أضمر في خاطره أن هارون هذا هو هارون أخو موسى، فأجاب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم: ((بأن بني إسرائيل كانوا يسمّون بأسماء الصالحين من السلف))[١].

وكما سألوا: كيف يمشي الإنسان يوم الحشر على وجهه؟ فقال: إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه لقادر أن يمشيه على وجهه، وكما سألوا ابن عباس عن وجه التطبيق بين قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]، وبين آية أخرى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]؟ فقال رضي الله تعالى عنه: ((عدم التساؤل يوم الحشر، والتساؤل بعد دخول الجنة))[٢].

وسألوا عائشة رضي الله تعالى عنها فقالوا: إن كان السعي بين الصفا والمروة واجبا فما وجه لا جناح؟ فأجابت رضي الله تعالى عنها: بأن قوما كانوا يتجنّبوه، وبهذا السبب قال عزوجل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ﴾[٣] [البقرة:١٥٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم... الخ، صـ١١٨٠، الحديث:٢١٣٥.

(٢) قوله: [والتساؤل بعد دخول الجنة] أخرج الإمام ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]. (تفسير الطبري، المؤمنون:١٠١، ٩/٢٤٤)

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعي بين الصفا... الخ، صـ٦٦٣، الحديث:١٢٧٧)

وعمر رضي الله تعالى عنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قيد ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾[(١)] [النساء:١٠١] ما معناه؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: ((صدقة تصدّق الله بها))[(٢)] يعني لا يكون عند الكرماء في الصدقة مضايقة، فلم يذكر الله سبحانه وتعالى هذا القيد للمضايقة، بل القيد اتفاقي. وأمثلة التوجيه كثيرة، والمقصود التنبيه على المعنى.

فوائد أسباب النزول وبيان المعتمد عليه في هذا الباب

ومما يناسب عندي أن أذكر في الباب الخامس[(٣)] ما نقل البخاري والترمذي والحاكم في تفاسيرهم، من أسباب النزول وتوجيه المشكل، بسند جيّد إلى الصحابة، أو إلى حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق التنقيح والاختصار لفائدتين:

الأولى: أن حفظ هذا القدر من الآثار لا بدّ منه للمفسر، كما لا بدّ مما ذكرناه من شرح غريب القرآن.

والأخرى:أن يعلم أن أكثر أسباب النزول لا مدخل لها في فهم معاني الآيات، اللهم إلا شيء قليل من القصص يذكر في هذه التفاسير الثلاثة التي هي أصح التفاسير عند المحدثين.

وأما إفراط محمد بن إسحاق[(٤)]...

---

(١) **قوله**: [﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾] في قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، صـ٣٤٧، الحديث: ٦٨٦.

(٣) **قوله**: [الباب الخامس] هذه تكملة كتاب «الفوز الكبير» قال المصنف: فجاءت بحمد الله رسالة مفيدة في بابها عدة نافعة لمن أراد أن يقتحم في عبابها، وسميتها: «فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير».

(٤) **قوله**: [محمد بن إسحاق] هو محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المدني إمام المغازي **صدوق يدلس** ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها. وقال ابن معين: وثّقه

والواقدي[١] والكلبي[٢] وما ذكروا تحت كل آية من قصة فأكثره غير صحيح عند المحدثين، وفي إسناده نظر. ومن الخطأ البيّن أن يعدّ ذلك من شروط التفسير، والذي يرى أن تدبّر كتاب الله متوقف على حفظه فقد أضاع حظّه من كتاب الله. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

الفصل الرابع
في بقية مباحث الباب

بقية وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن

حذف بعض الأجزاء، أو أدوات الكلام مما يوجب الخفاء، وكذلك إبدال شيء بشيء، وتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، واستعمال المتشابهات والتعريضات والكنايات، خصوصا تصوير المعنى المراد بصورة محسوسة لازمة لذلك المعنى في العادة، والاستعارة المكنية، والمجاز العقلي، فلنذكر شيئا من هذه الأمثلة بطريق الاختصار لتكون على بصيرة.

غير واحد، ووهّاه آخرون كالدارقطني، وهو صالح الحديث ما له عندي ذنب إلا ما قد حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة. (تقريب التهذيب، صـ٨٢٥، ميزان الاعتدال، ٣/٤٥٣)

(١) **قوله:** [الواقدي] هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي المدني القاضي نزيل بغداد **متروك** مع سعة علمه من التاسعة مات سنة سبع ومائتين، وله ثمان وسبعون، وقال البخاري: متروك، وقال أحمد ابن حنبل: هو كذاب، وقال ابن معين: ليس بثقة. (تقريب التهذيب، صـ٨٨٢، ميزان الاعتدال، ٣/٦٣٣)

(٢) **قوله:** [الكلبي] هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر **متهم بالكذب** ورمي بالرفض من السادسة، قال البخاري قال علي حدثنا يحيى عن سفيان قال لي الكلبي كل ما حدثتك عن أبي صالح فهو كذب. قال الإمام أحمد: في تفسير الكلبي من أوله إلى آخره كذب، لا يحل النظر فيها. توفي سنة ١٤٦هـ. (تقريب التهذيب، صـ٨٤٧، ميزان الاعتدال، ٣/٥٣٢، الزلال الأنقى من بحر سبقة الأتقى، صـ٨٩)

الحذف وأمثاله

أما الحذف فعلى أقسام: حذف المضاف والموصوف والمتعلق وغيرها.

حذف المضاف «برّ».

كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ﴾ [البقرة:١٧٧] أي برّ من آمن.

حذف الموصوف «آية».

﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:٥٩] أي آية مبصره لا أنها مبصرة غير عمياء.

حذف المضاف «حب».

﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣] أي حب العجل.

حذف المضاف «قتل».

﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف:٧٤] أي بغير قتل نفس.

حذف الجار والمجرور «بغير».

﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ [المائدة:٣٢]، أي بغير فساد.

حذف الاسم الموصول والجار «من في».

﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:٨٣] أي من في السماوات ومن في الأرض، لا أن شيئا واحدا هو في السماوات والأرض.

حذف المضاف «عذاب».

﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء:٧٥] أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

حذف المضاف «أهل».

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢] أي أهل القرية.

حذف المضاف والمضاف إليه «مكان شكر».

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم:٢٨] أي فعلوا مكان شكر نعمة الله كفرا.

حذف الموصوف «الخصلة».

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] أي للخصلة التي هي أقوم.

﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢] أي بالخصلة التي هي أحسن.

حذف الموصوف «الكلمة».

﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء:١٠١] أي الكلمة الحسنى والعدة الحسنى.

حذف المضاف الأول «عهد».

﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي على عهد ملك سليمان.

حذف المضاف الأول «ألسنة».

﴿وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران:١٩٤] أي على ألسنة رسلك.

حذف مرجع الضمير «القرآن».

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] أي أنزلنا القرآن وإن لم يسبق له ذكر.

حذف مرجع ضمير توارت «الشمس».

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢] أي توارت الشمس.

حذف مرجع الضمير «خصلة الصبر».

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ [فصلت:٣٥] أي خصلة الصبر.

حذف الاسم الموصول «من».

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠] فيمن قرأ بالنصب أي جعل منهم مَن عَبَد الطاغوت.

حذف الجار «لام» في جعل له.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان:٥٤] أي جعل له نسبا وصهرا.

حذف الجار «من».

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف:١٥٥] أي من قومه.

حذف المضاف «نعمة» أو الجار «الباء» في «بربهم».

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [هود:٦٠] أي كفروا نعمة ربهم، أو كفروا بربهم بنزع الخافض.

حذف الحرف النفي «لا».

﴿تَفْتَؤُا﴾ [يوسف:٨٥] أي لا تفتأ، ومعناه لا تزال.

حذف القول والتقدير «يقولون».

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣] أي يقولون ما نعبدهم.

حذف المفعول الثاني «إلها».

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ [الأعراف:١٥٢] أي الذين اتخذوا العجل إلها.

حذف المعطوف مع العاطف «وعن الشمال».

﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات:٢٨] أي وعن الشمال[١]..

حذف القول والتقدير «تقولون».

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة:٦٥-٦٦] أي تقولون إنا لمغرمون.

حذف المفعول «بدلا».

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً﴾ [الزخرف:٦٠] أي بدلا منكم.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال:٥] أي امْض[٢].

---

(١) **قوله:** [وعن الشمال] لم نجد أحدا من المفسرين الذي أخرج "عن الشمال" محذوفا في هذا المكان، لعل المصنف أخرج تبعا لوجودها في الآيات الأخرى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج:٣٧].

(٢) **قوله:** [أي امْض] أي الأنفال ثابتة لك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق. أي مثل إخراجك ربك من بيتك بالحق. والمعنى: امض لأمرك في الغنائم ونفل من شئت وإن كرهوا، لأن بعض الصحابة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعل لكل من أتى بأسير شيئا قال: يبقى أكثر الناس بغير شي. تفسير القرطبي (٧/ ٣٦٧)

بيان حذف بعض أجزاء الجملة

وليعلم أن حذف خبر "أن"، أو جزاء الشرط، أو مفعول الفعل، أو مبتدأ الجملة، وما أشبه ذلك مطّرد في القرآن إذا كان فيما بعد دلالة على حذفه.

(مطّرد: أي عام، شائع.)

الأمثلة

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدٰىكُمْ اَجْمَعِيْنَ﴾ [الأنعام:١٤٩] أي لو شاء هدايتكم لهداكم.

(حذف المفعول «هدايتكم» ودل على حذفه «لهداكم».)

﴿اَلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ﴾ [البقرة:١٤٧] أي هذا الحق من ربك.

(حذف المبتدأ «هذا».)

﴿لَا يَسْتَوِيْ مِنْكُمْ مَّنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰتَلَ ؕ اُولٰٓئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ اَنْفَقُوْا مِنْۢ بَعْدُ وَ قٰتَلُوْا﴾ [الحديد:١٠] أي لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد الفتح، فحذف الثاني لدلالة قوله: ﴿اُولٰٓئِكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِيْنَ اَنْفَقُوْا مِنْۢ بَعْدُ وَ قٰتَلُوْا﴾.

﴿وَ اِذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّقُوْا مَا بَيْنَ اَيْدِيْكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ۝ وَ مَا تَاْتِيْهِمْ مِّنْ اٰيَةٍ مِّنْ اٰيٰتِ رَبِّهِمْ اِلَّا كَانُوْا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ ۝﴾ [يس:٤٥-٤٦] أي إذا قيل لهم: اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا[1].

التحقيق الدقيق في كلمة "إذ"

وليعلم أيضا أن الأصل في مثل: ﴿وَ اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣٠]، ﴿وَ اِذْ قَالَ مُوْسٰى﴾ [البقرة:٥٤] أن يكون "إذ" ظرفا لفعل من الأفعال[2]، ولكنه نقل هاهنا لمعنى التهويل والتخويف،

---

(١) **قوله:** [أعرضوا] حذف جزاء الشرط "أعرضوا" دل على حذفه قوله: ﴿وَمَا تَاْتِيْهِمْ﴾...إلخ.

(٢) **قوله:** ["إذ" ظرفا لفعل من الأفعال] **إذ:** اسم ثنائي الوضع مبني لشبهه بالحرف وضعاً أو افتقاراً، وهو ظرف زمان للماضي، وما بعده جملة اسمية أو فعلية، وإذا كانت فعلية قبح تقديم الاسم على الفعل وإضافته إلى المصدرة بالمضارع، وعمل المضارع فيه مما يجعل المضارع ماضياً، وهو ملازم للظرفية إلا أن يضاف إليه زمان، ولا يكون مفعولاً به، ولا حرفاً للتعليل أو المفاجأة، ولا ظرف مكان، ولا زائدة، خلافاً لزاعمي ذلك. واعلم أنّ "إذ" فيه تسعةُ أوجه، أحسنُها أنه منصوبٌ بـ﴿قَالُوْٓا اَتَجْعَلُ فِيْهَا﴾

كمثل الذي يذكر المواضع الهائلة، أو الوقائع الهائلة على سبيل التعداد من غير تركيب جملة، ومن غير وقوعها في حيز الإعراب بل المقصود من ذكرها أن ترتسم صورتها في ذهن المخاطب، ويستولى من تلك الحادثة خوف على ضميره، فالتحقيق أنه لا يلزم في مثل هذه المواضع تفتيش العامل، والله أعلم.

حذف الجار من "أن" المصدرية

وليعلم أيضا أن حذف الجار من "أن" المصدرية مطرد في كلام العرب، والمعنى: لأن، أو بأن، أو وقت أن[1].

حذف جواب الشرط

وليعلم أيضا الأصل في مثل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ﴾ [الأنعام:٩٣]، ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٥]، أن يحذف جواب الشرط، ولكن صار هذا التركيب منقولا لمعنى التعجيب، فلا حاجة إلى تفتيش المحذوف[2]، والله أعلم.

أي: قالوا ذلك القولَ وقتَ قولِ اللهِ تعالى لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وهذا أسهلُ الأوجهِ. (البحر المحيط، البقرة:٣٠، ١/٢٨٤، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، البقرة:٣٠، ١/٢٤٨)

(١) **قوله:** [لأن، أو...إلخ] حذف الجار قبل "أن" سواء كان حرف الجار أو مضافا،كما حذف في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١] أي لأن لم يكن، بحذف اللام. وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢] أي: وأمرت بأن أكون إلخ بحذف الباء. وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة:١٩] أي كراهة أن تقولوا.. إلخ بحذف المضاف.

(٢) **قوله:** [فلا حاجة إلى تفتيش المحذوف] هذا رأي المصنف أما المفسرون فقد يذكرون الجواب كما قال الإمام الآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ﴾: "وجواب الشرط محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً هائلاً". وقال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾:

الإبدال وأقسامه

وأما الإبدال فإنه تصرف كثير الفنون.

إبدال فعل بفعل

قد يذكر فعل مكان فعل لأغراض شتى، وليس استقصاء ذكر تلك الأغراض من وظيفة هذا الكتاب، ﴿أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء:٣٦] أي: يسب آلهتكم. كان أصل الكلام: أهذا الذي يسبّ، ولكن كره ذكر السبّ فأبدل بالذكر(١). ومن هذا القبيل ما يقال في العرف(٢):

"وجواب ﴿وَلَوْ﴾ محذوف، أي لو يعلمون أن القوة لله جميعاً إذا عاينوا العذاب لندموا أشد الندم". وإن الإمام النسفي قد ذكر سبب الحذف حيث قال: "حذف الجواب؛ لأن «لو» إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب". (روح المعاني، الأنعام:٩٣، ٢٩٢/٤، تفسير البيضاوي، البقرة:١٦٥، ٤٤٢/١، تفسير النسفي، البقرة:١٦٥، صـ٩٠)

(١) **قوله:** [كره ذكر السبّ فأبدل بالذكر] المراد يذكر آلهتكم بسوء، وقد يكتفي بدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٠] فإن ذكر العدو لا يكون إلا بسوء، وقد تحاشوا عن التصريح أدباً مع آلهتهم. والعرب تضع الذكر موضع المدح والذمّ، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح ويعيبه، ومن ذلك قول عنترة: لا تَذْكُرِي مُهْرِي ومَا أَطْعَمْتُهُ...فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ يعني بذلك: لا تعيبي مهري. (روح المعاني، الأنبياء:٣٦، ٦٣/٩، تفسير الطبري، ٢٦/٩)

(٢) **قوله:** [ما يقال في العرف] أي يستعمل في محاورات الناس عند مخاطبتهم لسادتهم، والذي ذكر المصنف كلها تعبيرات فارسية، يتقدمون بمثل هذه العبارات إلى سادتهم وكبرائهم. ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام احترام المخاطب بالتأدب معه، ورعاية مشاعره، وذلك بالابتعاد عما يشمئز منه، وبعدم مواجهته بالألفاظ الصريحة الدالة على المستقذرات، أو المعاني التي يجمل التستر بها مع أنها معلومة. والأديب ذو الحس المرهف يلقي على المعاني التي لا يجمل التصريح بها سترا كلاميا، إذ يدل عليها بالكنايات والإشارات والتلميحات ومعاريض الألفاظ. ومن أمثلة ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾...إلخ [النساء:٤٣] من الغائط: أي من المكان المنخفض الذي يذهب إليه عادة من يريد قضاء حاجة الإنسان، والتعبير بقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾

عرض الشيء لأعداء فلان، والمراد منه الفلان نفسه. ويقولون، شرّفنا بالمجئ عبيد الحضرة، أو عبيد الجناب العالي مطلعون على هذه المقدمة، والمراد أن الجناب العالي نفسه جاء، وأن الجناب العالي نفسه يعلم تلك المقدمة.

﴿مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٣] أي منا لا ينصرون، لما كانت النصرة لا تتصور بدون الاجتماع والصحبة ذكر يصحبون بدله.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٧] أي خفيت[١]، لأن الشيء إذا خفي علمه ثقل على أهل السماوات والأرض.

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء:٤] أي عفون لكم عن شيء عن طيبة من نفوسهن[٢].

إبدال اسم باسم

وقد يذكر اسم مكان اسم:

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خٰضِعِيْنَ﴾ [الشعراء:٤] أي خاضعة[٣].

فيه كناية عن قضاء الحاجة الناقضة للوضوء. ﴿أَوْ لٰمَسْتُمُ النِّسَآءَ﴾ فيه كناية عن الجماع وهو عمل يجب ستره وإن كان مباحا، فحسن في الكلام ستره بالكناية. (البلاغة العربية، الفصل الاول، ١/ ١٠٦ -١٠٧)

(١) **قوله:** [أي خفيت] قال الإمام البيضاوي: عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها، وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها. (تفسير البيضاوي، الأعراف:١٨٧، ٣/ ٨٠)

(٢) **قوله:** [عن طيبة من نفوسهنٍ] قال الإمام النسفي: والمعنى فإن وهبن لكم شيئاً من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقهم وسوء معاشرتكم. وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك، ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ ولم يقل «فإن وهبن لكم» إعلاماً بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة. (تفسير النسفي، النساء:٤، صـ٢٠٩)

(٣) **قوله:** [أي خاضعة] قال الإمام البيضاوي: وقيل لمّا وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم.

﴿وَ كَانَتْ مِنَ الْقٰنِتِيْنَ﴾ [التحريم:١٢] أي من القانتات[1].

﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ﴾ [آل عمران:٢٢] أي من ناصر[2].

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ اَحَدٍ عَنْهُ حٰجِزِيْنَ﴾ [الحاقة:٤٧] أي عنه حاجز[3].

﴿وَالْعَصْرِ ۙ اِنَّ الْاِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ﴾ [العصر:٣-٢] أي أفراد بني آدم، أفرد اللفظ لأنه اسم جنس.

﴿يٰۤاَيُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّكَ كَادِحٌ اِلٰى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ [الانشقاق:٦] المعنى: "يا بني آدم إنّكم"، أفرد اللفظ لأنه اسم جنس.

﴿وَحَمَلَهَا الْاِنْسَانُ﴾ [الأحزاب:٧٢] يعني أفراد الناس.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوْحِ ِۨالْمُرْسَلِيْنَ﴾ [الشعراء:١٠٥] أي نوحا وحده[4].

﴿اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح:١] أي إني فتحت لك.

﴿اِنَّا لَقٰدِرُوْنَ﴾ [المعارج:٤٠] أي إني لقادر.

﴿وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهٗ﴾ [الحشر:٦] أي يسلط محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم.

قيل: المراد بها الرؤساء أو الجماعات من قولهم: «جاءنا عنق من الناس لفوج منهم». (تفسير البيضاوي، الشعراء:٤، ٤/٢٣١)

(١) **قوله:** [أي من القانتات] قال الإمام البيضاوي: والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدت من جملتهم، أو من نسلهم فتكون ﴿مِنْ﴾ ابتدائية. (تفسير البيضاوي، التحريم:١٢، ٥/٣٥٩)

(٢) **قوله:** [ناصر] جُمع لوقف رؤوس الآي، وإلا فالواحد النكرة في النفي يعم. (تفسير النسفي، صـ١٥٤)

(٣) **قوله:** [حاجز] وجمع ﴿حٰجِزِيْنَ﴾ وإن كان وصف ﴿اَحَدٍ﴾؛ لأنه في معنى الجماعة. (تفسير النسفي، صـ١٢٧٧)

(٤) **قوله:** [نوحا وحده] والمراد نوح عليه السلام، قولك: «فلان يركب الدّواب ويلبس البرود» وما له إلا دابة أو برد، أو كانوا ينكرون بعث الرسل أصلاً فلذا جمع، أو لأن من كذّب واحداً منهم فقد كذّب الكل، لأن كل رسول يدعو الناس إلى الإيمان بجميع الرسل. (تفسير النسفي، الشعراء:١٠٥، صـ٨٢٥)

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران:١٧٣] أي عروة الثقفي وحده(١).

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ [النحل:١١٢] أي طُعم الجوع، أبدل الطعم باللباس إيذانا بأن الجوع له أثر من النحول والذبول(٢) يعم البدن ويشمله كاللباس.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٨] أي دين الله، أبدل بالصبغة إيذانا بأنه كالصبغ تتلوّن به النفس، أو لتشاكله بقول النصارى في المعمودية(٣).

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين:٢] أي طور سيناء(٤).

---

(١) **قوله:** [أي عروة الثقفي وحده] قد جاء في التفاسير وشروح الأحاديث: إن المراد من ﴿ٱلنَّاسُ﴾ الأول نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية، وإنما جاز إطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد، لأنه إذا قال الواحد قولا وله أتباع يقولون مثل قوله أو يرضون بقوله حسن حينئذ إضافة ذلك الفعل إلى الكل، قيل إطلاق الناس على الواحد لكونه من جنسهم. (التفسير الكبير، ٤٣٣/٣، عمدة القاري، ١٧٧/١، فتح الباري، ١٩٥/٨)

(٢) **قوله:** [النحول والذبول] **النحول:** الهزال والضعف، **الذبول:** هو انتقاص حجم الجسم بسبب ما ينفصل عنه في جميع الأقطار على نسبة طبيعية، يقال: النبات ذبلا وذبولا ذهبت نداوته وطراوته. (التعريفات، صـ٧٨، المعجم الوسيط، صـ٣٠٩)

(٣) **قوله:** [المعمودية] إن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم، وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال: الآن صار نصرانياً حقاً. وقال محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: أطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بالمعمودية، وصفتها عندهم أن الذي يريد أن يدخل في دينهم، أو التائب منه تتقدم الأقِسَّة منه فيمنعونه من اللحم والخمر أياما ثم يعلّمونه إعتقادهم وإيمانهم، فإذا تعلّم ذلك اجتمع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم ثم يغطسونه في ماء يغمروه، وقد اختلفوا هل يغطسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثا فإذا هو خرج من ذلك الماء دعى له الأسقف بالبركة، ووضع يده على رأسه، هكذا كانت صفة معموديتهم قديما في الأندلس، وأما اليوم فلعلّهم قد غيّروا بعض أحكامها، وربما اختلفوا في بعض تلك الأحوال وهي عندهم عبادة مؤكدة وقاعدة ممهدة ومن لم يقبلها عندهم فهو كافر وليس له من ذنوبه غافر. (الكشاف، ١٩٦/١، "الإعلام" للقرطبي، صـ٤٠٣)

(٤) **قوله:** [طور سيناء] يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه و«سِينِينَ» و«سَيْنَاء»

﴿سَلٰمٌ عَلٰٓى اِلْ يَاسِيْنَ﴾ [الصافات:١٣٠] أي إلياس[1]، قلب الاسمان للازدواج. (سيناء وإلياس.)

إبدال حرف بحرف

وقد يذكر حرف مكان حرف:

﴿فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهٗ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣] أي على الجبل كما تجلّى في المرة الأولى على الشجرة[2].

﴿وَهُمْ لَهَا سٰبِقُوْنَ﴾ [المؤمنون:٦١] أي إليها سابقون.

﴿اِنِّيْ لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُوْنَ ۝ اِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النمل:١٠-١١] أي لكن من ظلم استئناف. (لأن الأنبياء لا يظلمون.)

﴿وَلَاُوصَلِّبَنَّكُمْ فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] أي على جذوع النخل.

﴿اَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَّسْتَمِعُوْنَ فِيْهِ﴾ [الطور:٣٨] أي يستمعون عليه.

﴿السَّمَآءُ مُنْفَطِرٌۢ بِهٖ﴾ [المزّمّل:١٨] أي منفطر فيه[3].

﴿مُسْتَكْبِرِيْنَ ۖۗ بِهٖ﴾ [المؤمنون:٦٧] أي عنه[4].

﴿اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦] أي حملته العزة على الإثم.

اسمان للموضع الذي هو فيه. (تفسير البيضاوي، التين:٢، ٥/٥٠٧)

(١) **قوله:** [أي إلياس] إن "إل ياسين" لغة في الياس، وكثيراً ما يتصرفون في الأسماء الغير العربية. وفي "الكشاف" لعل لزيادة الياء والنون معنى في اللغة السريانية، ومن هذا الباب سيناء وسينين، واختار هذه اللغة هنا رعاية للفواصل. (روح المعاني، الصافات:١٣٠، ١٢/١٨٨، تحت الآية:١٣٠)

(٢) **قوله:** [في المرة الأولى على الشجرة] قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ اَتٰىهَا نُوْدِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْاَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبٰرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ اَنْ يّٰمُوْسٰٓى اِنِّيْٓ اَنَا اللّٰهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ﴾ [القصص:٣٠].

(٣) **قوله:** [منفطر فيه] ومعنى "به" أي فيه، أي في ذلك اليوم لهوله. هذا أحسن ما قيل فيه. (تفسير القرطبي، المزمل:١٨، ١٠/٣٩، الجزء التاسع عشر)

(٤) **قوله:** [أي عنه] الظاهر أن الضمير للقرآن؛ لتقدم ذكر آياته، والباء بمعنى "عن" أي: متكبرين عن سماعه والإذعان له. (البحر المديد)

﴿فَسْـَٔلْ بِهٖ خَبِيْرًا﴾ [الفرقان:٥٩] أي فاسأل عنه.

﴿وَلَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَهُمْ اِلٰٓى اَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء:٢] أي مع أموالكم.

﴿اِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦] أي مع المرافق.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ﴾ [الإنسان:٦] أي يشرب منها.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهٖٓ اِذْ قَالُوْا مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] أي أن قالوا.

إبدال جملة بجملة

وقد يُوردون جملة مكان جملة مثلا إذا دلّت جملة على حاصل مضمونِ جملةٍ ثانيةٍ وسببِ وجودها أبدلت منها ﴿وَاِنْ تُخَالِطُوْهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠] أي إن تخالطوهم لا بأس بذلك لأنهم إخوانكم، وشأن الأخ أن يخالط أخاه.

﴿لَمَثُوْبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ﴾[1] [البقرة:١٠٣] أي لوجدوا ثوابا ومثوبة من عند الله خير.

﴿اِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ اَخٌ لَّهٗ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] أي إن سرق فلا عجب لأنه سرق أخ له من قبل.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيْلَ فَاِنَّهٗ نَزَّلَهٗ عَلٰى قَلْبِكَ بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ [البقرة:٩٧] أي من كان عدوا لجبريل فإن الله عدو له، فإنه نزّله على قلبك بإذنه، فعدوّه يستحق أن يعاديه الله، فحذف فإن الله عدو له بدليل الآية التالية، وأبدل منه فإنه نزّله على قلبك.

إبدال التنكير بالتعريف

وربما يقتضي أصل الكلام التنكير فيتصرّف فيه بإدخال اللام والإضافة، والمعنى على التنكير

---

(١) قوله: [﴿لَمَثُوْبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ﴾] الآية الكاملة: ﴿وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَمَثُوْبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ﴾ قال الإمام البيضاوي: ﴿لَمَثُوْبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ﴾ جواب لو، وأصله لأثيبوا مثوبة من عند الله خيراً مما شروا به أنفسهم، فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها.(تفسير البيضاوي)

الأول: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف:٨٨] أي قيلٍ له(١) يا ربّ، فأبدل بقيله لأنه أخصر في اللفظ.

﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥] أي حق يقين(٢)، أضيف ليكون أيسر في اللفظ.

إبدال التأنيث والتذكير والإفراد بأضدادها

وقد يكون سنن الكلام الطبيعي تذكير الضمير أو تأنيثه أو إفراده، فيخرجون الكلام من ذلك السنن الطبيعي، ويذكّرون المؤنث وبالعكس، ويجمعون المفرد لرعاية المعنى المراد نحو:

ذكر «هذا» والشمس مؤنثة.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾(٣) [الأنعام:٧٨].

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾(٤) [البقرة:١٧].

إبدال التثنية بالمفرد

وقد يورد المفرد مكان التثنية، ومن أمثلته قوله تعالى:

ضمير الواحد يرجع إلى «الله ورسوله».

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [التوبة:٧٤].

﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [هود:٢٨] الأصل فعميتا فأفرد لأنهما

والأصل أعلمان، أفرد الخبر بدل التثنة.

كشيء واحد، ومثله: «اللهُ ورسوله أعلم».

---

(١) قوله: [قيل له] وَقِيلِهِ: يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكياً إلى ربّه: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف:٨٨]. (الكشف والبيان)

(٢) قوله: [حق يقين] من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: لهو اليقين الحق، أو هو من إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين، كما في قوله تعالى: ﴿حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، إذ الحبل هو الوريد، والقصد من مثل هذا التركيب التأكيد كما قال الإمام الرازي: ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد. (تفسير الرازي)

(٣) قوله: [﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾] قد ورد بعده في بعض النسخ الفارسية: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، لعل المصنف أراد بهذا الجزء إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨] فجاء بضمير الجمع في ﴿نَجَّىٰنَا﴾ في محل المفرد «ني» بقرينة ﴿فَقُلِ﴾.

(٤) قوله: [بِنُورِهِمْ] "هم" ضمير الجمع يرجع إلى "الذي" المفرد رعاية للمعنى.

إبدال الجزاء وجواب القسم بجملة مستقلة

وقد تقتضي طبيعة الكلام أن يذكر الجزاء في صورة الجزاء، والشرط في صورة الشرط، وجواب القسم في صورة جواب القسم، فيتصرّفون في الكلام ويجعلون ذلك الجزاء من الجملة جملة مستقلة مستأنفة رعاية للمعنى، ويقيمون شيئا يدل عليه بوجه من الوجوه، ﴿وَالنّٰزِعٰتِ غَرْقًا ۙ﴿١﴾ وَّالنّٰشِطٰتِ نَشْطًا ۙ﴿٢﴾ وَّالسّٰبِحٰتِ سَبْحًا ۙ﴿٣﴾ فَالسّٰبِقٰتِ سَبْقًا ۙ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرٰتِ اَمْرًا ۘ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۙ﴿٦﴾﴾ [النازعات:١-٦] المعنى: البعث والحشر حق، يدل عليه يوم ترجف[1].

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِ ۙ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُوْدِ ۙ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَّمَشْهُوْدٍ ؕ﴿٣﴾ قُتِلَ اَصْحٰبُ الْاُخْدُوْدِ ۙ﴿٤﴾﴾ [البروج:١-٤] المعنى: المجازاة على الأعمال حق[2].

﴿اِذَا السَّمَآءُ انْشَقَّتْ ۙ﴿١﴾ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۙ﴿٢﴾ وَاِذَا الْاَرْضُ مُدَّتْ ۙ﴿٣﴾ وَاَلْقَتْ مَا فِيْهَا وَتَخَلَّتْ ۙ﴿٤﴾ وَاَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ؕ﴿٥﴾ يٰۤاَيُّهَا الْاِنْسَانُ اِنَّكَ كَادِحٌ﴾ [الانشقاق:١إلى٦] المعنى: الحساب والجزاء كائن[3].

إبدال الخطاب بالغيبة

وقد يقع في أسلوب الكلام قلب فيقتضى أسلوب الكلام خطابا ويورد في صورة الغائب ﴿حَتّٰۤى اِذَا كُنْتُمْ فِی الْفُلْكِ ۚ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيْحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (← الأصل «جرين بكم».) [يونس:٢٢].

---

(١) **قوله:** [يدل عليه يوم ترجف] من أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به، وجواب القسم مضمر، كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن، يدل عليه ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ فأقيم مقامه.

(٢) **قوله:** [المجازاة على الأعمال حق] قال الإمام القرطبي: وقيل: جواب القسم محذوف، أي: والسماء ذات البروج لتبعثن. (تفسير القرطبي، ١٠/٢٠٢، الجزء التاسع عشر)

(٣) **قوله:** [الحساب والجزاء كائن]جواب إذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان عمله. (تفسير الجلالين)

إبدال الإخبار بالإنشاء وبالعكس

وقد يذكر الإنشاء مكان الإخبار، والإخبار مكان الإنشاء:[(١)]

﴿فَامْشُوْا فِيْ مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:١٥] أي: لتمشوا[(٢)].

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ [آل عمران:١٣٩] أي إيمانكم يقتضي هذا[(٣)].

﴿مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ ۚ كَتَبْنَا عَلٰى بَنِيْۤ اِسْرَآءِيْلَ﴾ [المائدة:٣٢] المعنى على قياس حال ابن آدم كتبنا، أو على مثال حال ابن آدم، فأبدل منه ﴿مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ﴾[(٤)]، لأن القياس لا يكون إلا بملاحظة العلة، فكأن القياس نوع من التعليل.

﴿اَرَءَيْتَ﴾ [الكهف:٦٣] في الأصل بمعنى الاستفهام من الرؤية ثم نقل هاهنا ليكون تنبيها على استماع كلام يأتي بعده كما يقال في العرف: هل ترى شيئا؟ هل تسمع شيئا؟.

بيان التقديم والتأخير والتعلق بالبعيد وما شابههما

وقد يوجب التقديم والتأخير أيضا صعوبة في فهم المراد ....

---

(١) **قوله:** [والإخبار مكان الإنشاء] ذكر المؤلف أمثلة الإنشاء مكان الإخبار ولم يبين أمثلة ذكر الإخبار مكان الإنشاء لأنها توجد بالكثرة كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوْٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨] هذا خبر بمعنى الأمر، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهٗۤ اِلَّا الْمُطَهَّرُوْنَ﴾ [الواقعة:٧٩] هذا بمعنى النهي.

(٢) **قوله:** [أي: لتمشوا] وقيل: خبر بلفظ الأمر، أي: لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها. (تفسير السراج المنير)

(٣) **قوله:** [إيمانكم يقتضي هذا] ﴿وَلَا تَهِنُوْا وَلَا تَحْزَنُوْا وَاَنْتُمُ الْاَعْلَوْنَ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم بما أصابكم، ولا تحزنوا على من قُتل منكم وأنتم الأعلون بأن تكون لكم العاقبة والنصر، فلا تفشلوا عن الجهاد إن كنتم مؤمنين، فإن الإيمان يقتضي قوة القلب بالوثوق بالله والاعتماد عليه. (البحر المديد)

(٤) **قوله:** [فأبدل منه ﴿مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ﴾] أي ذكر ﴿مِنْ اَجْلِ ذٰلِكَ﴾ مكان "على قياس حال ابن آدم كتبنا" فهذا مثال لإبدال الجملة بالجملة الأخرى. ولو جعلنا التعليل نوعا من الإنشاء لكان مثالا لذكر الإنشاء مكان الخبر.

كما في الشعر[1] المشهور:

بُثَيْنَةُ شأنُها سلبتْ فؤادي بلا جرم أتيتُ به سلا ما[2]

والتعلق بالبعيد أيضا مما يوجب صعوبة في الكلام[3]، وكذلك ما يكون من هذا القبيل، نحو: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ [الحجر:٥٩]، أدخل الاستثناء على الاستثناء فصعب[4].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين:٧] متصل[5] بقوله: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين:٤].

---

(١) **قوله:** [كما في الشعر] وكما في هذه الآية ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران:٥٥] قال جماعة من أهل المعاني منهم الضحاك والفراء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ على التقديم والتأخير، لأن الواو لا توجب الرتبة. والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. (تفسير القرطبي، ٤/ ٩٩)

(٢) **قوله:** [بلا جرم أتيت به سلاما] أصل هذا الشعر هكذا: بُثَيْنَةُ سلبتْ فؤادي بلا جرم أتيتُ به، سَلَا مَا شأنُها. وسَلَا فعل الأمر، "ما" مبتدأ شأنها خبره.

(٣) **قوله:** [مما يوجب صعوبة] سيذكر المؤلف الأمثلة لجميع الأشياء التي تسبب الصعوبة في فهم المراد من التقديم والتأخيرو التعليق بالبعيد وما يكون مثلهما.

(٤) **قوله:** [أدخل الاستثناء...إلخ] ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ مستثنى من الضمير المجرور في ﴿لَمُنَجُّوهُمۡ﴾ وليس باستثناء من الاستثناء، لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول: «أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته» وهنا قد اختلف الحكمان لأن ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ متعلق بـ﴿أُرۡسِلۡنَآ﴾ أو بـ﴿مُّجۡرِمِينَ﴾ و﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ متعلق بـ﴿مُنَجُّوهُمۡ﴾ فكيف يكون استثناء من استثناء. (تفسير النسفي، الحجر:٥٩، صـ٥٨٤)

(٥) **قوله:** [متصل] قال الإمام الألوسي: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ﴾ عند الجمهور الخطاب للإنسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت، أي فما يجعلك كاذباً بسبب الجزاء وإنكاره بعد هذا الدليل، والمعنى: أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه على وجه يبهر الأذهان، ويضيق عنه نطاق البيان، أو هذا مع تحويله من حال إلى حال من أوضح الدلائل على قدرة الله عزوجل على البعث والجزاء فأي شيء يضطرك أيها الإنسان بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه، فإن كل مكذب بالحق فهو كاذب. (تفسير الألوسي)

﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج:١٣] أي يدعو من ضره[1].

﴿لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦] أي لتنوء العصبة بها[2].

﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة:٦] أي اغسلوا أرجلكم[3].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه:١٢٩] أي ولولا كلمت سبقت وأجل مسمى لكان لزاما[4].

---

(١) **قوله:** [يدعو من ضره] قال ابن عطية: جرى فيه إشكال، وهو دخول اللام على "مَنْ" وهو في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول. -وهذا هو وجه الصعوبة عند المصنف- وأجيب بثلاثة أوجه أحدها: أن اللام متقدمة على موضعها، والأصل أن يقال: يدعو مَنْ لَضَرُّهُ أقرب، فموضعها الدخول على المبتدأ. وثانيها: أنَّ ﴿يَدْعُوا﴾ تأكيد ليدعو الأول، وتم الكلام عنده، ثم ابتدأ قوله: ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾، فمن مبتدأ، وخبره: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾. وثالثها: أن معنى ﴿يَدْعُوا﴾: يقول يوم القيامة هذا الكلام، إذا رأى مضرة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام. قلت والأقرب ما قاله الزجاج، وهو: أن مفعول ﴿يَدْعُوا﴾ محذوف، ويكون ضميرًا يعود على الضلال، وجملة: ﴿يَدْعُوا﴾ حال، والمعنى: ذلك هو الضلال البعيد يدعوه، أي: حال كونه مدعوًا له، ويكون قوله: ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ مستأنفًا مبتدأ، خبره: ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾. (البحر المديد)

(٢) **قوله:** [لتنوء العصبة بها] معنى تنوء: تنهض بِتَكَلُّفٍ، ويكون حينئذٍ في الكلام قلب عند أبي عبيدة ومن تبعه، والأصل تنوء العصبة بها، إذ العصبة هي التي تنوء بالمفاتح، لا العكس. ووجه الصعوبة عند المصنف: القلب في الكلام. قال الإمام أبو حيان محمد بن يوسف: والصحيح أن الباء للتعدية، أي لتنيء العصبة، كما تقول: ذهبت به وأذهبته، ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء، وتقول العرب: ناء الحمل بالبعير إذا أثقله. (البحر المحيط، القصص:٧٦، ٧/١٢٦-١٢٧)

(٣) **قوله:** [اغسلوا أرجلكم] المعنى: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم على التقديم والتأخير. (تفسير النسفي)

(٤) **قوله:** [لكان لزاما] فيه تقديم وتأخير الذي يسبب الصعوبة، لأن ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ عطف على ﴿كَلِمَةٌ﴾، أي: ولولا العدة بتأخير العذاب، وأجل مسمى لأعمارهم، أو لعذابهم لكان العذاب لزاماً، وإنما فصله عما عطف عليه للمسارعة إلى بيان جواب " لولا"، وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب المعجل، ومراعاة فواصل الآية الكريمة. (تفسير البيضاوي، البحر المديد)

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:٧٣] متصل[١] بقوله: ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال:٧٢].

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾[٢] متصل بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة:٤].

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف:١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفي[٣] (أي عالم بها. (تفسير النسفي)).

الزيادة في الكلام

والزيادة على سنن الكلام الطبيعي أيضا على أقسام:

قد يكون ذلك بالصفة ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[٤] [الأنعام:٣٨].

---

(١) **قوله:** [متصل] لأن الضمير المنصوب في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ عائد على ما أُمر في قوله: ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾، قال تعالى ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أي: فواجب عليكم نصرهم وإعانتهم، لئلا يستولي الكفر على الإيمان، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: إلا تفعلوه ما أُمرتم به من موالاة المؤمنين ونصرتهم ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ باستيلاء المشركين على المؤمنين، ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بإحلال المشركين أموال المؤمنين وفروجهم. (البحر المديد) ووجه الصعوبة فيها التعلق بالبعيد.

(٢) **قوله:** [﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾] ووجه الصعوبة فيها التعلق بالبعيد، لأن قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ استثناء من قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، فإن استغفاره إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر ليس مما ينبغي أن يأتسوا به، فإنه كان قبل النهي أو لموعدة وعدها إياه. (تفسير البيضاوي، ٥/٣٢٧)

(٣) **قوله:** [يسألونك عنها كأنك حفي] يعني يسألونك قومك عن الساعة كأنك حفي بها بمعنى بارّ بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بهم. (تفسير الخازن) وقال البيضاوي: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ عالم بها، فعيل من حفى عن الشيء إذا سأل عنه، فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه، ولذلك عدي بعن. (تفسير البيضاوي) فعلى هذا القول لا حاجة إلى التقديم والتأخير في نظم الآية.

(٤) **قوله:** [﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾] قال الإمام الرازي: ما الفائدة في قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾؟ مع أن كل طائر إنما يطير بجناحيه. والجواب فيه من وجوه: الأول: أن هذا الوصف إنما ذكر للتأكيد كقوله نعجة أنثى وكما يقال: كلمته بفي، ومشيت إليه برجلي. الثاني: أنه قد يقول الرجل لعبده طِرْ في حاجتي والمراد الإسراع، وعلى هذا التقدير: فقد يحصل الطيران لا بالجناح. (تفسير الرازي)

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾[1] [المعارج:١٩-٢١].

وقد يكون بالإبدال ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾[2] [الأعراف:٧٥].

وقد يكون بالعطف التفسيري ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف:١٥].

وقد يكون بالتكرار ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [يونس:٦٦] أصل الكلام: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾[3] [البقرة:٨٩].

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾[4] [النساء:٩].

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[5] [البقرة:١٨٩] أي هي مواقيت للناس باعتبار

---

(١) **قوله:** [﴿هَلُوعًا﴾] الهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير، وقال ابن عباس: تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝﴾. و﴿جَزُوعًا﴾ أي: مبالغاً في الجزع، مكثراً منه، والجزع: أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام، والجزع حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه. و﴿مَنُوعًا﴾ مبالغاً في المنع والإمساك. والوصفان على ما اختاره بعض الأجلة صفتان كاشفتان لهلوعاً الواقع حالاً، كما هو الأنسب بما سمعت عن ابن عباس وغيره. (تفسير الألوسي)

(٢) **قوله:** [﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾] بدل من ﴿الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ بدل الكل إن كان الضمير لقومه، وبدل البعض إن كان للذين في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾. (تفسير البيضاوي، ٣/٣٥)

(٣) **قوله:** [﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾...إلخ] تكريرٌ للأول لطول العهد بتوسط الجملةِ الحاليةِ. (تفسير أبي السعود، ١/١٥٤)

(٤) **قوله:** [﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾] أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى، إذ لا ينفع الأول دون الثاني. (تفسير البيضاوي، النساء:٩، ٢/١٥٢)

(٥) **قوله:** [والحج] ففيه إضمار تقديره وللحج، واعلم أنا بينا أن الأهلة مواقيت لكثير من العبادات فإفراد الحج بالذكر لا بد فيه من فائدة، وأحسن الوجوه فيه ما ذكره القفال رحمه الله: وهو أن إفراد الحج بالذكر إنما كان لبيان أن الحج مقصور على الأشهر التي عينها الله تعالى لفرضه، وأنه لا يجوز نقل الحج

أن الله شرع لهم التوقيت بها، وللحج باعتبار أن التوقيت بها حاصل للحج، ولو قيل هي مواقيت للناس في حجهم كان أخصر ولكن أطنب(١).

﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الشورى:٧] أي: تنذر أم القرى يوم الجمع.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل:٨٨] أي: ترى الجبال جامدة. أدخل الحسبان، لأن الرؤية تجيء لِمعانٍ، والمراد بها معنى الحسبان.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَّاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهٖ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] أدخل ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِيْنَ اُوْتُوْهُ﴾ في تضاعيف الكلام المنتظم بعضه ببعض بيانا لضمير ﴿اخْتَلَفُوْا﴾ وإيذانا بأن المراد من الاختلاف هاهنا هو الاختلاف الواقع في أمة الدعوة بعد نزول الكتاب بأن آمن بعض وكفر بعض.

وقد يزاد حرف الجر على الفاعل أو المفعول لتوكيد الوصلة فيكون معمولا للفعل بواسطة حرف الجر: ﴿يَوْمَ يُحْمٰى عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٣٥] أي تحمى هي(٢).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٤٦] أي قفيناهم بعيسى بن مريم.

من تلك الأشهر إلى أشهر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء. والله أعلم. (تفسير الرازي)

(١) **قوله:** [أطنب] الإطنابُ: زيادةُ اللفظِ على المعنى لفائدةٍ، أو هو تأديةُ المعنَى بعبارةٍ زائدةٍ عن متعارفِ أوساطِ البلغاءِ، لفائدةِ تقويتِه وتوكيدِه فإذا لم تكنْ في الزيادةِ فائدةٌ، يسمَّى تطويلاً.

(٢) **قوله:** [تحمى هي] أي: يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها، وأصله تحمى بالنار فجعل الإحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيهاً على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة التذكير.

إن الواو قد تستعمل للاتصال

ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام نكتة، وهي أن الواو تستعمل في كثير من المواضع لتوكيد الوصلة لا للعطف: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة:١-٧]، ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[1] [الزمر:٧٣]. ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾[2] [آل عمران:١٤١]. وكذلك تزاد الفاء أيضا.

الدلائل على استعمال الواو للاتصال

قال القسطلاني في شرح كتاب الحج في "باب المعتمر إذا طاف طواف العمرة ثم خرج هل يجزئه عن طواف الوداع"، قال: ويجوز توسّط العاطف[3] بين الصفة والموصوف لتأكيد لصوقها بالموصوف نحو: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (صفة المنافقين.) [الأحزاب:١٢] قال سيبويه: هو مثل "مررت بزيد وصاحبك" إذا أردت بصاحبك زيدا. وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا

---

(١) **قوله:** [﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾] في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ...إلخ، قال الإمام القرطبي: وقد قيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير حتى إذا جاءوها وأبوابها مفتحة، بدليل قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص:٥٠]، وحذف الواو في قصة أهل النار، لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذلالا وترويعا لهم. (تفسير القرطبي، الزمر:٧٣، ٨/٢٠٧، الجزء الخامس عشر)

(٢) **قوله:** [﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ﴾] في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ وجوّز أبو البقاء في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجهاً، وهو أن تكونَ الواوُ زائدةً، وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ معطوفٌ على ﴿لِيَعْلَمَ﴾. (الدر المصون، آل عمران: ١٤١، ٣/٤٠٦)

(٣) **قوله:** [ويجوز توسط العاطف] قال الإمام القسطلاني هذا الكلام في شرح الحديث (فنادى بالرحيل في أصحابه فارتحل الناس ومن طاف بالبيت قبل صلاة الصبح): طواف الوداع، وهذا من عطف الخاص على العام لأن الناس أعم من الطائفين ومن الذين لا طواف وداع عليهم كالحائض، أو هو صفة للناس، ويجوز توسط العاطف. (إرشاد الساري، كتاب العمرة، باب المعتمر اذا طاف...الخ، ٤/٣٥٧، الحديث:١٧٨٨)

﴿مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر:٤] جملة واقعة صفة لقرية، والقياس أن لا تتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٨]، وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: "جاءني زيد عليه ثوب"، و"جاءني وعليه ثوب" انتهى.

انتشار الضمائر وإرادة المعنيين من كلمة واحدة

وربما تكون الصعوبة في فهم المراد لانتشار الضمائر وإرادة المعنيين من كلمة واحدة، نحو: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٧]، يعني أن الشياطين ليصدون الناس عن السبيل، ويحسب الناس أنهم مهتدون.

و﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾(١) [ق:٢٣] في موضع واحد المراد به الشيطان، وفي الموضع الآخر: الملك. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة:٢١٥].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩] فالأول معناه أي إنفاق ينفقون وأي نوع من الإنفاق ينفقون، وهو صادق بالسؤال(٢) عن المصرف؛ لأن الإنفاق يصير باعتبار المصارف أنواعا. والثاني معناه: أي مال ينفقون.

بيان كون اللفظ لمعان شتى

ومن هذا القبيل مجيء لفظ «جعل» و«شيء» ونحوهما لمعان شتى، وقد يجيء «جعل» بمعنى «خلق» ﴿جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، وقد يكون بمعنى اعتقد ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [الأنعام:١٣٦]

---

(١) **قوله:** [﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾] في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق:٢٧] أي شيطانه الذي قرن به. (تفسير النسفي، ق:٢٧، صـ١١٦٢)

(٢) **قوله:** [صادق بالسؤال] يعني ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ يصدق في هذه الآية على السؤال عن مصارف الصدقة، وفي الثانية السؤال عن مقدار المال فأجيب عنها بـ"العفو" أي: الفاضل عن الحاجة.

و"شيء" يجيء مكان الفاعل ومكان المفعول به، ومكان المفعول المطلق[1] وغيرها ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور:٣٥] أي من غير خالق، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ [الكهف:٧٠] أي عن شيء مما تتوقف فيه من أمري[2].

وقد يريدون بـ "الأمر" "والنبأ" و"الخطب" المخبَر عنه ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص:٦٧] أي قصة عجيبة. وكذلك "الخير" "والشر" وما في معناهما يختلفان بحسب المواضع.

انتشار الآيات

ومن هذا القبيل انتشار الآيات وتجاوزها عن مواضعها الأصلية، كما أن الموضع الأصلي للآية يكون بعد إيراد القصة[3]، فيذكرونها قبل تمام القصة، ثم يعودون إلى القصة فيتمونها. وقد تكون الآية متقدمة في النزول متأخرة في التلاوة ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة:١٤٤] متقدمة في النزول و﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة:١٤٢] متأخرة، وفي التلاوة بالعكس. وقد يدرج الجواب[4] في أثناء قول الكفار ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران:٧٣].

---

(١) **قوله:** [المفعول المطلق] ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٧٧]، هو نصب على المصدر أي شيئاً من الضرر. (تفسير النسفي، صـ١٩٩) ذكر المصنف مثالا للفاعل والمفعول ولم يذكر للمفعول المطلق فذكرناه.

(٢) **قوله:** [تتوقف فيه من أمري] قال سيدنا خضر عليه السلام لسيدنا موسى عليه السلام: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته فأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع. (تفسير النسفي)

(٣) **قوله:** [الموضع الأصلي للآية يكون بعد إيراد القصة] قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧] أول هذه القصة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة:٧٢] وإنما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال. (تفسير البيضاوي، البقرة:٦٧، ١/٣٣٨)

(٤) **قوله:** [وقد يدرج الجواب] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ متعلق بقوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ وما بينهما اعتراض

وبالجملة فهذه المباحث تحتاج إلى تفصيل كثير، ولكن يكفي هذا القدر مما ذكرنا. ومن طالعه من أهل السعادة واستحضر هذه الأمور وأخطرها بالبال في أثناء المطالعة يدرك الغرض من الكلام بأدنى تأمل، ويقيس غير المذكور على المذكور، وينتقل من مثال إلى أمثلة أخرى.

الفصل الخامس

بيان المحكم والمتشابه والكناية

ليعلم أنّ **المحكم**[١]: ما لم يفهم منه العارف باللغة إلاّ معنى واحداً، والمعتبر فهم العرب الأول لا فهم مدققي زماننا، فإنّ التدقيق الفارغ داء عضال يجعل المحكم متشابهاً، والمعلوم مجهولاً.

والمتشابه[٢]: ما احتمل معنيين لاحتمال رجوع ضمير إلى مرجعين، كما إذا قال شخص: أما إنّ الأمير أمرني أن ألعن فلانا لعنه الله[٣]، أو لاشتراك كلمة في المعنيين نحو: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ [المائدة:٦] في الجماع واللمس باليد، ولاحتمال العطف على القريب والبعيد نحو: ﴿وَامْسَحُوْا بِرُءُوْسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ﴾ في قراءة الكسر، أو احتمال العطف والاستئناف نحو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيْلَهٗۤ اِلَّا اللّٰهُ ؔ وَالرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

والكناية[٤]: أن يثبت حكم من الأحكام ولا يقصد به ثبوت عينه، بل المقصود انتقال ذهن

يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل، أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم. (تفسير النسفي، آل عمران:٧٣، صـ١٦٧، تفسير بيضاوي، آل عمران:٧٣، ٢/٥٣)

(١) **قوله: [المحكم]** هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال. (مناهل العرفان في علوم القرآن، صـ٥٣٠)

(٢) **قوله: [المتشابه]** هو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المراد منه. (علوم القرآن، الفصل الثالث عشر، صـ١٢٢)

(٣) **قوله: [لعنه الله]** إن الضمير المنصوب يحتمل أن يرجع إلى الأمير و إلى فلانٍ.

(٤) **قوله: [الكناية]** عرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه، وقال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٨٩)

المخاطب إلى ما يلزمه لزوماً عادياً أو عقليا، كما في "عظيم الرماد"، فإنّ المعنى كثرة الضيافة، ويفهم من ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] معنى الكرم والسخاء.

بيان تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس

ومن هذا القبيل تصوير المعنى المراد بصورة المحسوس، وذلك باب واسع في أشعار العرب وخطبهم، والقرآن العظيم وسنة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مشحونة به، ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء:٦٤]، شبّه برئيس قطاع الطرق حيث ينادي أصحابه فيقول: تعالوا من هذه الجهة، وادخلوا من تلك الجهة.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس:٩]، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ [يس:٨] شبّه إعراضهم عن تدبر الآيات بمن غلّت يداه، أو بني حواليه سدّ من كل جهة، فلا يستطيع الرؤية أصلاً، ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ [القصص:٣٢] يعني اجمع خاطرك من الانتشار، ونظير ذلك في العرف أنهم إذا قرّروا شجاعة رجل يشيرون بالسيف أنه يضرب هكذا، ويضرب هكذا، ولا يقصد به إلاّ غلبته على أهل الآفاق بصفة الشجاعة، وإن لم يكن أخذ السيف بيده مرّة من الدهر، وكذلك يقولون: "يقول فلان لا أرى أحداً في الأرض يبارزني"، أو يقولون: "فلان يفعل هكذا"، ويشيرون بهيئة أهل المبارزة في وقت مغالبة الخصم، ولو لم يكن هذا الشخص قد قال شيئاً من ذلك أو أتى بعمل من هذه الأعمال. أو يقولون: خنقني فلان ونزع اللقمة من داخل حلقي. وأمثال هذه التعبيرات التي كلها من قبيل تصوير المعنى المراد بالصورة المحسوسة.

بيان التعريض والمجاز العقلي

والتعريض[1]: أن يذكر حكم عام أو شخص مبهم ويقصد به تقرير حال شخص خاص، أو التنبيه على حال رجل معين، وربما يجيء في أثناء الكلام بعض خصوصيات ذلك الشخص فيطلع المخاطب على بعض أحواله، ويتحيّر قارئ القرآن في مثل هذا الموضع، وينتظر القصة ويحتاج إليها. وكان النّبي إذا أنكر على شخص يقول: ((ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَّلَا مُؤْمِنَةٍ اِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗۤ اَمْرًا﴾ الآية، [الأحزاب:٣٦] تعريض بقصة زينب وأخيها[2]، ﴿وَلَا يَاْتَلِ اُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور:٢٢]، تعريض بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ففي هذه الصورة ما لم يطلعوا على تلك القصة لا يدركون مطلب الكلام.

والمجاز العقلي: أن يسند الفعل إلى غير فاعله، أو يقام ما ليس مفعولاً به مقام المفعول به لعلاقة المشابهة بينهما، ويدعي المتكلم أنه داخل في عداد ذلك وأنه فرد من أفراد ذلك الجنس، كما يقال: بنى الأمير القصر، مع أنّ الباني بعض البنائين لا الأمير، وإنما هو الآمر بالبناء، و"أنبت الربيع البقل" مع أنّ المنبت هو الحق سبحانه في موسم الربيع. والله أعلم بالصواب.

---

(١) **قوله:** [التعريض] هو لفظ استعمل في معناه للتلويح بغيره، وقال السكاكي: التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور، ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٩٤)

(٢) **قوله:** [بقصة زينب وأخيها] روى قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب نزول هذه الآية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش، وكانت بنت عمته، فظنت أن الخطبة لنفسه، فلما تبين أنه يريدها لزيد، كرهت وأبت وامتنعت، فنزلت الآية. فأذعنت زينب حينئذ وتزوجته. في رواية: فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش، وأن زيدا كان بالأمس عبدا، إلى أن نزلت هذه الآية، فقال له أخوها: مرني بما شئت، فزوجها من زيد. (تفسير القرطبي)

الباب الثالث
[في بديع أسلوب القرآن]

الفصل الأول
في تدوين القرآن الكريم وترتيبه

القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لم يُجعل القرآن مبوّباً مفصّلاً ليؤخذ كل مطلب منه في باب أو فصل، بل كان كمجموع المكتوبات كما يكتب الملوك إلى رعاياهم بحسب اقتضاء الحال حكما سلطانيا، وبعد زمان يكتبون حكما آخر، وعلى هذا القياس، حتّى تجتمع أحكام سلطانية كثيرة، فيدوّنها شخص حتّى يصير مجموعاً مرتباً، كذلك نزّل الملك على الإطلاق جلّ شأنه على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لهداية عباده سورة بعد سورة بحسب اقتضاء الحال، وكان في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم كل سورة محفوظة ومضبوطة على حدة من غير تدوين السوَر.

التدوين في عهد الخلفاء الراشدين وبيان تقسيم السور

ثم رتبت السوَر في مجلد بترتيب خاص في زمان أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسمي هذا المجموع بـ"المصحف". وقد كانت السور مقسومة عند الصحابة إلى أربعة أقسام[1]:

القسم الأول: السبع الطوال[2] التي هي أطول السور.

---

(١) **قوله**: [أربعة أقسام] ففي الحديث عن واثلة بن الأسقع أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلتُ بالمفصل)). ("المسند"للإمام أحمد، ٦/٤٤، الحديث: ١٦٩٧٩)

(٢) **قوله**: [السبع الطوال] الطوال سبع سور: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. فهذه ستة واختلفوا في السابعة أ هي الأنفال وبراءة معا لعدم الفصل بينهما بالبسملة، أم هي سورة يونس. وإنما سميت هذه السور السبعَ الطُّوَل، لطولها على سائر سُوَر القرآن. (مناهل العرفان، صـ٢٤٨، تفسير الطبري، ١/٧١)

أو تنقص شيئًا.

والقسم الثاني: المِئون[١] وهي سور في كل منها مائة آية أو تزيد شيئاً قليلاً.

والقسم الثالث: المثاني[٢] وهي السور التي آيها أقل من مائة آية.

والقسم الرابع: المفصل[٣].

وقد أدخل في ترتيب المصحف بعض السور[٤] من عداد المثاني في المئين لمناسبة سياقها بسياق المئين، وعلى هذا القياس ربما وقع في بعض الأقسام أيضاً تصرّف[٥]، واستنسخ عثمان

---

(١) **قوله**: [المِئون] وهي من أول الأنفال إلى نهاية السجدة ما عدا سورة يونس، أو من سورة يونس إلى سورة فاطر. (معجم علوم القرآن، صـ٢٣٨)

(٢) **قوله**: [المثاني] إن المثاني سميت مثاني، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثالَ والخبرَ والعبرَ، وهو قول ابن عباس. وروى عن سعيد بن جبير، أنه كان يقول: إنما سميت مثاني لأنها ثنيت فيها الفرائضُ والحدود. وهي التي تلي المئين. وهي من أول الأحزاب إلى أول سورة ق. (تفسير الطبري، ١/٧١، معجم علوم القرآن، صـ٢٤٤)

(٣) **قوله**: [المفصّل] هو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولا وصحح النووي أن أوله الحجرات. وسمي بالمفصّل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ منه. والمفصل ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار. **وطوال المفصل**: من الحجرات إلى البروج، **والأوساط**: من سورة البروج إلى "لم يكن"، **والقصار**: من سورة "لم يكن" إلى الآخر. واستحسنوا في الحضر طوال المفصل في الفجر والظهر وأوساطه في العصر والعشاء وقصاره في المغرب. (مناهل العرفان في علوم القرآن، صـ٢٤٨، الفتاوى الهندية، كتاب الصلاة، الباب الرابع في صفة الصلاة، الفصل الرابع في القراءة، ١/٧٧)

(٤) **قوله**: [بعض السور] في الأصل الفارسي: "دو سه سوره" معناه في الأردية: "دو تین سورتیں" يعني ما قصد بيان عدد السور الداخلة في المئين بل أشار إلى قلة دخول المثاني في المئين فلذلك ترجمناه بـ"بعض السور".

(٥) **قوله**: [وقع في بعض الأقسام أيضاً تصرف] مثاله ما روى الإمام الترمذي في جامعه عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك. فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزّل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا

رضي الله تعالى عنه من ذلك المصحف مصاحف، أرسل بها إلى الآفاق ليستفيدوا منها ولا يميلوا إلى ترتيب آخر.

بيان أسلوب سور القرآن الكريم في الابتداء والاختتام

ولما كان بين أسلوب السور وأسلوب الأحكام السلطانية من الملوك مناسبة تامة روعي في الأبتداء والانتهاء طريق الرسائل فكما أن بعض الرسائل تبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه، وبعضها ببيان الغرض المقصود، وبعضها ببيان اسم المرسل والمرسل إليه، وبعضها تكون رسائل قصيرة بلا عنوان وتمهيد، وبعض الرسائل تكون مطولة وأخرى مختصرة، كذلك سبحانه وتعالى صدّر بعض السور بالحمد والتسبيح، وبعضها ببيان غرض الكلام كما قال عزّوجلّ: ﴿ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾ [البقرة:٢]، ﴿سُوْرَةٌ اَنْزَلْنٰهَا وَفَرَضْنٰهَا﴾ [النور:١]، وهذا القسم يشبه ما يكتب: "هذا ما صالح عليه فلان وفلان"، و"هذا ما أوصى به فلان"، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب في وقعة الحديبية: ((هذا ما قاضى عليه محمد))[١]. وبعضها بذكر المرسل والمرسل إليه كما قال: ﴿تَنْزِيْلُ الْكِتٰبِ مِنَ اللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ﴾ [الزمر:١]، ﴿كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ﴾ [هود:١]، وهذا القسم يشبه ما يكتبون: "صدر الحكم من حضرة الخلافة"، أو يكتبون: "هذا إعلام لسكان البلدة الفلانية من حضرة الخلافة"، وقد كتب صلى الله تعالى عليه وسلم: ((من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم))[٢]. وبعضها على أسلوب الرسائل

وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما أنزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبيّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول. (سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة، ٥/٥٩، الحديث: ٣٠٩٧)

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب: هذا ما صالح عليه فلان... إلخ، ٢/٢١٢، الحديث: ٢٦٩٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿قُلْ يٰۤاَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى كَلِمَةٍ﴾... إلخ، ٣/١٩٢، الحديث: ٤٥٥٣.

القصيرة بلا عنوان، كما قال عزّوجلّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١]، ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم:١].

ولما كانت فصاحة كلام العرب تتجلى في القصائد، وكان من عاداتهم في مبدء القصائد التشبيب(١) بذكر مواضع عجيبة ووقائع هائلة، اختار الله عزّوجلّ هذا الأسلوب في بعض السور كما قال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [الصافات]، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات]، ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير].

وكما كانوا يختمون الرسائل بجوامع الكلم ونوادر الوصايا وتأكيد الأحكام السابقة وتهديد من يخالفها، كذلك ختم الله سبحانه أواخر السور بجوامع الكلم(٢) ومنابع الحكم(٣) والتأكيد البليغ(٤) والتهديد العظيم(٥).

وقد يصدر في أثناء السور الكلامُ البليغُ العظيم الفائدة البديع الأسلوب مشتملا على الأنواع من الحمد والتسبيح وبيان النعم والامتنان كما صدر بيان التباين بين مرتبة الخالق والمخلوق في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [النمل:٥٩]، ثم بين

---

(١) **قوله:** [التشبيب] هو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، ويكون في ابتداء القصائد، سمي ابتداؤها مطلقا وإن لم يكن فيه ذكر الشباب. (تاج العروس، ٩٦/٣) وهو المراد هنا كما أشار المؤلف بقوله: التشبيب بذكر مواضع عجيبة ووقائع هائلة.

(٢) **قوله:** [بجوامع الكلم] مثاله قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة].

(٣) **قوله:** [منابع الحكم] مثاله قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

(٤) **قوله:** [التأكيد البليغ] مثاله قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم:٥٢].

(٥) **قوله:** [التهديد العظيم] مثاله قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝﴾ [الغاشية: ٢٤-٢٦].

هذا المدعى في خمس آيات[(١)] بأبلغ وجه وأبدع أسلوب، وكما صدر مخاصمة بني اسرائيل في أثناء سورة البقرة ﴿يٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾ [البقرة:٤٧]، ثم ختمها بهذه الكلمة أيضاً[(٢)]، وابتداء المخاصمة بهذه الكلمة وانتهاؤها بها أيضا يحتل مكانا عظيما في البلاغة، وكذلك صدر مخاصمة أهل الكتابين في آل عمران بآية: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ليتضح محل النزاع ويكون الحوار بعد ذلك فيه ويدور الكلام حوله. والله أعلم بحقيقة الحال.

الفصل الثاني
في تقسيم السور إلى الآيات

الفرق بين الآيات والأبيات

لقد جرت سنة الله تعالى في أكثر السور القرآنية بتقسيمها إلى الآيات مع مراعاة التوافق التقريبي كما أن القصائد تقسم إلى الأبيات، وغاية الأمر أن هناك فرقا بين الآيات والأبيات، ثم إن الآيات والأبيات كل واحدة منهما من قبيل النشيد الذي يقال ويُنشد لالتذاذ نفس المتكلّم والسامع، إلا أن الأبيات الشعرية تكون مقيدة بالعروض والقوافي التي دوّنها الخليل بن أحمد[(٣)]، وتلقّاها منه الشعراء وجروا عليها. أما الآيات فإن بناءها على الوزن والقافية الإجمالية التي تشبه

---

(١) **قوله:** [خمس آيات] انظر سورة النمل من الآية ٦٠ إلى ٦٤ من قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

(٢) **قوله:** [ثم ختمها بهذه الكلمة أيضاً] يعني في الآية (١٢٢) أعيد نداء بني إسرائيل نداء التنبيه والإنذار والتذكير على طريقة التكرير في الغرض الذي سيق الكلام الماضي لأجله تأييدا لما تقدم وفذلكة له، وهو من ضروب رد العجز على الصدر. (التحرير والتنوير، البقرة:١٢٢، ١/٦٩٧)

(٣) **قوله:** [الخليل بن أحمد] الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه. ولد ومات في البصرة سنة ١٧٥هـ، وعاش فقيرا صابرا، كان يمتنع عن قبول عطايا الملوك. له "كتاب العين" في اللغة، و"معاني الحروف" و"كتاب العروض". (الأعلام، ٢/٣١٤)

الحقيقة الطبيعية لا على أفاعيل العروضيين(١) وتفاعيلهم(٢) وقوافيهم(٣) المعيّنة التي هي أمر صناعي واصطلاحي، وتنقيح ما وقع من الأمر المشترك بين الأبيات والآيات، -والنشائد تطلق بإزاء ذلك الأمر العام- ثم ضبط تلك الأمور التي التزام بها في الآيات، -وذلك بمنزلة الفصل- يحتاج إلى تفصيل. والله ولي التوفيق.

تفصيل هذا الإجمال: إنّ الفطرة السليمة تدرك لطفاً وحلاوة بالذوق في القصائد الموزونة المقفّاة، والأراجيز(٤) الرائقة وأمثالها، وإذا تأملت في سبب هذا الإدراك وبحثت عن السر وراء

---

(١) **قوله**: [أفاعيل العروضيين] **أفاعيل**: لعلّ المصنف أراد بها أعاريض جمع العروض على غير قياس، **والعَروضُ**:اسم الجزء الذى في آخر النصف الأول من البيت. **العروضيين**: أصحاب علم العروض، **تعريفه**: القواعد التي تدل على الميزان الدقيق الذي يُعرفُ به صحيح أوزان الشعر العربي من فاسدها. (الصحاح في اللغة، ٩١٥/٣، موسوعة العروض والقافية، صـ٢) **وواضعه**: الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري.

(٢) **قوله**: [وتفاعيلهم] **تعريفها**: هي كلمات وضعت ليوزن عليها الشعر مثل فعلن ومفاعلتن. أو نقول: إنه يتكون من مجموعات، وكل مجموعة تتركب من عدد من الحركات والسكنات، وقد اصطُلِحَ على تسمية هذه المجموعات (تفاعيل) لأنهم اشتقوا لها من كلمة (فَعَلَ). وهذه التفاعيل تتركب من عشرة أحرف تسمى أحرف التقطيع تجمعها عبارة (سيوفنا لمعت). والتفاعيل العَروضية عشر: اثنتان خماسيتان هما: فَعُوْلُنْ، وفَاْعِلُنْ، وثمان سباعية وهي: مَفَاْعِيْلُنْ، مُفَاْعَلَتُنْ، فَاْعِ لاتُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، فَاْعِلاتُنْ، مُتَفَاْعِلُنْ، مُسْتَفْعِ لُنْ، مَفْعُوْلاتُ. (موسوعة العروض والقافية، صـ١١)

(٣) **قوله**: [قوافيهم] **القافية**: في اصطلاح العروضيين عِلمٌ بأصول يُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصيح وقبيح، وهي مع هذا اسم لعدد من الحروف ينتهي بها كل بيت. وأما حدودها فقد تعددت الآراء في ذلك، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول: القافية عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفا كان أو أكثر، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول. مثال ذلك قول الشاعر:(نَعيب زمانَنا والعيبُ فينا-وما لزماننا عيب سوانا) فالقافية عند الخليل في هذا البيت هي قول الشاعر: (وَاْنَاْ). (موسوعة العروض والقافية، صـ٨٢)

(٤) **قوله**: [والأراجيز] جمع أرجوزة بمعنى: الرجز، والرجز: بحر من بحور الشعر معروف ونوع من أنواعه

هذا التذوق تجد أن الكلام إذا كانت أجزاؤه يوافق بعضها بعضا فإنه ينشئ في نفس المخاطب لذة خاصة، ويدعوه إلى انتظار مثله والشوق إليه، فإذا ورد بعد ذلك البيت الثاني مع ذلك التوافق والانسجام بين أجزائه تحقق الأمر المنتظر تضاعفت اللذة عنده، وإذا اشترك البيتان في القافية فتضاعفت اللذة ثالثة، فالتمتّع والالتذاذ بالأبيات الشعرية بسبب هذا السر الدقيق فطرة قديمة فطر عليها البشر، ولا اختلاف فيها بين الأمزجة والطبائع السليمة لأهل المناطق المعتدلة، وكلهم متفقون على ذلك.

الاختلاف في نوع التوافق وشروط القافية

ثم اختلفت المذاهب والأعراف والعادات في توافق الأجزاء في كل بيت من الأبيات وشروط القوافي المشتركة الواردة في أواخر الأبيات، فاختار العرب قانوناً وضعه الخليل بن أحمد وأوضحه إيضاحاً، والهنود يجرون على تقاليد وعادات تحكم بها سليقتهم اللغوية الفطرية. وهكذا اختار أهل كل عصر ومصر وضعاً من الأوضاع ومسلكا من المسالك.

التوافق التقديري هو الأمر الجامع المشترك

فإذا انتزعنا من هذه التقاليد والمذاهب المختلفة أمراً جامعاً وسراً شاملا دقيقاً فإنه هو التوافق التقديري أو التخميني ليس غير. فالعرب يستعملون "مفاعلن" و"مفتعلن" مكان "مستفعلن"، ويعتبرون: "فعلاتن" و"فاعلتن" وفق القاعدة الصحيحة بدل "فاعلاتن"، ويهتمون بموافقة ضرب بيت[1]

يكون كل مصراع منه مفردا وتسمى قصائده أراجيز، واحدتها أرجوزة، وهي كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر، ويسمى قائله راجزا كما يسمى قائل بحور الشعر شاعرا. (لسان العرب، ٢/١٤٥٦)

(١) **قوله**: [ضرب بيت] الضرب: هوآخر تفعيلة في الشطر الثاني (المصراع الثاني). كقوله: فحومل من قوله: بسقط اللوى بين الدخول فحومل. وجمعه: أضرب وضروب. (موسوعة العروض والقافية، صـ٨)

بضرب بيت آخر، وعروض بيت بعروض بيت، ويجوزون في الحشو كثيراً من الزحافات[١]، بخلاف شعراء الفُرس، فإنّ الزحافات عندهم مستهجنة، وكذلك تستحسن العرب إن كانت القافية في بيت "قبور" أن يكون في بيت آخر "منير" بخلاف شعراء العجم، وكذلك شعراء العرب يعدون "حاصل" و"داخل" و"نازل" من قسم واحد بخلاف شعراء العجم، كذلك وقوع كلمة واحدة بين شطري البيت بحيث يكون نصفها في الشطر الاول والنصف الآخر في الشطر الثاني صحيح عند العرب خطأ عند العجم. وبالجملة فإن الأمر الجامع المشترك هو التوافق التقريبي التقديري لا التوافق الحقيقي.

أوزان الهنود: ومبنى أوزان الأشعار عند الهنود على عدد الحروف بغير ملاحظة الحركات السكنات، وهي أيضاً مما يتلذّذ به، وقد سمعنا ألحان بعض القرويين التي يُلحّنون بها للحصول على المتعة والذوق، وهي في الواقع تشتمل على توافق تقريبي بين أجزاء الكلام، أو تشتمل على رديف، يكون عبارة عن كلمة واحدة أو عن تركيب كلمتين، أو أكثر. وهم يتغنون بها كالقصائد، ويتمتعون بها، ولكل قوم أسلوب خاص في نظمهم، وعلى هذا القياس وقع اتفاق الأمم على الالتذاذ بألحان ونغمات، وتحقّق اختلافهم في طرق تنغيمهم وأساليب تلحينهم، وقواعد الغناء عندهم تختلف فيما بينهم.

أوزان اليونانيين للألحان: وقد استنبط اليونانيون عدداً من الأوزان لهذه الألحان، ويُسمّونها "المقامات"، وقد استنبطوا من المقامات أصواتاً، وأقساماً وجعلوها فناً مفصلا مستقلا مع ضبط

---

(١) **قوله**: [**الزحافات**] "الزحاف" لغة: الإسراع، منه: «تزاحفوا في القتال» إذا تدانوا، وفي الشعر: هو أن يسقط بين الحرفين حرف فيزحف أحدهما إلى الآخر. وقيل: أهون عيوب الشعر الزّحاف، وهو جائز في العروض. (موسوعة العروض والقافية، صـ١٠٥، القاموس المحيط، ٣/١٩٨، كتاب نقد الشعر صـ٦٩)

القواعد والأصول.

أوزان الهنود وألحانهم: كذلك وضع الهنود ستة ألحان، ثم استخرجوا منها نُغَيمات وتلحينات متعددة، وقد رأينا أهل الريف منهم الذين لا يعرفون هذين المصطلحين، اخترعوا لهم تركيباً خاصاً ولحنا خاصا حسب سليقتهم الفطرية وذوقهم الفني، ووضعوا لأنفسهم أوزاناً من دون أن يضبطوا لها القواعد والكليات.

ونحن عندما ننظر هذه الخلافات ونتأمل فيها لا نخرج بنتيجة إلا أن القدر المشترك بينها هو التوافق التقريبي لا غير، والعقل ينظر إلى هذه الحقيقة الإجمالية والقدر المشترك، ولا هَمّ له في تفاصيل الرديف والقافية، والذوق السليم يحب العذوبة الخالصة، ولا علاقة له بالبحر الطويل أو المديد.

مراعاة القرآن الكريم لهذا الذوق الإجمالي المشترك

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخاطب هذا الإنسان الذي خلق من قبضة الطين قام برعاية هذا الحسن الإجمالي والجمال المشترك، لا تلك القواعد المصطلحة التي تميل إليها جماعة دون أخرى. وحين شاءت حكمة الملك القدوس عز شأنه أن يخاطب الناس على قدر كلامهم لاحظ هذا الأصل البسيط والسر المشترك في كلامه، لا تلك القوانين والضوابط التي تتغير حسب تغير الذوق والعصر ولا تستقر على حال واحد.

وفي الحقيقة أن مراعاة القوانين الاصطلاحية والتقيّد بها دليل على العجز والجهل، وأما مراعاة الحسن الإجمالي الذي لا يفوت في أي حال من أحوال الكلام، ولا أي صفة من صفاته مع بلوغ ذروة الكلام من دون إلمام بالقواعد الاصطلاحية، واستعمالٍ للضوابط العرفية إنما هو الإعجاز برأسه، الخارج عن حد الطوق البشري.

أسلوب القرآن الكريم في الفواصل

ومن هنا نستنبط قاعدة مهمة: وهي أن الله تبارك وتعالى قد راعى في أكثر سور كتابه الحميد الجاذبية الصوتية وامتدادها، لا البحر الطويل والبحر المديد أو غيرهما من البحور الشعرية، واعتبر في الفواصل[١] انقطاع النفس بحروف المدة، وما تعتمد عليه حروف المدة[٢] لا قواعد فن القوافي.

وهذا المبحث يحتاج إلى بسط وتفصيل، واجتزىء هنا بالقدر اليسير فلنتأمل فيما يأتي:

إن دخول النفس في الحلقوم وخروجه منه أمر طبيعي في الإنسان، وإن تمديد النفس وتقصيره مما هو في قدرة الإنسان، ولكنه إذا تركه على سجيته وفطرته من دون تمديد أو تقصير فإن له امتداداً خاصاً فيحصل في أول خروج النفس نشاط ثم يضمحل ذلك النشاط تدريجا حتّى ينقطع في آخر الأمر فيحتاج إلى إعادة نفس جديد، وهذا الامتداد أمر محدود بحد مبهم، ومقدر بمقدار مضطرب لا يضره نقصان كلمتين أو ثلاثة بل ولا نقصان قدر الثلث والربع، وكذلك لا تُخرجه عن الحد زيادة كلمتين أو ثلاثة بل ولا زيادة قدر الثلث والربع، ويسع ذلك الحد اختلاف عدد الأوتاد[٣] ....

---

(١) **قوله:** [الفواصل] الفواصل جمع الفاصلة، وهي الكلمة التي تكون في آخر الآية القرآنية. فهي كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر. وقال القاضي أبو بكر: الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني. (معجم علوم القرآن، صـ٢٠٧، البرهان في علوم القرآن، ١/٨٤)

(٢) **قوله:** [وما تعتمد عليه...إلخ] قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك قال سيبويه رحمه الله: أما إذا ترنّموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينوّن وما لا ينوّن لأنهم أرادوا مد الصوت. (البرهان في علوم القرآن، ١/٩٩)

(٣) **قوله:** [الأوتاد] الأوتاد في الشعر على ضربين: أحدهما حرفان متحركان والثالث ساكن نحو "فعو" و"علن" وهذا الذي يسمّيه العروضيون المقرون، لأن الحركة قد قرنت الحرفين، والآخر ثلاثة أحرف متحرك ثم ساكن ثم متحرك، وذلك "لات" من مفعولات، وهو الذي يسمّيه العروضيون المفروق لأن

والأسباب[١] وتقدم بعض الأركان على بعض.

أوزان الفواصل

قد جعل هذا الامتداد النفسي وزنا معلوما في القرآن الكريم، وقسّم ذلك على ثلاثة أقسام: **١ــ"طويل" ٢ــ و"متوسط" ٣ــ و"قصير"** أما **الطويل**: فنحو سورة النساء، وأما **المتوسط**: فنحو سورة الأعراف والأنعام، وأما **القصير**: فنحو "سورة الشعراء" و"سورة الدخان".

وجُعلت خاتمة النفس معتمدة على حرف من حروف المدة التي تعتمد على حرف آخر، هي القافية الواسعة النطاق، تدركها الطبيعة البشرية، وتجد في تكرارها اللذة والجمال، سواء كانت هذه حرف المدة (ألفاً) أو (واواً) أو (ياءاً)، وسواء كان الحرف التي تعتمد عليها باءاً في موضع، وميماً أو قافاً في موضع آخر، وعلى هذا فإن هذه الفواصل كـ (يعلمون) (مؤمنين) و(مستقيم) كلها متوافقة متلائمة، كذلك (خروج) (مريج) (تحيد) (تبار) (فواق) و(عجاب) كلها على قاعدة واحدة. وكذلك لحوق الألف في آخر الكلمة قافية متّسعة، ينشئ تكرارها وإعادتها لذة في النفس. مهما كان حرف الروي[٢] مختلفاً مثل (كريماً) في موضع، و(حديثاً) في موضع آخر، و(بصيرا) في موضع ثالث، فإن التزم في هذه الصورة موافقة الروي كان من

الحرف قد فرّق بين المتحركين. (المحكم والمحيط الاعظم، ٩/٤١٤)

(١) **قوله**: [الأسباب] **السبب** من مقطعات الشعر: حرف متحرك وحرف ساكن، وهو على ضربين: سببان مقرونان، وسببان مفروقان، فالمقرونان ما توالت فيه ثلاث حركات بعدها ساكن، نحو "متفا" من متفاعلن، و"علتن" من مفاعلتن، فحركة التاء من متفا، قد قرنت السببين، وكذلك حركة اللام من علتن، قد قرنت السببين أيضا، والمفروقان هما اللذان يقوم كل واحد منهما بنفسه أي يكون حرف متحرك وحرف ساكن، ويتلوه حرف متحرك، نحو "مستف" من مستفعلن، ونحو "عيلن" من مفاعيلن. (المحكم والمحيط الاعظم، ٨/٤٢٤، لسان العرب، ٢/١٧٣٢)

(٢) **قوله**: [الروي] الرَّوِيُّ حرف القافيةِ، قال الأَخْفَش: الرَّوِيُّ الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة ويلزم في

قبيل التزام ما لا يلزم، كما وقع في أوائل "سورة مريم" و"سورة الفرقان"(١)، وكذلك توافق الآيات الكريمة على حرف واحد كحرف الميم في سورة القتال، وحرف النون في سورة الرحمن يُحدث لذّة ومتعة عجيبة، وكذلك إعادة جملة بعد طائفة من الكلام تفيد لذّة كما وقع في "سورة الشعراء" و"سورة القمر" و"سورة الرحمن" و"سورة المرسلات"(٢).

وقد تخالف فواصل آخر السورة أولها لتنشيط ذهن السامع وللإشعار بلطافة ذلك الكلام مثل "إدًّا" و"هداً" في آخر "سورة مريم"، ومثل "سلاماً" و"كراماً" في آخر "سورة الفرقان"، و"طين" و"ساجدين" و"الْمُنْظَرِينَ" في آخر "سورة ص" مع أن الفواصل في أوائل هذه السور جاءت مختلفة عنها(٣)، كما لا يخفى.

وخلاصة الأمر أن مراعاة هذا (الوزن) و(القافية) التي مضى التعبير عنها كانت ذات أهمية معتبرة. وإذا وردت في آخر الآية لفظة تصلح لأن تكون قافية فبها ونعمت(٤)، وإلا فيأتي الكلام

كل بيت منها في موضع واحد نحو قول الشاعر (إذا قَلَّ مالُ المرءِ قَلَّ صديقُه...وأَوْمَتْ إليه بالعُيوبِ الأصابعُ) قال فالعين حرف الرَّوِيّ وهو لازم في كل بيت. (المحكم والمحيط الاعظم، ١٠/٣٥٤)

(١) **قوله**: [أوائل "سورة مريم" و"سورة الفرقان"] بداية سورة مريم ﴿كٓهٰيٰعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهٗ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادٰى رَبَّهٗ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:١-٣]، وفي الفرقان: ﴿تَبٰرَكَ الَّذِیْ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰی عَبْدِهٖ لِیَكُوْنَ لِلْعٰلَمِیْنَ نَذِیْرًا ۝ الَّذِیْ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَمْ یَتَّخِذْ وَلَدًا وَّلَمْ یَكُنْ لَّهٗ شَرِیْكٌ فِی الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ فَقَدَّرَهٗ تَقْدِیْرًا ۝﴾ [الفرقان:١-٢].

(٢) **قوله**: [وقع في "سورة الشعراء"...إلخ] وقع في الشعراء: ﴿اِنَّ فِیْ ذٰلِكَ لَاٰیَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِیْنَ ۝ وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِیْزُ الرَّحِیْمُ ۝﴾ [الشعراء:١٠٣]، وفي القمر: ﴿وَلَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، وفي الرحمن: ﴿فَبِاَیِّ اٰلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبٰنِ﴾ وفي المرسلات: ﴿وَیْلٌ یَّوْمَىِٕذٍ لِّلْمُكَذِّبِیْنَ ۝﴾ [المرسلات:١٥].

(٣) **قوله**: [جاءت مختلفة عنها] جاءت في أوائل سورة مريم "زَكَرِيًّا" و"خَفِيًّا"، وفي الفرقان: "نَذِيرًا" و"تَقْدِيرًا"، وفي سورة ص: "الذِّكْرِ" و"شِقَاقٍ" و"مَنَاصٍ".

(٤) **قوله**: [فبها ونعمت] هذا كلام مختصر محذوف للإيجاز، أي: ونعمت الخصلة بتاء ساكنة وقفا ووصلا، ومعنى قوله: "فبها" أي فبالخصلة الحسنة أخذت ونعمت الخصلة. كقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

متصلا بجملة تشتمل على بيان آلاء الله تعالى أو على تنبيه للمخاطب مثل: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧]، و﴿كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح:١١]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّأُولِي النُّهٰى﴾[1] [طه:٥٤]، ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ﴾ [الرعد:٣]، وقد أطنب في مثل هذه المواضع أحياناً مثل: ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيْرًا﴾ [الفرقان:٥٩]، ويستعمل التقديم والتأخير مرّة والقلب والزيادة أخرى مثل ﴿إِلْ يَاسِيْنَ﴾ [الصافات:١٣٠] في إلياس، و﴿وَطُوْرِ سِيْنِيْنَ﴾ [التين:٢] في سيناء.

وينبغي أن يعلم أن انسجام الكلام وسهولته على لسان القارئ لكونه يحلّ محل الأمثال السائرة، أو لتكرره في الآية الكريمة يوائم بين الكلام الطويل والكلام القصير، ويُحدث بينهما اتزانا وانسجاما، فيؤتى تارة بالفقرة الأولى من الكلام أقصر وأخصر من الفقرة الثانية، وهو يفيد عذوبة في الكلام ولذّة جديدة كقوله تعالى: ﴿خُذُوْهُ فَغُلُّوْهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُّوْهُ ۝ ثُمَّ فِيْ سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُوْنَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوْهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢]، فكأن المتكلّم في مثل هذا الكلام يضمر في نفسه أنّ الفقرة الأولى والثانية من حيث المجموع في كفّة، والثالثة وحدها في كفّة.

وربما تكون الآية ذات قوائم ثلاث نحو: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوْهٌ وَّتَسْوَدُّ وُجُوْهٌ فَأَمَّا الَّذِيْنَ اسْوَدَّتْ وُجُوْهُهُمْ﴾ الآية [آل عمران:١٠٦]، ﴿وَأَمَّا الَّذِيْنَ ابْيَضَّتْ وُجُوْهُهُمْ﴾ الآية، وعامة القراء يجمعون الأولى مع الثانية، ويعدونها آية طويلة. وقد تجيء في آية فاصلتان كما يكون في البيت أيضاً، مثال ذلك:

كالزهر في ترف والبدر في شرف ... والبحر في كرم والدهر في همم

"من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت" أي: فبالسنة أخذ، ونعمت السنة".

(١) **قوله**: [﴿لِّأُولِي النُّهٰى﴾] وفي الأصل: (إن في ذلك لآيات لأولي الألباب) ولم توجد في القرآن آية بهذا النظم.

وقد تكون الآية أطول من سائر الآيات، والسر ههنا أنه إذا جُعل حسن الكلام الناشيء من تقارب الوزن ووجدان الأمر المنتظر، وهو القافية في كفةٍ، وجُعل حسن الكلام الناشيء من سهولة الأداء، وموافقة طبع الكلام، وعدم لحوق التغيير فيه في كفةٍ أخرى، فإن الفطرة السليمة سوف تميل إلى جانب المعنى وترجِّحه، فيترك أحد الانتظار مهملا (وهو التوافق في القافية) ويوّفى الحق في الانتظار الثاني.

أساليب متنوعة في السور

وما قلنا في مفتتح هذا البحث: "أن سنة الله تعالى جرت على ذلك في أكثر السور القرآنية"، إنما هو لأجل أن بعض السور القرآنية لم يراع فيها هذا النوع من الوزن والقافية فجاءت طائفة من هذه السور على طريق خطب الخطباء وأمثال البلغاء والحكماء، ألم تسمع مسامرة النساء المروية عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها[1] فانظر في قوافيها، وفي بعض السور وقع الكلام على منهج رسائل العرب من دون مراعاة شيء آخر، كأنها محاورة الناس بعضهم ببعض إلا أنه اختتم كل كلام في الآيات بما يناسب الاختتام به.

والسر ههنا أنّ الأصل في لغة العرب الوقف في موضع ينتهي النفس ويفني نشاط الكلام، والمستحسن في محل الوقف انتهاء النفس على حروف المدة، ومن هنا جاءت الآيات على هذه الصورة. هذا ما فتح الله تعالى علي في هذا الباب، والله أعلم بالصّواب.

---

(١) **قوله:** [المروية عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها] يريد بها حديث أمّ زرع المروي في صحيح البخاري.

(صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الاهل، ٣/٤٥٨، الحديث: ٥١٨٩)

الفصل الثالث

في بيان تكرار العلوم الخمسة في القرآن الكريم

إن سألوا لم تكررت مطالب الفنون الخمسة في القرآن العظيم؟ ولِمَ لم يكتف بموضع واحد؟ قلنا: الذي نريد إفادته للسامع ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يكون المقصود هناك مجرد تعليم ما لا يعلم، فالمخاطب لم يكن عالماً بالحكم، ولم يدركه عقله وفكره، فيعلم ذلك المجهول باستماع الكلام ويصير المجهول معلوماً.

والثاني: أن يكون المقصود استحضار صورة ذلك العلم في قوته المدركة ليتلذذ به لذّة تامّة، وتفنى القُوى القلبية والإدراكية في ذلك العلم، ويغلب القوى كلها حتّى تنصبغ بذلك العلم، كما نكرر الشعر الذي علمنا معناه سلفاً، ولكننا رغم ذلك نجد كل مرة في إنشاده لذّة جديدة، ونحب تكراره لأجل هذه اللذّة الذوقية.

وإن القرآن العظيم بالنسبة إلى كل واحد من مطالب الفنون الخمسة أراد إفادة القسمين المذكورين، فأراد تعليم ما لا يعلم بالنسبة إلى الجاهل، وصبغ النفوس بتلك العلوم من التكرار بالنسبة إلى العالم، اللهم إلاّ أنّ أكثر مباحث الأحكام لم يحصل تكرارها؛ لأنّ الإفادة الثانية غير مطلوبة فيها، ولذا أمر بتكرار التلاوة في الشريعة ولم يكتف بمجرد الفِهم.

وقد روعي في أكثر الأحوال التنوع في تكرار تلك المسائل بعبارة طرية وأسلوب جديد، ليكون أوقع في النفس والأذهان، ولو كرر سبحانه وتعالى بنفس الألفاظ والعبارات لكان مثل أوراد يردِّدونها، وأما في اختلاف التعبيرات وتغاير الأسلوب يخوض الذهن ويجتمع الخاطر بأسرّه.

بيان حكمة تفرق هذه المباحث

إن سألوا لم نشرت هذه المطالب في سور القرآن ولم يراع الترتيب فيذكر آلاء الله أولاً

ويستوفى حقّها، ثم يذكر أيام الله ويكملها، ثم مخاصمة الكفار؟ قلنا: وإن كانت القدرة الإلهية شاملة للممكنات كلها، ولكن الحاكم في هذه الأبواب الحكمة، واقتضت الحكمة موافقة المبعوث إليهم في اللسان وأسلوب البيان، وإلى هذا المعنى أشير في الآية: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت:٤٤]، ولم يكن لدى العرب إلى وقت نزول القرآن أي كتاب، لا من الكتب الإلهية ولا من تأليف بشر، وهذا الترتيب المخترع لم يكن معروف عند العرب، فإن كنت في شك من هذا فارجع إلى قصائد الشعراء المخضرمين[١] واقرأ رسائل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورسائل عمر الفاروق رضي الله عنه ليتضح لك هذا الأمر، فلو جاء الكلام على غير ما كانوا يعهدونه من طرائق البيان، لوقعوا في الحيرة، وواجههم شيء لا يألفونه ولا يأنسون به، وشوش عقولهم، وأيضاً ليس المقصود مجرد الإفادة بل الإفادة مع الاستحضار والتكرار، وهذا المعنى في غير المرتب أقوى وأتم.

الحكمة في ترك الأوزان والقوافي المتداولة

ولو سألنا: لماذا لم يختر القرآن الكريم تلك الأوزان والقوافي التي تعرف لدى الشعراء وهي أحلى وألذ ؟ قلنا: كونهما أحلى وألذ يختلف باختلاف الأقوام والأذهان، ولو سلّمنا هذا جدلاً فإن إبداع أسلوب جديد في الوزن والقافية على لسان سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ـــوهو أمي ـــ، آية ظاهرة على نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو نزل القرآن موافقا لأوزان الشعراء وقوافيهم لحَسِب الكفارُ أنه هو الشعر المعروف لدى العرب[٢]، ولم

---

(١) **قوله:** [المخضرمين] أصل الخضرمة أن يجعل الشيء بين بين، ورجل مخضرم إذا كان نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الإسلام، وشاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام مثل لبيد وغيره ممن أدركهما.

(لسان العرب، باب الخاء، ١/١١٠٦)

(٢) **قوله:** [الشعر المعروف لدى العرب] قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون- مع أن الموزون

يلتفتوا إليه وحُرموا من ثمراته، كما إذا أراد البلغاء إظهار التفوّق في النظم والنثر ورجحانهم على المعاصرين على رؤوس الأشهاد اخترعوا صناعة جديدة، وأحدثوا طرقا غريبة في الكلام، ثم قاموا بالتحدّي على إتيان كلام يساوي كلامهم في الأسلوب والاتقان، ولو كان إنشاؤهم على الأسلوب المتداول لم تظهر براعتهم إلاّ على المحققين المدققين.

الفصل الرابع
في وجوه إعجاز القرآن(١)

إن سألوا ما هو وجه الإعجاز في القرآن الكريم؟ قلنا: الذي تحقّق عندنا أن له وجوها عديدة.

من الكلام رتبته فوق رتبة غيره- أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق، وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق، والإفراط في الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء، دون إظهار الحق وإثبات الصدق، ولهذا نزّه الله نبيّه عنه، ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمّى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب شعرية. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/١٠١٩)

(١) **قوله:** [إعجاز القرآن] لا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر واحد على معارضته بعد تحديهم بذلك، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/١٠٠٢) وزعم النظام المعتزلي "أن إعجازه بالصرفة، أي أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات" وهذا قول فاسد بدليل: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٨٨] فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لإجتماعهم لمنزلته منزلة إجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا، وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله، وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز، وفي ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن. (الإتقان في علوم القرآن، ٢/١٠٠٥)

الإعجاز الأسلوبي

منها: الأسلوب البديع؛ لأنّ العرب كانت لهم ميادين معلومة يركضون فيها جواد البلاغة، ويحرزون قصبات السبق[1] في مسابقة الأقران بالقصائد والخطب والرسائل والمحاورات، ولم يكونوا يعرفون أساليب غير هذه الأصناف الأربعة، وما كانت عندهم قدرة على إبداع غيرها من الأساليب، فإبداع أسلوب جديد على لسان النبي الأمي صلى الله تعالى عليه وسلم عين الإعجاز.

الإعجاز الإخباري

ومنها: الإخبار بالقصص الماضية وأحكام الملل السابقة على وجه يكون مصدقاً للكتب السابقة بغير تعلم.

ومنها: الإخبار بأمورٍ مُسْتَقْبَلَةٍ، فكلما وجد شيء على طبق ذلك الإخبار ظهر إعجاز جديد.

الإعجاز البلاغي والبياني

ومنها: الدرجة العليا في البلاغة القرآنية التي تعلو على قدرة البشر وتخرج عن طوقه، وكلما ابتعدنا عن زمن العرب الأول عجزنا عن الوصول إلى كنهها[2]، ولكن القدر الذي تتبعناه

---

(١) **قوله:** [يحرزون قصبات السبق] أي: يحوزون، كان من عادة العرب أن تغرز قصبة في آخر ميدان تسابق الفرسان فمن أعدى فرسه إليها وأخذها عد سابقاً، ففي الكلام استعارة تمثيلية إن شبه حال العرب في غلبتهم لمن قاواهم في البلاغة بحال السابقين على الخيل في الميدان في سبقهم إلى قصبة السبق. (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، مقدمة المؤلف، ١/٣٢)

(٢) **قوله:** [عجزنا عن الوصول إلى كنهها] يقول الإمام السيوطي: ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة، وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبرع ما

أنّ استعمال الكلمات والتركيبات العذبة الجزلة مع اللطافة وعدم التكلف لا نجد في قصائد المتقدمين والمتأخرين قدر ما نجده في القرآن، وهذا أمر ذوقي يتمكن من معرفته المهرة من الشعراء، ولم يحصل التميز في هذا الأمر للعامة من الناس.

ومن المعلوم كذلك أن القرآن الكريم في موضوع التذكير بآلاء الله وأيامه، والجدل، يكسو المعاني المتقاربة في كل موضع لباساً جديداً حسب أسلوب السورة، لايقدر عليه أحد سواه، فأين الثُّريَّا من يد المتطاول. وإذا تعسّر على أحد إدراك ذلك فعليه أن يتأمل في أساليب قصص الأنبياء والمرسلين في سورة "الأعراف" و"هود" و"الشعراء"، ثم لينظر تلك القصص في "الصافات" ثم في "الذاريات" ليتبين له الفرق، وكذلك ذكر تعذيب العصاة وتنعيم المطيعين، فإنه يذكر في كل مقام بأسلوب جديد، ويذكر مخاصمة أهل النار في صور جديدة وأساليب متنوعة في كل مكان، والكلام في هذا يطول.

وأيضاً نعلم أن رعاية مقتضى الحال الذي تفصيله في فن المعاني والاستعارات والكنايات التي تكفّل بها فن البيان قد توفرت في القرآن الكريم وتحققت بوجه لا يتصور أحسن منها وأروع مع رعاية حال المخاطبين الأميين الذين لا يعرفون هذه الصناعات، وذلك أن المطلوب في القرآن الكريم هو أن تودع بعض اللطائف البيانية التي لا تستعصي على العامة ويتذوقها الخاصة في تضاعيف المخاطبات المعروفة والحوار العام، وهذا هو نوع من الجمع بين النقيضين، و أمر خارج عن نطاق البشرية.

تكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم. (الإتقان،٢/١٠٠٨)

زفرق تا بہ قدم ہر کجا کہ می نگرم کرشمہ دامن دل می کشد کہ جا این جاست

كما في قول أبي نواس (يزيدك وجهه حسنا ** إذا ما زدته نظرا)

أي يزيدك الله حسنا في وجهه لما أودعه من دقائق الجمال متى تأملت.

الإعجاز التشريعي

ومن جملة وجوه الإعجاز ما لا يتيسّر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع، وذلك أنّ هذه العلوم الخمسة حجة قائمة بذاتها على أن هذا الكلام منزل من عند الله الحكيم العليم لهداية بني آدم، كما أنّ عالم الطب إذا نظر في القانون[1] ولاحَظَ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها ووصف الأدوية لا يشكّ أنّ المؤلف كامل في صناعة الطب، كذلك إذا عرف عالم أسرار الشرائع ما ينبغي إلقاؤه على أفراد الناس في تهذيب النفوس ثم يتأمل في هذه العلوم الخمسة التي اشتمل عليها القرآن الحكيم لَعَلِم العلم اليقين أن هذه العلوم قد وقعت موقعها بوجه لا يتصور أحسن منه ولا أجمل.

آفتاب آمد دليل آفتاب گر دليلے بايد ازوے رومتاب

معناه: إن الشمس الساطعة دليل بنفسها على نفسها، فإذا كنت في حاجة إلى الدليل فلا تشح بوجهك عنها.

---

(١) **قوله**: [القانون] "القانون في الطب" للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله، المعروف بـ"ابن سينا" المتوفى سنة٤٢٨هـ. قال صاحب "إرشاد المقاصد": هو أجمع الكتب وأبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً. وبالجملة يحتوي على خلاصة كتب الأقدمين وينفرد بالمباحث العلمية والفوائد الحكمية.

الباب الرابع

[في بيان فنون التفسير وحلّ الاختلاف الواقع في تفسير الصحابة والتابعين]

الفصل الأول

في أصناف المفسرين ومناهج تفسيرهم

ليعلم أنّ المفسرين أصناف مختلفة:

أصحاب التفسير بالمأثور: جماعة منهم قصدوا رواية آثار مناسبة للآيات سواء كان حديثا مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً أو خبرا إسرائيليا[١]، وهذا مسلك المحدثين.

أصحاب التفسير العقدي: فرقة منهم قصدوا تأويل آيات الصفات والأسماء، فما لم يكن موافقاً لمذهب التنزيه[٢] صرفوه عن الظاهر وردوا على استدلال المخالفين بتلك الآيات، وهذا طريق المتكلمين.

أصحاب التفسير الفقهي: وقوم استنبطوا أحكاماً فقهية، ورجّحوا بعض المجتهدات على بعض، وأوردوا الجواب عن تمسك المخالف، وهذا طريق الفقهاء الأصوليين.

أصحاب التفسير النحوي واللغوي: وجمعٌ أوضحوا إعراب القرآن ولغته، وأوردوا شواهد كلام

---

(١) **قوله:** [خبرا إسرائيليا] إن التوراة والتلمود وشروحهما والأسفار وما اشتملت عليه والأساطير التي افتروها أو تناقلوها عن غيرهم كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها والرسل وسيرهم ونحو ذلك، وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم. (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، صـ١٣-١٤)

(٢) **قوله:** [مذهب التنزيه] تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به، يعني ننزهه تعالى عن الجوارح وصفات الأجسام وعن كل سوء ونقيصة. وكذلك نفعل في جميع المتشابهات.

العرب في كل باب موفورة تامة، وهذا منصب النحاة اللغويين.

أصحاب التفسير البلاغي: وطائفة يذكرون نكات المعاني والبيان بياناً شافياً ويوفّون حق الكلام، وهذا طريق الأدباء.

ومنهم من يروي قراءات القرآن المأثورة عن القراء المعروفين، ولا يترك في هذا الباب دقيقة، وهذه صفة القراء.

أصحاب التفسير الإشاري أو الصوفي: وجماعة يتكلمون بنكات متعلقة بعلم السلوك أو علم الحقائق بأدنى مناسبة، وهذا مسلك الصوفيين.

وبالجملة الميدان واسع، وكل من يقصد تفهيم مراد الله في القرآن خاض في فن من الفنون، فتكلّم بقدر قوة فصاحته وفهمه، وراعى مذهب أصحابه واتخذه نصب عينه. ومن هنا اتسع مجال التفسير اتساعا لا يحد قدره، فوجد فيه كتب كثيرة لا يحصرها عدد، وقد توجّهت طائفة من المفسرين إلى هذه المقاصد كلها في تفاسيرهم فمنهم من صنّف بالعربية ومنهم من صنّف بالفارسية، ونحا بعضهم نحو الاختصار، وأحب بعضهم التطويل والإطناب، ووسّعوا أذيال العلم.

التحدث بنعمة الله تعالى

وقد حصل للفقير بحمد الله وتوفيقه في كل من هذه الفنون حظ وافر، وقد أحطت معظم أصولها وجملة صالحة من فروعها، فتحقق لي نوع من الاستقلال والتحقيق في كل باب بوجه يشبه "الإجتهاد في المذهب"، وفنان آخران أو ثلاثة من فنون التفسير غير الفنون المذكورة ألقيت في خاطري من بحر الجود الإلهي، وإن سألتني عن الخبر الصدق فإني تلميذ القرآن العظيم بلا واسطة كما إني أويسي[١] في الاستفادة من الروح النبوية -على صاحبها ألف سلام وتحية-

---

(١) **قوله:** [أويسي] إن ساداتنا النقشبنديّة يعتقدون أنّ عددًا من قدمائهم تلقّوا علومَهم من روحانيةِ مَنْ ماتوا

الذي هو منبع الفتوح، ومستفيد بلا واسطة من الكعبة الحسناء ومتأثر بدونها بالصلاة العظمى.

ولو أنّ لي في كل منبت شعرة لساناً لما استوفيت واجب حمده

ورأيت من اللازم أن أورد في هذه الرسالة كلمتين أو ثلاث عن كل فن من هذه الفنون.

الفصل الثاني
[في بيان الآثار المروية في كتب التفسير لأهل الحديث وما يتعلّق بها]

بيان قسمي سبب النزول[1]

من جملة الآثار المروية في كتب التفسير بيان سبب النزول، وسبب النزول على قسمين،

القسم الأول: أن تقع حادثة يمحّص بها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين كما وقع في أحُد والأحزاب، أنزل الله مدح هؤلاء وذم أولئك ليكون فيصلاً بين الفريقين، وربما يقع في الحادثة تعريضات كثيرة مخصوصة بالحادثة فيجب أن يذكر شرح الحادثة بكلام مختصر ليتضح سياق الكلام على القارئ.

القسم الثاني: أن يتم معنى الآية بعمومها من غير احتياج إلى العلم بالحادثة التي هي سبب النزول، والحكم لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وقد ذكر قدماء المفسرين تلك الحادثة بقصد الإحاطة بالآثار المناسبة للآية، أو بقصد بيان ما صدق عليه العموم، وليس من

قبلهم ويصفونهم بـ "الأويسيّة" فيقولون لكلٍّ منهم "شيخٌ أويسيٌّ" نسبةً إلى أويس القرني. وهو أويس بن عامر القرني، من سادات التابعين. أصله من اليمن، أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره. (الاعلام للزركلي،اويس القرني،٢/٣٢) وكان يتشوّق لزيارة النبيِّ صلى الله عليه وسلم فلم يستطع إليه سبيلا. وعلى هذا، قال النقشبنديّون أنّه تلقّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علومًا بظهر الغيب. وكلّ مَنْ أخذ من الروحانيّات يسمّى أويسيًّا في اصطلاح ساداتنا النقشبنديّة.(همعات،ص٥٦،همعه:١١)

(١) **قوله**: [سبب النزول] سبب النزول: هو الحادثة التي تقع في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أو السؤال الذي يسأل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فينزل القرآن متحدثاً عنها أو مجيباً عن السؤال.

الضروري ذكر هذا القسم (لأن فهم معنى الآية لا يتوقف عليها) .

التنبيه: وقد تحقق عند الفقير أنّ الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون: «نزلت الآية في كذا وكذا» وكان غرضهم تصوير ما صدقت عليه الآية، وذكر بعض الحوادث التي تشملها الآية بعمومها، سواء تقدمت القصة أو تأخرت، إسرائيلية كانت أو جاهلية، أو إسلامية تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها. والله أعلم.

فعلم من هذا التحقيق أنّ للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً، وللقصص المتعددة هنالك سعة، فمن استحضر هذه النكتة يتمكّن من حل ما اختلف من سبب النزول بأدنى تأمّل.

بيان تفصيل القصص التي ورد التعريض بأصلها في النظم القرآني

ومن هذه الآثار المروية في كتب التفسير ما يحتوي على تفصيلِ قصةٍ وقع في نظم القرآن تعريض بأصلها، فيأخذ المفسرون استقصاء القصة من أخبار بني اسرائيل أو من علم السير فيذكرونها بجميع تفاصيلها.

وههنا أيضاً بعض التفصيل: إذا كانت الآية تشتمل على تعريض ظاهر بالقصة بحيث إن العارف باللغة يتوقف في ذلك الموضع ويلجأ إلى البحث عنه، فلابد للمفسر من بيانه، وهو من مسئولياته، وأما ما كان خارجاً من هذا الباب مثل ذكر بقرة بني اسرائيل أ ذكراً كانت أم أنثى؟ ومثل بيان كلب أصحاب الكهف أ أبقع كان أم أحمر؟ ← فيه بَيَاضٌ وسَوَادٌ. فهو تكلّف ما لا يعني[1]، وكانت الصحابة رضي الله عنهم يعدّون مثل ذلك قبيحاً من قبيل تضييع الأوقات.

---

(١) **قوله**: [فهو تكلف ما لا يعني] كما قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥]: والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه. (تفسير البيضاوي، البقرة:١، ٣٥/ ٢٩٧)

نكتتان مهمتان

النكتة الأولى: أنّ الأصل في هذا الباب إيراد القصص المسموعة بلا تصرف عقلي، وربما يتخذ طائفة من قدماء المفسرين التعريضات الواردة في الآية نصب أعينهم، ويفرضون لها بعض المحامل المناسبة، ويذكرونها في صورة الاحتمالات الممكنة، فيشتبه ذلك على المتأخرين فيقعون في شبهات وإشكالات، وكثيراً ما يشتبه التفسير على سبيل الاحتمال بالتفسير مع الجزم، فيعتقدون أحدهما مكان الآخر، لأنّ أساليب التقرير لم تكن منقّحة في ذلك الزمان، والتفسير بالاحتمال أمر اجتهادي فيه مجال لإعمال العقل، وركض لجياد القيل والقال. ومن حفظ هذه النكتة يصل إلى الصواب في كثير من مواضع اختلف فيها المفسرون، و يتضّح لديه في كثير من مناظرات الصحابة أنه ليس مذهبهم، وإنما هو مجرد آراء علمية يعرضه بعض المجتهدين على بعض. والفقير على هذا المحمل يحمل قول ابن عباس رضي الله عنهما في آية ﴿وَامۡسَحُوۡا بِرُءُوۡسِكُمۡ وَاَرۡجُلَكُمۡ اِلَى الۡكَعۡبَيۡنِ﴾ [المائدة:٦]، لا أجد في كتاب الله إلاّ المسح، لكنهم أبوا إلاّ الغسل، فالذي يفهمه الفقير أنه ليس بذهاب إلى وجوب المسح، وليس فيه جزم بحمل الآية على ركنية المسح، فالذي تقرّر عند ابن عباس رضي الله عنهما الغسل، ولكنه يقرّر هنا إشكالا، ويبدي احتمالا، حتى يرى كيف يطبق فقهاء عصره بين هذين الأمرين المتعارضين، وأيّ مسلك يسلكون، ومن لم يطلع على حقيقة محاورة السلف يظنه قول ابن عباس ويعده مذهباً له، حاشاه! حاشاه!.

النكتة الثانية: أنّ النقل عن بني اسرائيل دسيسة دخلت في ديننا، وقد تقرّرت لذلك قاعدة مهمة، ألا وهي قوله صلى الله عليه وسلم: ((ولا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))[1]. فلزم لأجل ذلك أمران:

---

(١) **قوله**: [ولا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم] صحيح البخاري، كتاب التفسير، ٣/١٦٩، الحديث: ٤٤٨٥.

الأمر الأول: أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب إذا وجد في سنة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بيان لتعريض القرآن مثلاً حيث ما وجد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمٰنَ وَاَلْقَيْنَا عَلٰى كُرْسِيِّهٖ جَسَدًا ثُمَّ اَنَابَ﴾ [ص:٣٤]، محمل في السنّة النبويّة وهو قصة ترك (إن شاء الله) والمؤاخذه عليه، فلا يذكر قصة صخر المارد من الروايات الإسرائيلية.

الأمر الثاني: أنّ لا ينقل عن أهل الكتاب إلاّ بقدر إقتضاء التعريض ليحصل التصديق بشهادة القرآن، ويكفّ اللسان عن الزيادة عليه مراعاة لقاعدة أصولية: الثابت بالضرورة يتقدر بقدر الضرورة.

بيان تفسير القرآن بالقرآن

وههنا نكتة لطيفة دقيقة فلا تغفل عنها، وهي أنها قد تذكر في القرآن العظيم قصة في موضع بالإجمال وفي موضع آخر بالتفصيل كما قال تعالى: ﴿اِنِّيْٓ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة:٣٠]، ثم قال: ﴿اِنِّيْٓ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۙ وَاَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ﴾ [البقرة:٣٣]، فهذه المقولة هي المقولة المتقدمة ذكرت بنوع من التفصيل فيمكن أن يعلم من التفصيل تفسير الإجمال، وينتقل من الإجمال إلى التفصيل، كما ذكر في "سورة مريم" قصة سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إجمالاً ﴿وَلِنَجْعَلَهٗٓ اٰيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ اَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٢١]، وفي "سورة آل عمران" تفصيلاً ﴿وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ۙ اَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾ إلى آخره [آل عمران:٤٩]، ففي هذه المقولة بشارة تفصيلية، وتلك المقولة بشارة إجمالية، فمن ثَم استنبط العبد الضعيف أنّ معنى الآية «رسولاً إلى بني اسرائيل مخبراً بأني قد جئتكم» وهذا كله داخل في حيز البشارة ليس بمتعلق بمحذوف كما أشار إليه السيوطي[١] حيث قال: فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿اَنِّيْ﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِاٰيَةٍ﴾. والله أعلم.

---

(١) **قوله**: [أشار إليه السيوطي] تحت قوله تعالى: ﴿وَرَسُوْلًا اِلٰى بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ﴾...إلخ. (تفسير الجلالين، صـ٥١)

بيان شرح غريب القرآن

ومن هذه الآثار المروية في كتب التفسير شرح غريب القرآن كذلك، وبناؤه على تتبّع لغة العرب، أو التفطّن لسياق الآية وسباقها، والعلم بمناسبة اللفظ بأجزاء جملة وقع هو فيها، فههنا أيضاً مدخل للعقل وسعة للاختلاف، لأنّ الكلمة الواحدة تجيء في لغة العرب لمعان شتّى، وتختلف العقول والمدارك في تتبّع استعمالات العرب، والتفطن إلى السابق واللاحق، ولهذا اختلفت أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب، وكل سلك مسلكاً.

فينبغي للمفسر المنصف أن يزِن شرح الغريب مرتين:

مرّة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح.

ومرّة ثانية في مناسبة السابق واللاحق حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب.

وبعد إحكام مقدّمات هذا العلم وتتبّع موارد الاستعمال والتفحّص عن الآثار[١] قد استنبط الفقير في هذا الباب استنباطات لطيفة جديدة، لا تخفى لطافتها ودقّتها إلاّ على المتعسّف غليظ الطبع، مثلاً ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨]، حملته على معنى تكافؤ القتلى واشتراك الاثنين في حكم واحد لئلا يحتاج مفهوم ﴿وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ إلى مؤنة النسخ[٢]، ويضطر إلى توجيهات تضمحل بأدنى نظرة وتفكير. وكذلك حملت قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ على

---

(١) **قوله:** [وبعد إحكام مقدمات...إلخ] إن هذه العبارة يمكن أن تلحق بقوله: حتى يعلم أي صورة...إلخ، ولكن إلحاقها بقوله: "قد استنبط الفقير" أولى. والله أعلم بالصواب.

(٢) **قوله:** [﴿وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ إلى مؤنة النسخ] قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى﴾ [البقرة:١٧٨]، اختلف في تأويلها فقالت طائفة: جاءت الآية مبينة لحكم النوع إذا قتل نوعه، فبينت حكم الحر إذا قتل حرا، والعبد إذا قتل عبدا، والأنثى إذا قتلت أنثى، ولم تتعرض لأحد النوعين إذا قتل الآخر، فالآية محكمة وفيها إجمال يبيّنه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾

معنى يسألونك عن الأشهر يعني أشهر الحج، فقال: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، وهكذا قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر:٢]، فالمراد به: لأول جمع الجنود لقوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الشعراء:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ [النمل:١٧]، وهذا أوفق بقصة بني النضير، وأبلغ وأقوى في بيان المنّة من الله القدير.

بيان الناسخ والمنسوخ

ومنها بيان الناسخ والمنسوخ، وينبغي أن يعلم في هذا المقام نكتتان:

الأولى: أنّ الصحابة والتابعين كانوا يستعملون النسخ على غير ما اصطلح عليه الأصوليون وهو قريب من المعنى اللغوي الذي هو الإزالة، فمعنى النسخ إذن عندهم إزالة بعض أوصاف الآية المتقدمة بالآية المتأخرة، سواء كان بيانا لانتهاء مدة العمل بها أو صرفاً للكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر أو بيان إقحام قيد من القيود، أو تخصيصاً للعموم، أو بيان الفارق بين المنصوص والمقيس عليه ظاهراً، وأمثال ذلك. وهذا الباب واسع وللعقل فيه مجال، وللاختلاف فيه مساغ، ولهذا بلغت الآيات المنسوخة على هذا المعنى إلى خمس مائة آية.

والثانية: أنّ الأصل في بيان النسخ بالمعنى الاصطلاحي هو معرفة تاريخ النزول، ولكنهم ربما يجعلون إجماع السلف الصالح أو اتفاق جمهور العلماء علامة للنسخ فيقولون به، وارتكب ذلك كثير من الفقهاء[1]، ويمكن أن يكون ما صدقت عليه الآية غير ما صدق عليه الإجماع، وبالجملة

[المائدة:٤٥]، وبيّنه النبي صلى الله عليه وسلم بسنّته لما قتل اليهودي بالمرأة، قاله مجاهد، وذكره أبو عبيد عن ابن عباس. وروي عن ابن عباس أيضا أنها منسوخة بآية المائدة. (تفسير القرطبي، ١٨٨/١، الجزء الثاني)

(١) **قوله**: [وارتكب ذلك كثير من الفقهاء] قال المصنف في حجة الله البالغة: ويُعرف النسخ بنص النبي صلى الله عليه وسلم كقوله: ((**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**)). وبمعرفة تأخر أحدهما

فإنّ تتبع الآثار المنبئة عن النسخ يفني عمراً كثيراً، وفي الوصول إلى عمق الكلام صعوبات شديدة.

الآثار المتعلقة بأمور أخرى

ولأصحاب الحديث من المفسرين غير هذه الأقسام أمور أخرى يوردونها أيضاً في التفاسير مثل مناظرة الصحابة رضي الله عنهم في قضية من القضايا واستشهادهم بآية، أو تمثيلهم لمسألة بآية من الآيات، أو تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم آية من الآيات الكريمة للاستشهاد، أو رواية حديث توافق الآية في أصل معناها. أو طريق التلفظ والقراءة لآية نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

الفصل الثالث
في ما بقي من لطائف هذا الباب

ومما يبقى من لطائف هذا الباب **استنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية**، وهذا الباب متسع جداً، وللعقل في الاطلاع على فحاوى الآيات والإيماءات والاقتضاءات ميدان واسع، ووقع الاختلاف فيها بالكثرة، وقد ألقي في روعي حصر أنواع هذه الاستنباطات في عشرة أقسام[1]، والترتيب فيما بينها، وأرى أنها ميزان عادل لاختبار كثير من الأحكام المستنبطة ووزنها وزناً صحيحاً.

عن الآخر مع عدم إمكان الجمع، وإذا شرع الشارع شرعا ثم شرع مكانه آخر، وسكت عن الأول، عرف فقهاء الصحابة أن ذلك نسخ للأول، أو اختلفت الأحاديث وقضى الصحابي بكون أحدهما ناسخا للآخر، فذلك ظاهر في النسخ غير قطعي، وقول الفقهاء-لمّا يجدونه خلاف عمل مشايخهم- منسوخ، غير مقنع، والنسخ فيما يبدونها تغيّر حكم بغيره، وفي الحقيقة انتهاء الحكم لانتهاء علّته،أو انتهاء كونه مظنّة للمقصد الأصلي، أو لحدوث مانع من العلّيّة، أو ظهور ترجيح حكم آخر على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي الجلي، أو باجتهاده، وهذا إذا كان الأول اجتهاديا. ("المستدرك" للحاكم، كتاب الجنائز، الرخصة في زيارة القبور، ١/٧٠٧، حديث: ١٤٢٥، حجة الله البالغة، ١/١٣٩)

(١) **قوله:** [عشرة أقسام] قد استوعب المصنف الكلام على الاستنباط في البحث السابع من "حجة الله البالغة".

ومنها **التوجيه**(١): وهو فن كثير الشعب، يستعمله الشراح في شرح المتون ويختبر به ذكاؤهم، ويتضح به تباين مراتبهم وتفاوت درجاتهم، وقد تكلّم الصحابة رضي الله عنهم في توجيه القرآن مع عدم تنقيح قوانين التوجيه في ذلك العصر وأكثروا الكلام فيه.

وحقيقة التوجيه: أنه إذ وقعت صعوبة في فهمِ كلام المصنف توقّف الشارح حتى يُحلّ تلك الصعوبة، ولما كانت أذهان قراء الكتاب ليست في مرتبة واحدة لم يكن التوجيه أيضاً في مرتبة واحدة، فالتوجيه بالنسبة إلى المبتدئين غير التوجيه بالنسبة إلى المنتهيين، فإنّ المنتهي ربما يخطر بباله صعوبة في فهم الكلام فيحتاج إلى حلّها، والمبتدئ غافل عنها، إذ لا يقدر أن يحيط بذلك، وكثير من الكلام يستصعبه المبتدئ ولا يحصل في ذهن المنتهي شيء من الصعوبة هنالك. فأمّا من أحاط بجوانب الأذهان فيراعي حال الجمهور ويتكلّم بحسب عقولهم.

التوجيهات الدقيقة

فعمدة التوجيه في آيات المخاصمة تحرير مذاهب الفِرق من الخصوم وتنقيح وجه الإلزام، وفي آيات الأحكام توضيح صور المسئلة وذكر فوائد القيود من الاحتراز وغيره، وفي آيات التذكير بآلاء الله تصوير تلك النعم وبيان مواضعها الجزئية، وفي آيات التذكير بأيام الله بيان ترتيب بعض القصص على البعض، وإيفاء حق التعريض الذي يرد أثناء سرد القصة والحادث، والعمدة في التذكير بالموت وما بعده تصوير أحداث ما بعد الموت ووصف الحالة التي يكون عليها الميّت.

ومن فنون التوجيه وأنواعه

١- تقريب ما يصعب فهمه ويبعد عن الذهن لعدم الإلف والعادة.

٢- دفع التعارض بين دليلين أو تعريضين أو بين المعقول والمنقول.

---

(١) **قوله**: [التوجيه] قد مرّ ذكر التوجيه بالتفصيل صـ٨٦ في هذا الكتاب.

٣- التفريق بين الملتبسين.

٤- التطبيق بين المختلفين.

٥- بيان صدق الوعد الذي وردت به الآية.

٦- بيان كيفية عمل النبي صلى الله عليه وسلم وهيئته بما أمر به في القرآن العظيم.

وبالجملة فإن أمثلة التوجيه كثيرة في تفسير الصحابة رضي الله عنهم، ولا يمكن أن يؤدي حق التوجيه حتى يبين وجه الصعوبة وسببها وبياناً شافياً، ثم يفصل القول في حلّها وتيسيرها، ثم يوزن ذلك القول وزنا عادلا.

منهجه في المتشابهات

وما يفعله المتكلمون من الغلو في تأويل المتشابهات وبيان حقيقة الصفات فهو بعيد عن مذهبي، فإنّ مذهبي مذهب مالك والثوري وابن المبارك وسائر القدماء، وذلك هو الإمرار من المتشابهات على الظواهر، وترك الخوض في التأويل.

الأسلوب الأمثل في التفسير

والنزاع في الأحكام المستنبطة، وإحكام مذهب مخصوص، وطرحه لمذهب غيره، والتحايل لدفع الأدلة القرآنية، فكل ذلك لا يجوز عندي، وأخشى أن يكون هذا من قبيل التدارؤ بالقرآن[1]، وإنما اللازم أن يطلب مدلول الآيات، ويتخذه مذهباً له، ويتمسّك بما يظهر من دلالتها سواء خالف مذهبه أو وافقه. وأما لغة القرآن فينبغي أخذها من استعمال العرب الأول، وليكن الاعتماد الكلي على آثار الصحابة والتابعين.

---

(١) **قوله**: [التدارؤ بالقرآن] وهو أن يستدل واحد بآية، فيرده آخر بآية أخرى طلبا لإثبات مذهب نفسه، وهدم وضع صاحبه، أو ذهابا إلى نصرة مذهب بعض الأئمة على مذهب بعض، ولا يكون جامع الهمة على ظهور الصواب، والتدارؤ بالسنة مثل ذلك.(حجة الله البالغة، ١/١٧٢)

التدافع في نحو القرآن

وقد وقع في نحو القرآن خلل عجيب، وذلك أنّ جماعة منهم اختاروا مذهب سيبويه[1]، وما لم يوافقه فهم يؤوّلونه وإن كان تأويلاً بعيداً، وهذا عندي غير صحيح، فينبغي اتباع الأقوى، وما كان أوفق للسياق والسباق، سواء كان مذهب سيبويه أو مذهب الفراء[2]. وقد قال عثمان رضي الله عنه في مثل ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ﴾ [النساء:١٦٢]: ستقيمها العرب بألسنتها[3].

---

(١) **قوله:** [سيبويه] عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز. وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه" في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله. توفي سنة ١٨٠هـ. (الأعلام، ٥/٨١)

(٢) **قوله:** [الفراء] يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. وتوفي في طريق مكة سنة ٢٠٧هـ. (الأعلام، ٨/١٤٥)

(٣) **قوله:** [ستقيمها العرب بألسنتها] عن قتادة أن عثمان لما رفع إليه المصحف قال إن فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها. وفي الإتقان: وهذه الآثار مشكلة جدا وكيف يظن بالصحابة أولا أنهم يلحنون في الكلام فضلا عن القرآن وهم الفصحاء، ثم كيف يظن أن القراءة استمرت على مقتضي ذلك الخطأ وهو مروي بالتواتر خلفا عن سلف هذا مما يستحيل عقلا وشرعا وعادة وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة، **أحدها:** أن ذلك لا يصح عن عثمان فإن إسناده ضعيف مضطرب منقطع، ولأن عثمان جعل للناس إماما يقتدون به فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه العرب بألسنتها فإذا كان الذين تولّوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك، وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم. قال الإمام الرازي: واعلم أن هذا بعيد لأن هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه، **والثاني:** وهو قول البصريين: أنه نصب على المدح لبيان فضل الصلاة، قالوا إذا قلت: مررت بزيد الكريم فلك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد، ولك أن تنصبه على تقدير أعني، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم، وعلى هذا يقال: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، والتقدير جاءني قومك أعني المطعمين في المحل وهم المغيثون في الشدائد فكذا ههنا تقدير الآية: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة. (كتاب المصاحف، صـ٢٢٨، الإتقان في علوم القرآن، ١/٥٨٥، التفسير الكبير، النساء: ١٦٢، ٤/٢٦٤)

وتحقيق هذه الكلمة عندي أن ما يخالف التراكيب العامة للكلام، ويرد في كلام أهل اللغة الذين يحتج بهم فهو أيضا من التراكيب المقبولة الصحيحة، وكثيراً ما وقع للعرب الأول أن يجري على ألسنتهم في أثناء الخطب والمحاورات ما يخالف القاعدة المشهورة، وحيث نزل القرآن بلغة العرب الأول فلا عجب أن تقع "الياء" أحياناً في موضع "الواو"، أو يرد المفرد في مقام التثنية أو المؤنث في مقام المذكر، وعلى هذا، الذي تحقق عندي في قوله تعالى ﴿وَالْمُقِيمِيْنَ الصَّلٰوةَ﴾ إنها في حالة الرفع، وينبغي أن يفسر بمعنى المرفوع. والله أعلم.

علم المعاني والبيان

أما المعاني والبيان فإنه علم حادث بعد انقراض عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فما يكون منه مفهوم في عرف جمهور العرب الأولين فهو على الرأس والعين، وأما الدقائق والأمور الفنية التي لا يدركها إلا المتعمقون في علم المعاني والبيان فلا نسلم بأنها مطلوبة في فهم القرآن.

إشارات الصوفية

وأما إشارات الصوفية واعتباراتهم فليست في الحقيقة من فن التفسير(١)، بل يحدث في قلب السالك عند استماع القرآن أشياء، ويتولّد له في نظم القرآن مثل ما يتصف به السالك من حالة أو معرفة حصلت له(٢) كمثل من سمع قصة ليلى ومجنون فيتذكر عشيقته ويستعيد الذكريات التي بينها وبينه.

---

(١) **قوله:** [فليست في الحقيقة من فن التفسير] قال الإمام الزركشي: فأما كلام الصوفية في تفسير القرآن فقيل: ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في: ﴿يَاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قَاتِلُوا الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]، إن المراد: النفس فأمرنا بقتال من يلينا لأنها أقرب شيء إلينا وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه. (البرهان في علوم القرآن، ١/١٨٧)

(٢) **قوله:** [حصلت له] يعني تظهر له المعاني في نظم القرآن حسب حاله وكيفيته من الخوف والرجاء والقرب.

وههنا فائدة مهمة ينبغي الاطلاع عليها، وهي أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جعل فن الاعتبار معتبراً، وسلك ذلك الطريق لتكون سنة لعلماء الأمة، ويكون ذلك فتحاً لباب ما وهب لهم من العلوم، كآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل:٥]، قرأها في مسئلة القدر بالتمثيل(١)، وإن كان منطوق الآية أنّ من عمل هذه الأعمال نهديه إلى طريق الجنة والنعيم، ومن عمل بضدها نفتح له طريق النار والتعذيب، ولكن يمكن أن يعلم بطريق الاعتبار أنّ كل واحد خلق لحالة تجري عليه تلك الحالة من حيث يدري أو لا يدري، فبهذا الاعتبار وقع لهذه الآية ارتباط بمسئلة القدر. كذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝﴾(٢) [الليل:٧-٨]، فالمعنى لهذه الآية الكريمة أن الله عز وجل عرف كل نفس بالبر والإثم والخير والشر، ولكن هناك شبها بين خلق الصورة العلمية للبر والإثم وبين خلق البر والإثم -إجمالا- في وقت نفخ الروح، فيمكن عن طريق الاعتبار أن يستشهد بهذه الآية الكريمة في مسألة القدر أيضا والله أعلم.

الفصل الرابع
في غرائب القرآن الكريم

غرائب(٣) القرآن التي جاء ذكرها في الأحاديث الشريفة بمزيد من الاهتمام وبيان الفضل تنقسم أقساما: فالغريب في فن التذكير بآلاء الله تلك الآيات الكريمة التي جامعة لجملة عظيمة

---

(١) **قوله:** [قرأها في مسئلة القدر] صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي...إلخ، ص١٤٢٣، حديث:٢٦٤٧.

(٢) **قوله:** [﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾] يقول المصنف في "حجة الله البالغة": أقول المراد بالإلهام هنا خلق صورة الفجور في النفس، فالإلهام في الأصل خلق الصورة العلمية التي يصير بها عالما، ثم نقل إلى صورة إجمالية هي مبدأ آثار، وإن لم يصر بها عالما تجوزا. والله أعلم. وقال الإمام الملا علي قاري: وجه الاستدلال من النبي بالآية أن "ألهمها" بلفظ الماضي يدل على أن ما يعملونه من الخير والشر قد جرى في الأزل. (حجة الله البالغة، ١/١٦٩، مرقاة الفاتيح، كتاب الايمان، باب الايمان بالقدر، ١/٢٧٧، تحت الحديث:٨٧)

(٣) **قوله:** [غرائب] الغرائب: جمع غريبة، وأراد بها ما لا يعهد مثله، الأمور النادرة البديعة.

من صفات الحق عزوجل مثل "آية الكرسي" و"سورة الإخلاص" وآخر "سورة الحشر" وأول "سورة المؤمن".

والغريب في فن التذكير بأيام الله تلك الآيات الكريمة التي تبين فيها قصة قليلة الذكر، أو قصة معلومة يجاء فيها بمزيد تفصيل، أو قصة عظيمة الفائدة تكون مظنة عبر كثيرة. ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة موسى وخضر عليهما السلام: ((**وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما**))[(١)].

والغريب في فن التذكر بالموت وما بعده تلك الآيات الكريمة التي تكون جامعة لأحوال القيامة مثلا، ولهذا جاء في حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ "إذا الشمس كورت"، و"إذا السماء انفطرت"، و"إذا السماء انشقت"))[(٢)].

والغريب في فن الأحكام تلك الآيات الكريمة التي تكون مشتملة على بيان حدود وتعيين وضع خاص، مثل تعيين مائة جلدة في حدّ الزنا، وتعيين ثلاث حيض أو ثلاثة أطهار في عدة المطلّقة، وتعيين أنصباء المواريث.

والغريب في فن المخاصمة تلك الآيات الكريمة التي يرد فيها الجواب على طريقة غريبة بليغة، يقطع الشبه ويدحض الباطل بأبلغ الوجوه وأقوى الأساليب، أو يقرن بيان حال هذا الفريق بمَثل واضح، ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]، وهكذا بيان شناعة عبادة الأصنام، والفرق بين مرتبة الخالق والمخلوق والمالك والمملوك بأمثلة عجيبة، أو بيان إحباط أعمال أهل الرياء والسمعة بأبلغ وجه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ٢/٤٤١، الحديث: ٣٤٠١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة: إذا الشمس كورت، ٥/٢٢٠، الحديث: ٣٣٤٤.

وغرائب القرآن ليست بمحصورة في أبواب مذكورة، فأحياناً يكون غريب من جهة بلاغة الكلام وجمال الأسلوب وأناقته مثل سورة الرحمن، ولهذا سميت في الحديث بـ"عروس القرآن"، وأحياناً يكون غريبا من جهة تصوير صورة سعيد وشقي.

ظهر القرآن وبطنه

وجاء في الحديث: ((لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع))[1].

فينبغي أن يعلم أن ظهر هذه العلوم الخمسة هو ما يسمى بمدلول الكلام ومنطوقه.

والبطن: في تذكير آلاء الله: التفكر في الآلاء ومراقبة الحق.

وفي التذكير بأيام الله: معرفة مناط المدح والذم والثواب والعذاب من تلك القصص، وأخذ الدروس والعبر منها.

وفي التذكير بالجنة والنار: ظهور الخوف والرجاء، واستحضارهما حتى كأنها رأى العين.

وفي آيات الأحكام: استنباط الأحكام الخفية بالفحاوى والإيماءات.

وفي محاجة الفرق الضالة: معرفة أصل تلك القبائح وإلحاق نظائرها وأشباهها بها.

ومطلع الظهر: معرفة لغة العرب والآثار المتعلقة بفن التفسير.

ومطلع البطن: لطافة الذهن واستقامة الفهم مع نور الباطن والسكينة. والله أعلم.

---

(١) **قوله**: [لكل آية منها ظهر...إلخ] إن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله تعالى عليها أرباب الحقائق بشرط أن يكون موافقا للكتاب والسنة، ويشهدا عليه بالحق، فان كل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَّلَا يَابِسٍ اِلَّا فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ﴾ [الأنعام:٥٩]. ومعنى لكل حد مطلع: أن لكل غامض من المعاني والأحكام مطلعا يتوصل به إلى معرفته. (مسند أبي يعلى، ٤/٣٩٣، الحديث:٥١٢٧، روح المعاني، ١/١١، روح البيان، البقرة:١، ٢٤/١/٨١)

الفصل الخامس
في بعض العلوم الوهبية

من العلوم الوهبية في علم التفسير التي سبقت الإشارة إليها

تأويل قصص الأنبياء عليهم السلام، وللفقير في هذا الفن رسالة مسماة: بـ"تأويل الأحاديث" والمراد من التأويل هو أن يكون لكل قصة واردة مبدأ وسبب حسب استعداد الرسول وقومه والتدبير الذي أراد الله سبحانه وتعالى في ذلك الوقت، وكأنه أشار إلى هذا المعنى في آية: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحَادِيْثِ﴾ [يوسف:٦].

ومنها تنقيح العلوم الخمسة التي هي منطوق القرآن العظيم. قد مرّ ذكرها مفصلا في أول هذا الكتاب[١] فليرجع إليه.

ومنها ترجمته باللغة الفارسية بوجه قريب من النص العربي في مقدار الكلمات والعبارات والتخصيص والتعميم وغير ذلك، وقد أثبتناها في "فتح الرحمن في ترجمة القرآن" وإن كنا لم نلتزم هذا الشرط في بعض المواضع خوفا من عدم فهم القارئ بدون تفصيل وتوضيح.

ومن العلوم الوهبية علم خواص القرآن، وقد تكلم طائفة من المتقدمين في خواص القرآن من ناحيتين: إحداهما ما يشبه الدعاء، والثانية ما يشبه السحر- استغفرالله منه- وقد فتح الله على الفقير باباً آخر غير ما نقل من خواص القرآن، فألقي في حجري مرة واحدة جميع الأسماء الحسنى والآيات العظمى والأدعية المباركة وقيل: خذ هذه منحة منا للتصريف، إلا أن كل آية واسم ودعاء مشروط بشروط لا تضبطها قاعدة من القواعد، بل قاعدتها انتظار عالم الغيب كما يكون في حالة الاستخارة حتى ينظر بأي آية أو اسم يشار عليه من عالم الغيب ثم يتلو الآية

---

(١) **قوله:**[أول هذا الكتاب] في الباب الأول [في العلوم الخمسة التي بيّنها القرآن العظيم بطريق التنصيص]

أو الاسم على طريقة من الطرق المعلومة لدى أهل هذا الفن. وهذا الذي قصدنا إيراداه في هذه الرسالة والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

الفصل السادس
في المقطعات[1]

من العلوم التي أنعم الله بها على هذا العبد الضعيف علم انكشف به الغطاء عن المقطعات القرآنية، ولا بد في بيانه من تمهيدِ مقدمةٍ.

فاعلم أنّ لكل واحد من حروف التهجي التي بها تتألف كلمات العرب معنى بسيطاً واسعا، لا يمكن التعبير عنه إلاّ بإشارة إجمالية، ومن ههنا ترى كثيراً من الحروف المتقاربة إما متفقة معنى أو متقاربة، كما ذكر الأذكياء من الأدباء من أنّ كل كلمة أولاها نون وثانيتها فاء تدل على معنى الخروج بوجه من الوجوه مثل: نفر، ونفث، ونفح، ونفخ، ونفق، ونفد، ونفذ، وكذا كل كلمة أولاها فاء وثانيتها لام تدل على معنى الشق والفتح، مثل: فلق، وفلح، وفلج، وفلذ، وفلد، ومن ههنا ما يعرفه النحارير من مهرة الأدب أن العرب كثيراً ما ينطقون بكلمة على وجوه شتّى بتبديل حروف متقاربة[2] (أي تقارب المعنى لتقارب الحروف.) مثل: دق، ودك، ولجّ، ولزّ، والحاصل أنّ ما قلناه له شواهد لا تحصى، وما أردنا ههنا إلاّ التنبيه، وهذا كله من اللغة العربية، وإن لم يتوجه إليه العرب العرباء، ولم تبلغ

---

(١) **قوله**: [المقطعات] إنها حروف هجائية، عربية، مقطّعة تقطيعا منمّطا بأنماط مختلفة، جيء بها في استهلالية بعض سورة القرآن تحديا، وإعجازا. (موسوعة علوم القرآن، صـ٢٦٩)

(٢) **قوله**: [بتبديل حروف متقاربة] يعني أن التغيير بحروف متقاربة في الكلمة لا يخرجها من الدلالة على المعنى المتقاربة كما في قولهم: دق ودك، ولج ولز، لأن معنى الدك: الدق والهدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَّاحِدَةً﴾ [الحاقة:١٤] أي: دقتا دقة واحدة فصارتا هباء منبثا. ولجّ في الأمر لازمه، ولزّ الشيء بالشيء: قرن به وألصق فالتزّ به. (تاج العروس، ٢٧/١٥٠، المعجم الوسيط، ٢/٨١٥، أساس البلاغة، ٢/١٦٦) فهما قريب المعنى.

إلى كنهه النحاة، وهذا كما أنّ مفهوم تعريف الجنس والتراكيب المخصوصة إن سألت عنها العرب لم يتمكنوا من بيان حقيقتها مع كونهم مستعملين لها والناطقين بها، ثم إنّ المدققين في كلام العرب ليسوا كأسنان مشط، فبعضهم أذكى ذهناً من بعض، ومن ثم ترى جمعاً منهم أوضحوا معنى لم يدركه آخرون، وهذا العلم (علم بسائط الحروف.) أيضاً من لغتهم العربية، ولكن يد كثير ممن غاص هذا البحر الزخار المواج لم تصل إلى تنقيح هذا المفهوم الغامض.

المعنى الإجمالي للمقطعات الواقعة في أوائل السور

فاعلم أنّ المقطعات من أوائل السور أسماء لتلك السور تدل بمعانيها المجملة على ما اشتملت السورة عليه مفصلة، كتسمية أرباب التصانيف والتأليف مصنفاتهم ومؤلفاتهم بحيث يوضح علم الكتاب حقيقة ما فيه من المعاني عند ذهن السامع، كما أنّ البخاري سمى جامعه "الجامع الصحيح المسند في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

فمعنى ﴿الٓمٓ﴾[1] الغيب الغير المتعيّن تعيّن بالنسبة إلى عالم الشهادة المتدنّسة، فإنّ الهمزة (أ) والهاء (ه) كلتيهما تدلان على الغيب إلاّ أنّ الهاء غيب هذا العالم، والهمزة غيب العالم المجرّد، ومن ههنا إطلاقهم كلمة "أو" "أم" وقت الاستفهام، ووقت العطف "أو"، فإنّ الأمر المستفهم عنه أمر منتشر، وهو غيبٌ بالنسبة إلى المتعيّن، وكذا المتردّد فيه غيبٌ، والهمزة تزاد في أوائل الأمر لتدل على أن في ذهن المتكلم الآمر حدثت صورة تفصيلها المادة الفلانية. وتفصيله موكول إلى مادته، واختاروا في الضمائر "الهاء" فإنه غيب هذا العالم، وحصل للمتعيّن إجمال في الجملة. واللام تدل على معنى التعين، ولهذا تزاد "اللام" وقت التعريف. والميم من

---

(١) **قوله**: [﴿الٓمٓ﴾] معناه غيب، تعين في المتدنس، كنى به عن الآيات والعادات والأعمال وبدعات الأخلاق من حيث ما تعين فيها تشريع أو تحقيق قدسي. (الخير الكثير، الخزانة السادسة، ص٨٣)

حيث اجتماع الشفتين عند التكلم بها تدل على الهيولى المتدنّسة التي اجتمعت فيها حقائق شتّى وتقيّدت وآلت من الفضاء المجرّد إلى محبس التقيّد والتحيّز.

فالحاصل: أنّ ﴿الٓمٓ﴾ كناية عن الفيض المجرّد الذي في عالم التميّز والتحيّز، وتعيّن بحسب عاداتهم وعلومهم، وقابل قسوةَ قلوبهم بالتذكير، وأقوالهم الفاسدة وأعمالهم الكاسدة بالمحاجة وتحديدِ البرّ والإثم، والسورة بتمامها تفصيل هذا الإجمال وإيضاح هذا الإبهام.

و﴿الٓر﴾[١] مثل ﴿الٓمٓ﴾ إلاّ أنّ "الراء" التي فيه دلالة على التردّد، فتدل على غيب تعيّن مرة وتدنس مرّة أخرى، وكذلك "الميم" مع "الراء" كما في ﴿الٓمٓر﴾ تشير إلى الغيوب المتعيّنة المتدنّسة مرّة بعد مرّة، وهذا كناية عن العلوم التي قابلت قبائح بني آدم مصادمة بعد مصادمة، وذلك يتحقّق بما يتلى في هذه السورة من قصص الأنبياء ومقالاتهم مرّة بعد مرّة بالأسئلة والأجوبة المتكرّرة.

و"الطاء" و"الصاد"[٢] تدلان على حركة الارتفاع من العالم المتدنّس إلى العالم العلوي، لكن "الطاء" تدلّ على عظم ذلك المتحرّك وفخامته مع تلوّثه وتدنّسه، و"الصاد" على صفائه ولطافته.

و"السين" تدل على السريان وانتشاره في الآفاق كلها.

فـ﴿طٰهٰ﴾[٣] منازل الأنبياء التي هي آثار توجههم إلى العالم العلوي بحيث تتكون لهم صورة

---

(١) **قوله:** [﴿الٓر﴾] معناه غيب تعين في التخليط تعيناً متردداً غير متحجر، كنى به عن مقامات الأنبياء من حيث أنها مصادمة للشرور الدنسية مرة بعد أخرى. (الخير الكثير، صـ٨٣)

(٢) **قوله:** ["الصاد"] "ص" مقام قدسي اقترب بالله قرباً قدسياً من حيث أنه عائد إليه، كنى به عن مقامات الأنبياء وعلومهم التي هي بحسب وجاهتهم. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(٣) **قوله:** [﴿طٰهٰ﴾] معناه تنزه كل التنزه، نزل في غيب هذا العالم التخليطي، كنى به عن أحكام الأسماء المتجددة من حيث أنها كيف نزلت في المدارك الإنسانية. (الخير الكثير، صـ٨٣)

غيبيّة في هذا العالم بالبيان الإجمالي، وذكرهم في الكتب. ومثله ﴿طٰسٓمٓ﴾[1] منازل الأنبياء التي هي آثار حركاتهم الفوقية حتى سرت في العالم المتدنّس، وانتشرت في الآفاق.

و"الحاء" معناه ما ذكرنا من معنى "الهاء" إلاّ أنه إذا استصحب التشعشع والظهور والتميّز يعبّر عن هذه المعاني بالحاء، فمعنى ﴿حٰمٓ﴾[2] إجمال نوراني متشعشع اتصل بم تخصص به العالم المتدنّس من العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة، وهو كناية عن رد أقوالهم وظهور الحق في الشبهات والمناظرات وما ألفوه من العادات.

و"العين" تدل على التعيّن والظهور المتشعشع.

و"القاف" مثل "الميم" تدل على هذا العالم لكن من جهة القوة والشدة، و"الميم" من جهة اجتماع الصور فيه وتراكمها، فـ﴿عٓسٓقٓ﴾[3] معناه: حق متشعشع سري في العالم المتدنّس.

و"النون"[4] عبارة عن نور يسري وينتشر ظلمة كمثل هيئة قبيل الصبح الصادق أو عند غروب الشمس.

و"الياء" كذلك إلاّ أن ما تدل عليه "الياء" من النور أقلّ مما تدل عليه النون، وكذا ما تدل عليه الياء من التعيّن أقل مما تدلّ عليه "الهاء". فـ﴿يٰسٓ﴾[5] رمز إلى معان منتشرة في العالم.

---

(١) **قوله:** [﴿طٰسٓمٓ﴾] معناه تنزه حق التنزه سري سرياناً تنزيهياً في عالم التخليط، كنى به عن الأسماء المتجددة وأحكامها التي هي حق بحسب سريانها القدسي. (الخير الكثير، صـ٨٣-٨٤)

(٢) **قوله:** [﴿حٰمٓ﴾] معناه غيب ظهر في المتدنس، كنى به عن أقوال الكفرة وعقائدهم متصعدة إلى التحقيق في موطن الوحي والوعظ بالترهيب والترغيب والتشنيع والتنويه من حيث إنه حق نزل في التخليط قامعاً له وفاكاً لنظامه. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(٣) **قوله:** [﴿عٓسٓقٓ﴾] معناه الظهور المتشعشع الساري في هذا العالم المتدنس المتحجر. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(٤) **قوله:** ["النون"] معناه نور في ظلمة، كنى به أيضاً عن الوعظ. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(٥) **قوله:** [﴿يٰسٓ﴾] معناه شيء متردد بين الظهور والخفاء سار في العالم، كنى به عن أحكام الاسم المتجدد

و﴿صٓ﴾ هيئة حدثت جبلة وكسباً عند توجه الأنبياء إلى ربهم.

و﴿قٓ﴾[1] كناية عن قوة وشدة وكره تعين في هذا العالم كما يقال: «مرمي قصدي هيئة حدثت في هذا العالم من حيث الكسر والمصادمة».

و"الكاف" مثل القاف إلاّ أنّ معنى القوة أقل فيها من القاف، فمعنى ﴿كٓهٰيٰعٓصٓ﴾ عالم متدنّس ذو ظلمة تعيّن فيه بعض العلوم المتشعشعة وغيرها للرجوع إلى ربهم الأعلى.

وبالجملة لقد ألقيت في روعي معاني هذه المقطعات على طريق ذوقي، ولا يمكن أن توضح هذه المعاني الإجمالية بتقرير أوضح مما أتينا به من الكلمات، وهذه الكلمات غير وافية كنه[2] ما أردنا بيانه، بل متباينة من وجه دون وجه. والله أعلم بالصواب.

وعلومه. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(١) **قوله:** [﴿قٓ﴾] معناه قباحات متحجرة قوبلت بها قوة قدسية، كنى به عن الوعظ والآيات والنصائح. (الخير الكثير، صـ٨٤)

(٢) **قوله:** [**وهذه الكلمات غير وافية كنه**] واعلمن أنّ هذه المقطعات أسماء كلية للسور بحسب مضامينها، وعسى أن يتحد مفهومان في أمر ويتغايران بالاعتبار، كقصة الأنبياء يدخل تارة في الوعظ وتارة في مقامتهم وتارة في الآيات، وكذلك المعاد وغيره، وإنّ سليقة الاسم المتجدد في إبداع المضامين والأساليب له شبهان: شبه بالاتفاقيات، وهذا طبائع المقامات الفرائضية قاطبة، وشبه بسليقة الكاتب حيث تعين في نفسه رسالة مدحية، مثلا كافيته كذا وكذا، وأسلوبه كذا وكذا، وذلك لما أشرنا إليه من أنّ القرآن استوطن ذروة السنام في المواطن النسمية، فتدبر. (الخير الكثير، صـ٨٤)

مَصادر ومَراجع الكتاب

الرقم	اسم الكتاب	مصنف	مطبوعة
١	تفسير الطبري	محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٠هـ
٢	أحكام القرآن	أحمد بن علي الرازي (ت:٣٧٠هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت
٣	تفسير البغوي	الحسين بن مسعود (ت:٥١٦هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٤هـ
٤	تفسير الكشاف	محمود بن عمرو (ت:٥٣٨هـ)	مكتبةالإعلام الإسلامي١٤١٤هـ
٥	المحرر الوجيز	عبد الحق بن غالب (ت:٥٤٢هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٨هـ
٦	التفسير الكبير	محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٢٠هـ
٧	تفسير القرطبي	محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ)	دار الفكر، بيروت
٨	تفسير البيضاوي	عبد الله بن عمر الشيرازي (ت٦٨٥هـ)	دار الفكر، بيروت١٤٢٠هـ
٩	تفسير النسفي	عبد الله بن أحمد النسفي (ت:٧١٠هـ)	دار المعرفة، بيروت١٤٢١هـ
١٠	تفسير الخازن	علي بن محمد البغدادي (ت:٧٤١هـ)	اکوڑہ خٹک نوشہرہ
١١	تفسير البحر المحيط	محمد بن يوسف (ت:٧٤٥هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٢هـ
١٢	الدر المصون	أحمد بن يوسف الحلبي (ت:٧٥٦هـ)	دار القلم، دمشق
١٣	تفسير الجلالين	جلال الدين المحلي (ت:٨٦٣هـ) وجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)	باب المدينة كراتشي
١٤	تفسير أبي السعود	محمد بن مصطفٰى العمادي (ت:٩٨٢هـ)	دار الفكر، بيروت
١٥	التفسيرات الأحمدية	أحمد بن أبي سعيد (ت:١١٣٠هـ)	پشاور
١٦	روح البيان	إسماعيل حقی البروسي (ت:١١٣٧هـ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت
١٧	البحر المديد	أحمد بن محمد الحسني (ت:١٢٢٤هـ)	المكتبة التوفيقية القاهره، مصر
١٨	فتح العزيز	عبد العزيز الدهلوي (ت:١٢٣٩هـ)	مکتبہ حقانیہ کوئٹہ
١٩	التحرير والتنوير	محمد الطاهر التونسي (ت:١٣٩٣هـ)	الدار التونسية، تونس١٩٨٤م
٢٠	البرهان في علوم القرآن	محمد بن عبد الله الزركشي (ت:٧٩٤هـ)	دار الفكر، بيروت١٤٢١هـ
٢١	الإتقان في علوم القرآن	عبد الرحمن السيوطي (ت:٩١١هـ)	دار المصطفى، دمشق١٤٢٩هـ
٢٢	مناهل العرفان	محمد عبد العظيم (ت:١٣٦٧هـ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٩هـ

٢٣	علوم القرآن الكريم	الدكتور نور الدين عتر	مطبعة الصباح، دمشق١٤١٤ﻫ
٢٤	معجم علوم القرآن	إبراهيم محمد الجرمي	دار القلم، دمشق١٤٢٢ﻫ
٢٥	أسباب نزول القرآن	علي بن أحمد الواحدي (ت:٤٦٨ﻫ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١ﻫ
٢٦	العجاب في بيان الأسباب	ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ﻫ)	دار ابن الجوزي، ١٤١٨ﻫ
٢٧	الناسخ والمنسوخ	أبو جعفر النَّحَّاس (ت:٣٣٨ﻫ)	المكتبة العلامية، مصر١٣٥٧ﻫ
٢٨	الناسخ والمنسوخ	قتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧ﻫ)	مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٨ﻫ
٢٩	قلائد المرجان	مرعي بن يوسف الكرمي (ت:١٠٣٣ﻫ)	غراس، الكويت١٤٢٩ﻫ
٣٠	الناسخ والمنسوخ	هبة الله بن سلامة (ت:٤١٠ﻫ)	المكتب الإسلامي،بيروت١٤٠٤ﻫ
٣١	المفردات	الراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢ﻫ)	دار المعرفة لبنان
٣٢	روح المعاني	سيد محمود الآلوسي (ت:١٢٧٠ﻫ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٢٠ﻫ
٣٣	الفوز الكبير (مترجم)	مترجم:مولانا يس أختر المصباحي	مجلس بركات، هند١٤٣٣ﻫ
٣٤	كتاب المصاحف	عبد الله بن سليمان (ت:٣١٦ﻫ)	دار البشائر الاسلامية، بيروت١٤٢٣ﻫ
٣٥	موسوعة علوم القرآن	عبد القادر محمد منصور	دار القلم العربي حلب ١٤٢٢ ﻫ
٣٦	الإسرائيليات	محمد بن محمد أبو شهبة	مكتبة السنة، القاهرة١٤٠٨ﻫ
٣٧	مصنف ابن أبي شيبة	عبد الله بن محمد (ت:٢٣٥ﻫ)	دار الفكر، بيروت١٤١٤ﻫ
٣٨	المسند	الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١ﻫ)	دار الفكر، بيروت١٤١٤ﻫ
٣٩	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦ﻫ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٩ﻫ
٤٠	صحيح مسلم	مسلم بن حجّاج القشيري (ت:٢٦١ﻫ)	دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩ﻫ
٤١	سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث الأزدي (ت:٢٧٥ﻫ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٢١ﻫ
٤٢	سنن الترمذي	محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩ﻫ)	دار الفكر، بيروت١٤١٤ﻫ
٤٣	سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد القزويني (ت:٢٧٣ﻫ)	دار المعرفة، بيروت١٤٢٠ﻫ
٤٤	البحر الزخار	أحمد بن عمرو البزّار (ت:٢٩٢ﻫ)	مكتبة العلوم والحكم، المدينة١٤٢٤ﻫ
٤٥	مسند أبي يعلى	أحمد بن على الموصلي (ت:٣٠٧ﻫ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٨ﻫ
٤٦	المعجم الأوسط	سليمان بن أحمد الطبراني (ت:٣٦٠ﻫ)	دار الفكر، بيروت١٤٢٠ﻫ
٤٧	المستدرك	محمد بن عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥ﻫ)	دار المعرفة، بيروت١٤١٨ﻫ

٤٨	السنن الكبرى	أحمد بن حسين البيهقي (ت:٤٥٨ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٤ھ
٤٩	تاريخ بغداد	أحمد بن علي البغدادي (ت:٤٦٣ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٧ھ
٥٠	الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان	علي بن بلبان الفارسي (ت:٧٣٩ھ)	دار الكتب العلمية بيروت١٤١٧ھ
٥١	شرح النووي	يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٠١ھ
٥٢	عمدة القاري	بدر الدين محمود العيني (ت:٨٥٥ھ)	دار الفكر، بيروت١٤١٨ھ
٥٣	فتح الباري	أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٥ھ
٥٤	إرشاد الساري	أحمد بن محمد القسطلاني (ت:٩٢٣ھ)	دار الفكر، بيروت١٤٢١ھ
٥٥	مرقاة المفاتيح	علي بن سلطان القاري (ت:١٠١٤ھ)	دار الفكر، بيروت١٤١٤ھ
٥٦	التعليق الممجد	محمد عبد الحي اللكنوي(ت:١٣٠٤ھ)	دار القلم، دمشق١٤١٢ ھ
٥٧	شرح المقاصد	مسعود بن عمر التفتازاني (ت:٧٩٣ھ)	نوريه رضويه پبلشنگ١٤٣٤ھ
٥٨	أصول السرخسي	محمد بن أحمد السرخسي (ت:٤٩٠ھ)	لجنة العلمية، حيدر آباد الهند
٥٩	تبيين الحقائق	عثمان بن علي الزيلعي (ت:٧٤٣ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٠ھ
٦٠	الفتاوى الهندية	شيخ نظام وجماعة من علماء الهند	دار الفكر، بيروت١٤٠٣ھ
٦١	الفتاوى الرضوية	الإمام أحمد رضا خان (ت:١٣٤٠ھ)	رضا فاؤنديشن، لاهور١٤٢٠ھ
٦٢	مجموعة قواعد الفقه	محمد عميم الإحسان المجددي	باب المدينة كراتشي١٩٨٦ھ
٦٣	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام (ت:٢١٣ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٢ھ
٦٤	سبل الهدى والرشاد	محمد بن يوسف الشامي(ت:٩٤٢ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢٨ھ
٦٥	المغازي	محمد بن عمر واقد (ت:٢٠٧ھ)	مؤسسة الأعلمي، بيروت١٤٠٩ھ
٦٦	ميزان الاعتدال	محمد بن أحمد الذهبي (ت:٧٤٨ھ)	دار الفكر، بيروت١٤٢٠ھ
٦٧	تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ھ)	دار العاصمة، الرياض ١٤١٦ ھ
٦٨	تهذيب التهذيب	ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ھ)	دار الفكر، بيروت١٤١٥ھ
٦٩	لسان الميزان	ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢ھ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٥ھ
٧٠	إيضاح المكنون	إسماعيل باشا البغدادي (ت:١٣٣٩ھ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٣ھ
٧١	الأعلام	خير الدين بن محمود (ت:١٣٩٦ھ)	دار العلم للملايين، بيروت١٩٩٥م

٧٢	حیات اعلیٰ حضرت	محمد ظفر الدين البهاري (ت:١٣٨٢هـ)	مكتبة المدينة كراتشي
٧٣	الانتباه في سلاسل أولياء الله	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	کتب خانہ علویہ رضویہ، فیصل آباد
٧٤	أنفاس العارفين	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	فضل نور اکیڈمی، چک سادہ گجرات ١٩٧٠
٧٥	حجة الله البالغة	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	باب المدينه كراتشي
٧٦	القول الجميل	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	مركز الأولياء لاهور
٧٧	فيوض الحرمين	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	شاه ولي الله اكيدمي، الهند٢٠٠٧م
٧٨	الخير الكثير	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	مجلس علمي الهند١٣٥٢هـ
٧٩	ہمعات	شاه ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٦هـ)	اكادمية الشاه ولي الله، الهند
٨٠	إظهار الحق	رحمت الله بن خليل (ت:١٣٠٨هـ)	الرئاسة العامة، السعودية١٤١٠هـ
٨١	القول الجلي (مترجم)	محمد عاشق بن عبيد الله	مسلم كتابوي، لاهور١٤٢٠هـ
٨٢	دستور العلماء	القاضي عبد النبي بن عبد الرسول	باب المدينه كراتشي
٨٣	الإعلام بما في دين النصارى	محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)	دار التراث العربي، القاهرة
٨٤	مناظرة بين الاسلام والنصرانية	مجموعة من العلماء	دار عالم الكتب، الرياض١٤١٣هـ
٨٥	الأناجيل الأربعة ورسائل بولس...إلخ	سعد رستم	المكتبة الشاملة
٨٦	التعريفات	علي بن محمد الجرجاني (ت:٨١٦هـ)	دار المنار
٨٧	التعاريف	محمد عبد الرؤوف المناوي (ت:١٠٣١هـ)	عالم الكتب، القاهرة١٤١٠هـ
٨٨	الكليات	أيوب بن موسى الحسيني (ت:١٠٩٤هـ)	مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٩هـ
٨٩	الزاهر	محمد بن أحمد الأزهري (ت:٣٧٠هـ)	دار البشائر الإسلامية، لبنان
٩٠	كتاب نقد الشعر	قدامة بن جعفر البغدادي(ت:٣٣٧هـ)	مطبعة الجوائب،قسطنطينية ١٣٠٢هـ
٩١	أساس البلاغة	محمود بن عمرو الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٩هـ
٩٢	كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم	محمد بن علي الفاروقي الحنفي (ت:بعد١١٥٨هـ)	مكتبة لبنان، بيروت١٩٩٦م
٩٣	موسوعة العروض والقافية	....	المكتبة الشاملة
٩٤	حاشية الصبان	محمد بن علي الشافعي (ت:١٢٠٦هـ)	المكتبة التوفيقية

٩٥	البلاغة العربية	عبد الرحمن بن حسن (ت:١٤٢٥هـ)	دار القلم، دمشق١٤١٦هـ
٩٦	المحكم والمحيط الأعظم	علي بن إسماعيل ابن سِيْدَه (ت:٤٥٨هـ)	دار الكتب العلمية، بيروت١٤٢١هـ
٩٧	المخصص	علي بن إسماعيل ابن سِيْدَه (ت:٤٥٨هـ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٧هـ
٩٨	تهذيب اللغة	محمد بن أحمد الأزهري (ت:٣٧٠هـ)	الدار المصرية، القاهرة
٩٩	لسان العرب	محمد بن مكرم ابن منظور (ت:٧١١هـ)	مؤسّسة الأعلمي، بيروت١٤٢٦هـ
١٠٠	القاموس المحيط	محمد بن يعقوب (ت:٨١٧هـ)	دار إحياء التراث العربى، بيروت١٤١٧هـ
١٠١	تاج العروس	مرتضى الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)	التراث العربي، الكويت١٣٨٥هـ
١٠٢	المعجم الوسيط	إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد على النجار	المكتبة الإسلامية، القاهرة١٩٧٢م
١٠٣	الصحاح في اللغة	إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:٣٩٨هـ)	دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤١٩هـ
١٠٤	فهرس الفهارس والإثبات	محمد عبد الحي الكتاني (ت:١٣٨٢هـ)	دار الغرب الإسلامي، بيروت١٤٠٢هـ
١٠٥	الدخيل في التفسير	أحمد رضا الشامي	الرسالة الجامعية

النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها

وأما بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة.

ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة وهو من علم التصريف.

ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكفل بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلق بعلم البديع.

(البرهان في علوم القرآن، ٢/ ١٩٠)

فهرس الموضوعات

Whatsapp +923139319528

www.dawateislami.net

Whatsapp +923139319528

المُطوّل

(من أوّل الكتاب إلى بحث «ما أنا قلت»)

للعلاّمة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني رحمه الله القويّ

(المتوفى۷۹۲ھ)

مبالغة تلميح
مجاز إسناد حقيقة
كناية تشبيه استعارة
إيجاز إطناب

مع حاشيته الجديدة المسمّاة

المُؤوّل

المدينة العلمية
الدعوة الإسلامية
شعبة الكتب الدراسية

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ وَالصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ عَلٰى سَيِّدِ الْمُرْسَلِيْنَ اَمَّا بَعْدُ فَاَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيْمِ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

للتعود على الصلاة والصلاح

الحضور في مجالس السنن الأسبوعيّة، التي تعقد تحت مظلة مركز الدعوة الإسلامية، عقب صلاة المغرب كلّ يوم خميس، وقضاء الليل كاملاً هاهنا بالنية الطيبة، بقصد إرضاء الله وابتغاء وجهه، والسفر في قافلة المدينة مع عشّاق الحبيب المصطفى ثلاثة أيام من كل شهر، ومحاسبة النفس يوميًّا بطريق ملء كتيّب جوائز المدينة (جدول الأعمال التربوية)، وتسليمه إلى المسؤول خلال الأيام العشرة الأولى من كلّ شهرٍ، وعلى الأخ المسلم أن يضع هذا الهدف نصب عينيه: **عليّ محاولة إصلاح نفسي وجميع أناس العالم** إن شاء الله عزّ وجلّ، حيث يلزمني العملُ بجوائز المدينة للإصلاح النفسي، والسفرُ في قافلة المدينة لمحاولة إصلاح جميع الناس في العالم إن شاء الله عزّ وجلّ، ويمكن قراءة الكتب والرسائل من إصدارات مكتبة المدينة وتحميلها ومشاهدة قناة مدني عبر موقعنا هذا: www.dawateislami.net

فيضان مدينه سوق الخضار السابق حي سودا غران كراتشي، باكستان.
UAN +٩٢ ٢١ ١١١ ١٢٥ ٢٦ ٩٢ التحويلة: ١١٤٤/٢٦٥٠
Web: www.maktabatulmadinah.com / www.dawateislami.net
Email: feedback@maktabatulmadinah.com / ilmia@dawateislami.net